سلسلة إحذر

احذر الكذب

إعداد: أحمد حسن عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الكذب من أخطر رذائل الإنسان، ومن أعظم جرائم اللسان؛ لأن الكاذب يزيف الحقائق، ويجمِّل القبيح، ويزين الفحشاء والمنكر . والكذب داء خطير، ما أصاب أمة إلا أتى على حضارتها، وأشاع الفساد في مجتمعها . ويقف الكذب وراء الكثير من الجرائم التي يرتكبها الإنسان، ابتداءً من الشتم والسب وانتهاءً بسفك الدماء .

وقد ذم الله تعالى الكذب، فقال تعالى: (**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**) [النحل: ١٠٥] . وحذر النبي ﷺ من الكذب فقال: " إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار " [متفق عليه] . وقد نزه الله أنبياءه عن الكذب وجعله مستحيلا في حقهم؛ لأنهم أمناء على تبليغ وحي الله تعالى إلى خلقه، وكان ﷺ يُلقب قبل الإسلام بالصادق . فعلينا أن نتخلى عن الكذب، ونتحلى بالصدق، حتى نحشر مع الصادقين في الجنة .

تعريف الكذب

الكذب في اللغة:

الكذب ضد الصدق . يقال: كذب فلان: أي أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع . وكذب عليه: أخبر عنه بما لم يكن فيه . واسم الفاعل المفرد: كاذب وكاذبة، والجمع كُذِّب وكواذب . وكذَّب بالأمر تكذيباً أنكره . والكِذْبَة: المرة من الكذب . والكذاب: كثير الكذب . والكاذبة: اسم للمصدر كالعافية . وكذب الرجل تكذيباً وكِذَّاباً: جعله كاذباً . تكذَّبوا عليه: زعموا أنه كاذب . تكذَّب فلان: إذا تكلف الكذب . والكاذب: اسم فاعل والمكذب أيضاً اسم فاعل . والمكذوب: اسم مفعول . والتكذيب: مصدر كذب .

الكذب في الشرع:

الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع، تعمدت ذلك أم جهلته، واللسان هو عضو الكذب في الإنسان إذا كان الكذب في القول، واليد إذا كان الكذب فيما تكتبه، أما كذب الأفعال والأعمال فإن الجسم كله يعد من أعضاء الكذب .

والكذب قد يكون اختراعاً لقصة لا أصل لها، وذلك يسمى افتراء . وقد يكون الكذب زيادة في قصة أو نقصاناً، ويسمى حينئذ مَيْناً . وقد يكون الكذب في وجود المقول فيه فهو إذاً بهتان . وقد يكون الكذب في غيبة المقول فيه، فهو حينئذ كذب .

كذب الأفعال

وقد يكون الكذب في الأفعال كما في الأقوال، فقد يفعل الإنسان فعلا يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً، وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال . . ومن أمثلة ذلك: ما حكاه الله تعالى لنا من أقوال إخوة يوسف عليه السلام وأفعالهم؛ إذ جاءوا أباهم عشاء يبكون بكاءً كاذباً، وقالوا – كذباً -: **(يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)** [يوسف: ١٧] . وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل .

أمارات الكذب

تستطيع معرفة الكاذب عن طريق هذه الأمارات وهي:

١- أنك إذا لقنته الحديث ثم تحدث بعد ذلك، فإنه يخلط بين ما سمعه منك وبين ما يقوله من عند نفسه .

٢- أنك إذا رددت عليه كلامه، و لم تقبل قوله، ارتبك و لم يستطع أن يأتي بحجة تثبت صدق قوله .

٣- أنك إذا شكَّكته في كلامه تشكك فيه، وكاد أن يرجع عنه .

٤- يظهر على الكذاب ريبة الكذابين، ولذلك قال بعض الحكماء: الوجوه مرايا تريك أسرار البرايا .

أنواع الكذب

للكذب أنواع، هي:

١- الكذب على الله:

وهو من أكبر الكبائر، ويكون بتحليل حرامه وتحريم حلاله، وقد بين الله تعالى نوعاً من الكذب عليه، فقال تعالى: (**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [آل عمران: ٧٥] .

فهذه الفئة من الناس كذبوا على الله، وادعوا أنه يأمرهم بأداء الأمانة إلى فئة أخرى، وأن هذا دين الله وشريعته، وأن الله أباح لهم أن يأكلوا أموال جماعة من الناس سحتاً وبهتاناً، ولذلك عقب الله تعالى على زعمهم ذلك بقوله: (**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [آل عمران: ٧٨] . أي يعلمون أن ذلك باطل، وليس من شريعة الله . وبين الله تعالى شكلا آخر من الكذب عليه، وهو ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، فكذَّب الله زعمهم، فقال – عز وجل – في حقهم: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً، انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً**) [النساء: ٤٩ – ٥٠] .

وبين الله تعالى عظم جرم الذي يكذب على الله، أو يكذِّب بآيات الله تعالى فقال: (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**) [الأنعام: ٢١] .

وافتراء الكذب على الله قد يكون بتحليل ما حَرَّم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو تكذيب رسل الله وأنبيائه، أو القول على الله ورسوله والادعاء على الله تعالى، أو الخوض في القرآن الذي هو كلام الله، ولذلك بين الرسول ﷺ عقاب من يكذب على الله وعلى القرآن، فقال ﷺ: " من كذب على القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار " [أحمد] .

٢- الكذب على الأنبياء:

الكذب على الأنبياء والرسل من أعظم الجرائم بعد الكذب على الله . ويأخذ الكذب على الرسل عدة صور وأشكال، منها:

أ- أن يكذّب الناس الأنبياء والرسل كما فعل قوم نوح عندما قالوا له: (**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**) [هود: ٢٧] .

وكذلك فعلت عاد مع هود عليه السلام حيث قالوا له: (**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [الأعراف: ٦٦] . وهذا ما فعل فرعون مع موسى عليه السلام ، حين قال لهامان: (**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [القصص: ٣٨] .

و لم يسلم من هذ التكذيب نبي من الأنبياء حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال له المشركون: (**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**) [القمر: ٢٥] .

ب- أن ينسب الناس قولاً كاذباً إلى الأنبياء، ثم يقولون كذباً: إنها من كلام وأحاديث الأنبياء، أو يقصون للناس قصصاً على أنها حدثت للأنبياء وهي لم تحدث لهم، ومثل هذا النوع من الكذب قد يقع من المؤمن والكافر بقصد ووعي أو بجهل وعدم وعي، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذا الكذب فقال صلى الله عليه وسلم: " من حدَّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين " [مسلم] .

ومن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وضع الأحاديث وادعاء أنها من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم جزاء من يفعل ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: " من كذب عليّ متعمِّداً فليتبوّأ مقعده من النار " [البخاري] .

٣- الكذب على الناس:

والكذب على الناس له عدة أشكال، منها:

١- أن يكذب المرء ليبيع سلعته، وهذا ما يفعله بعض التجار، قال صلى الله عليه وسلم: " إن التجار هم الفجار " . فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! أليس قد أحل الله البيع؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون " [أحمد] .

ب- أن يقول الرجل: رأيت كذا وكذا . وهو لم ير شيئاً، وهذا هو القول الزور، وإذا طلب من ذلك الرجل أن يشهد بذلك، فهي إذاً شهادة الزور . قال تعالى محذراً من شهادة الزور: (**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**) [الحج: ٣٠] .

وقد رهَّب النبي ﷺ من هذا النوع من الكذب، فقال ﷺ: " أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا " [البخاري] . وقال ﷺ: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟! الإشراك بالله، وعقوق الوالدين " . وكان ﷺ متكئاً فجلس، وقال: " ألا وقول الزور " [متفق عليه] .

جـ- أن يتحدث الرجل فيأتي بالأكاذيب لكي يضحك الناس، وهذا الصنف من الناس بين النبي ﷺ العقاب الذي ينتظرهم، فقال: " ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له " [الترمذي] .

د- أن يحدث الرجل أخاه في أمر آخر غير الذي يفهمه، فيصدق الرجل كل الذي يقوله، مع أنه يكذب عليه . ولذلك بين النبي ﷺ أن أهل الكذب على الناس من أكبر الخيانات، فقال ﷺ: " كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب " [أحمد] .

هـ- أن يدعو الرجل ولده ويمنيه بشيء ترغيباً له في الحضور لديه، مع أن الأب يكذب لكي يأتي الولد، فقد روى عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله ﷺ: " ما أردت أن تعطيه؟ " قالت: أردت أن أعطيه تمراً . فقال ﷺ لها: " أما أنكِ لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة " [أبو داود]

ولذلك حذرنا النبي ﷺ من فعل هذا النوع من الكذب، فقال ﷺ: " من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة " [أحمد] . وهكذا شرع النبي ﷺ لأولياء الأمور الطريقة المثلى في خطاب الأبناء، وتربيتهم على عدم الكذب، حتى ولو كان الابن صغيراً في أعينهم .

و- الكذب في تدوين التاريخ، وتشويه حضارات الأمم، والكذب في الإعلام والدعاية، وكذب الخاطب على مخطوبته، والمخطوبة على الخاطب .

٤ - الكذب على النفس:

بين الله تعالى في القرآن هذا النوع من الكذب على النفس، وذلك من خلال الحديث عن المشركين، فقال تعالى: (**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ**

تَزْعُمُونَ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [الأنعام: ٢٢ – ٢٤] .

فهؤلاء المشركون عندما يسألهم الله يوم القيامة عن شركائهم يقولون كذباً: والله ربنا ما كنا مشركين .

فهم بذلك كذبوا ولكن على أنفسهم؛ لأنهم لن يستطيعوا – يوم القيامة – أن يكذبوا على الله، وأن يحلفوا أنهم ما كانوا مشركين، وتعجب الله سبحانه من كذبهم الذي كذبوه على أنفسهم في الدنيا، فقال تعالى: (**انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**) [الأنعام: ٢٤] .

حكم الكذب

حُرم الكذب بالكتاب والسنة والإجماع؛ لما فيه من ضرر على المخاطب، لأنه يصدق كلام مَنْ يحدثه، فيجهل حقيقة الأمر مما قد يسبب له أضراراً كثيرة .

أولا: تحريم الكذب في القرآن:

* قال الله تعالى: (**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**) [النحل: ١٠٥] .

* وقال تعالى: (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ**) [الزمر: ٦٠] .

ثانياً: تحريم الكذب في السنة:

* قال ﷺ: " إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " [متفق عليه] .

* وروى عن عبد الله بن جراد قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! هل يزني المؤمن؟ فقال ﷺ: " قد يكون ذلك " . قال عبد الله: يا نبي الله! هل يكذب المؤمن؟ فقال ﷺ: " لا " . ثم تلا النبي ﷺ قول الله تعالى: (**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**) [النحل: ١٠٥] . [ابن عبد البر] .

ثالثاً: تحريم الكذب في الإجماع:

وقد أجمع العلماء والفقهاء والصالحون على حرمة الكذب .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن يضعني الصدق – وقلَّما يضع – أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلَّما يفعل .

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب .

وقال الشعبي : : ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل .

الكذب المباح والكذب الحرام

فرَّق الإسلام بين نوعين من الكذب:

١ - الكذب المباح:

ويكون بغرض الإصلاح بين الناس، أو بغرض إضلال العدو، أو بقصد الحفاظ على الحياة الزوجية . فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً " [متفق عليه] .

و لم يرخص النبي ﷺ في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها . [مسلم] .

٢ - الكذب الحرام:

وهو الكذب على الناس بقصد تحصيل منفعة دنيوية .

آثار الكذب

١ - الكذاب خاسر:

الكذب على الناس قبيح، ولكن الكذب على الله أقبح، وقد توعد الله لمن افترى عليه الكذب أن يعجل له العقوبة في الدنيا فيصاب الكاذب بالخسارة وعدم النجاح والسداد في أموره، قال تعالى: (**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ**) [يونس: ٦٩] . وقال: (**وَلا تَقُولُوا لِمَا**

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النحل: ١١٦ – ١١٧] . ومن الكذب على الله، تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل .

٢ - الكذاب منافق:

الكاذب يكتسب صفة النفاق، ولذلك عد الله الكذابين من المنافقين، وجعل الكذب من سمات المنافقين، فقال تعالى: (**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**) [التوبة: ٧٥ – ٧٧] . فهؤلاء المنافقون كذبوا وأخلفوا وعدهم مع الله . وقال تعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [المجادلة: ١٤] . فالمنافقون لا يكتفون بالكذب، بل ويحلفون عليه، والله يشهد على كذبهم، ولذلك كان النبي ﷺ يعرف هؤلاء المنافقين، وحذر منهم ومن صفاقم حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه المنافقون .

٣ - الكذاب أسود القلب:

يصاب الكاذب في الدنيا بسواد القلب من كثرة كذبه، فمثل القلب الخالي من الكذب كمثل الصفحة البيضاء، ومثل الكذب مثل النكتة السوداء، فكلما كذب المسلم كذبة نكتت في قلبه نكتة سوداء، وتظل هذه النكت تزداد حتى يَسْوَدَّ قلبه، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ: " لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، فتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يَسْوَدَّ قلبه، فيكتب عند الله من الكاذبين " [مالك] .

٤ - الكذاب ضال:

إن الكاذب ضال بعيد عن هداية الله تعالى، وبعيد عن نور الله وطريقه المستقيم، يتخبط في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، يرى الحق باطلا، ويرى النور ظلاما، ويرى العلم جهلا، والفضيلة رذيلة، لا يعرف للخير طريقاً، ولا للهداية سبيلا، فمثل هذا الكاذب شر من الدواب، ومن إخوان الشياطين، ومثل هذا الكاذب أحد صنفين من الناس، الأول هو الذي جمع الكذب مع الكفر، وهذا الذي قال الله تعالى فيه: (**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**) [الزمر: ٣] . وأما الصنف الثاني من الكذابين، فهو الكذاب المسرف في أمر الكذب، قال الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**) [غافر: ٢٨] .

٥- الكذاب في النار:

الكاذب بما يرتكبه من جرائم في حق نفسه وفي حق المجتمع، لا جزاء له إلا النار يوم القيامة . قال تعالى: (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**) [المائدة: ١٠] .

التحذير من الكذب

حذرنا الله تعالى في كتابه، والنبي ﷺ في سنته من الكذب ومن الكذابين في العديد من الآيات والأحاديث:

قال تعالى: (**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً**) [الكهف: ٤ – ٥] . فالذي يكذب على الله وعلى رسله وأنبيائه، قد يخرج من دائرة الإيمان إلى الكفر؛ لأن الله أعد الكذب من هذا النوع أمراً عظيماً . وقال تعالى: (**وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**) [المائدة: ٤١] . وقال تعالى: (**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**) [المائدة: ٤٢] . وهكذا ذم الله تعالى سماع الكذب من أصحابه، وضرب لنا مثلا لقوم – وهم اليهود – كانت حرفتهم سماع الكذب، وأكل المال الحرام . وقد حذر النبي ﷺ المسلمين من هذه الصفات الذميمة حتى لا يتشبهوا باليهود، فقال ﷺ: " من تشبه بقوم فهو معهم " . [أبو داود] .

* وقال ﷺ: " إذا كذب العبد تباعد المَلَك عنه ميلا من نتن ما جاء به " [الترمذي] .

وهكذا بين النبي ﷺ أثراً من آثار الكذب، وهو نتن الريح الذي ينتشر من الكاذب عند كذبه .

فالملك لم يستطع تحمل نتن ريح الكاذب فتباعد عنه مسافة ميل .

* وقال ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل متكبر " [مسلم] .

وهكذا بين النبي ﷺ أن هناك ثلاثة أصناف من الناس لا يحبهم، ولا يكلمهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، منهم: الحاكم الكذاب . فالكذب رذيلة أولى أن يبتعد عنها الحاكم، لأنه موضع الاقتداء والأسوة من الناس، والمفروض أنه لا يخاف أحداً من الناس فيكذب، ومن هنا كان وعيد الله الشديد للملك الكذاب .

* وقال ﷺ: " ألا إن الكذب يسود الوجه، والنميمة عذاب القبر " [الطبراني] .

فالنبي ﷺ يحذرنا من الكذب؛ لأنه يؤدي إلى سواد الوجه يوم القيامة .

* وقال ﷺ: " الكذب ريبة " [الترمذي] . فإذا كان الصدق طمأنينة، فالكذب على العكس، يجعل صاحبه في موضع شك، فالكاذب يضع نفسه موضع التهمة والشبهة بين الناس .

* وقال ﷺ: " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر " [متفق عليه] .

فالكذب خصلة من خصال النفاق، فإذا اجتمعت في المسلم . هذه الخصال تمكن النفاق من قلبه .

* وقال ﷺ: " كبرت خيانة أن تحدث أخاً لك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب " [أحمد] .

ولذلك يجب أن نفر منه، ونحذر من عواقبه، ونكشف عن مضاره وأخطاره حتى لا نقع في حبائله .

* وقد كان ﷺ يبغض الكذب، ولا يرضى عن الكاذب حتى يعلن توبته عن الكذب، فقد روى عن عائشة أنها قالت: ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة . [أحمد] .

* وقال ﷺ: " رأيت رجلين أتياني قالا: الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة " [البخاري] .

وإذا كان الكذب له مثل هذا العذاب عند الله، فالأولى أن ندعه حتى لا نعذب يوم القيامة .

* وروى أن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله ﷺ: " ما أردت أن تعطيه؟ " قالت: أردت أن أعطيه تمراً . فقال رسول الله ﷺ: " اما أنكِ لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة " [أبو داود] .

فينبغي إذن ترك الكذب ولو كان بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة، حتى لا تكتب علينا عند الله كذبة .

* وعن أسماء بنت يزيد قالت: قلت يا رسول الله ﷺ إن قالت إحـــدانا لـــشيء تـــشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذباً؟

فقال ﷺ: " إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة " [أحمد] .

وهكذا يحذرنا النبي ﷺ من التهاون في شأن الكذب، لأن الملائكة الكتبة لا يغادرون شيئاً – صغيراً كان أو كبيراً – إلا أحصوه، ثم يوفى الكاذب حسابه عند ربه يوم القيامة .

* وقال ﷺ: " إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " [متفق عليه] .

* وقال ﷺ: " الكذب ينقص الرزق " [الأصبهاني] .

هذه هي النتيجة والمحصلة التي يجنيها الكذاب، وهي الحسرة وضيق الرزق، والكذاب أولى بهذه الخسارة من غيره .

كلمات مضيئة

- أوصى لقمان ابنه فقال:

يا بني إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، عما قليل يقلاه صاحبه .

- وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان فـــي القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه .

- وقال الحارث المحاسبي: دع الكذب حيث ترى أنه ينفعك، فإنه يضرك .

- وقيل: علامة الكذاب: جوده باليمن بغير مستخلف .

- قال صالح بن عبد القدوس:

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً

إن القرين إلى المقارن يتسب

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً

إن الكذوب لبئس خلا يصحب

وقال آخر:

وما شيء إذا فكرت فيه

بأذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه

وأبعد بالبهاء من الرجال

- وقال الحسن: كان يُقال: إن النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج . وإن الأصل الذي بُني عليه النفاق الكذب .

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشر الندامة ندامة القيامة .

- وقال عمر بن عبد العزيز: والله ما كذبتُ منذ علمتُ أن الكذب يشين صاحبه .

- وقال الشعبي: ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار: الكذّاب أو البخيل؟

أسباب الكذب

هناك عدة أسباب تدفع إلى الكذب، منها:

١- جلب منفعة أو دفع ضرر، حيث يرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم فيرخص لنفسه فيه ليرضي طمعه .

٢- وقد يلجأ الإنسان إلى الكذب ليكون حديثه عذباً، أو كلامه ظريفاً، فينال به إعجاب الناس .

٣- وقد يكذب الإنسان ليتشفى من عدوه وينال منه، ويقع فيه فيفضحه بما ليس فيه .

٤- حب الكذب والاعتياد عليه، والألفة به حتى يصير الكذب صفة له لازمة لا يستطيع التخلي عنها .

كل هذه الأسباب تصدر من رجل متزعزع العقيدة، ضعيف الإيمان، لأن الخوف لا يكون إلا من الله، وطلب النفع لا يرجى إلا من الله، ولذلك استبعد النبي ﷺ على المؤمن أن يكون كذاباً، فقال ﷺ: " يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب " [أحمد] .

علاج الكذب

إن أول مرحلة في علاج الكذب أن يحاول المسلم زيادة الإيمان في قلبه، حتى لا يخـاف إلا الله ولا يرجو النفع إلا من الله . قال ﷺ: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله " [الترمذي] .

ومن طرق العلاج زيادة الإيمان بأن يعرف المسلم أن الله مطلع على أعماله، وأن كل أقواله مسجلة عليه، فالله تعالى يعلم الصادق من الكاذب . قال تعالى: (**فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**) [العنكبوت: ٣] .

وقال تعالى: (**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**) [المنافقون: ١] .

- كذلك أن يعلم الكاذب ثواب الصدق عند الله تعالى في الآخرة، وحب الله للصادقين، وتقدير واحترام الناس للصادقين، قال ﷺ: " انا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً " [الترمذي] .

وقال ﷺ: " تقبلوا إليَّ بست أتقبل لكم الجنة " .

فقالوا: وما هن؟ فقال ﷺ " إذا حدث أحدكم فلا يكذب . . . " [الحاكم] .

وقال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك خير لك عملا؟ قال: من لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه .

- أن يعرف المسلم سوء مصير الكاذب، وبغض الله تعالى له، وكراهية الناس ومقتهم للكذاب .

قال تعالى: (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِـي جَهَـنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ**) [الزمر: ٦٠] .

وقال ﷺ: " إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار " [ابن حبان] .

وقال ﷺ: " الكذب مجانب الإيمان " [البيهقي] .

وقال ﷺ: " ألا إن الكذب يسود الوجه " [الطبراني] .

وقال ﷺ: " ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو " [البزار] .

- أن يقتدي المسلم بالسلف الصالح؛ فيبغض الكذب حتى يصير تركه طبيعة من طبائعه، وصفة من صفاته، فقد قال عمر بن عبد العزيز: ما كذبتُ كذبة منذ شددتُ عليَّ إزاري .

وقال ابن السماك: ما أراني أُؤْجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفة .

- أن يبتعد عن الكذب ابتعاداً كليًّا؛ فلا يستقلل الكذب، أو يدعي أنه ليس بكذاب لأنه لم يكذب إلا كذبة واحدة أو كذبتين، فقد قيل لخالد بن صبيح: أيسمى الرجل كذاباً بكذبة واحدة؟ قال: نعم .

وصايا

* ابتعد عن الكذب مهما تكن الأسباب، ولا فرق بين المزاح وغيره . قال ﷺ: " لا يــؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً " [أحمد] .

* تحَلَّ بالصدق، فإن في الصدق النجاة، فإذا دخل الصدق إلى قلب المؤمن طرد الكذب . قال ﷺ: " لا يجتمع الصدق والكذب جميعاً " [أحمد] .

* لا تكذب على زملائك أو أولادك بحجة إسكاقم أو ترغيبهم، فإن ذلــك يعــودهم علــى الكذب عن طريق المحاكاة والقدوة السيئة .

* لا تلجأ إلى الكذب مهما كانت الظروف .

* إياك والكذب على الله فإنه أشد أنواع الكذب إثماً .

* الكذب بداية كل معصية، فتجنبه بكل وسيلة ممكنة .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة احذر

احذر الكسل

إعداد: ألفت محمد عبد الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الكسل آفة تميت الحياة، وتثقل الحركة، ومرض يورث الحاجة والفقر، ويقتل النشاط والعمران.

فالكسول عالة على مجتمعه، يأخذ ولا يعطي، يستهلك ولا ينتج، في حين أن الإسلام يدعو إلى العمل والنشاط، قال ﷺ: " ما أكل أحدٌ طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده " [أحمد] . وكان ﷺ يحث على كل عملٍ شريف، يعلي منزلة الإنسان ويجلب له الرزق . قال ﷺ: " ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة " [البخاري] .

وكان ﷺ يتعوذ من الكسل ويقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل " [أحمد] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينصح الناس: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

تعريف الكسل

الكسل في اللغة:

الكَسَلُ مأخوذ من مادة (ك س ل) والتي تدل على التثاقل عن الشيء والقعود عن إتمامه .

وكسِلَ عن الشيء كَسَلا، فهو كَسِلٌ، وكسلان والجمع كُسالى، وكَسْلى، الأنثى كَسِلةٌ وكسلانة .

وتكاسل: تعمد الكسل .

وأمر مكسلة: أي يؤدي إلى الكسل . يقال الفراغ مكسلة .

والكَسُول: شديد الكسل .

الكسل في الشرع:

الكسل هو التغافل والتثاقل عن كل واجبٍ فرضه الله تبارك وتعالى على الإنسان .

كالكسل عن أداء الفرائض، مثل الصلوات الخمس أو الصوم أو الجهاد . . وكالكسل عن كل عملٍ نافع يضمن للإنسان حياة كريمة، ويعفه ويصونه عن المسألة .

صور الكسل

١ - البطالة:

أنزل الله تعالى آدم على الأرض، وكلَّفه بالكدح والعمل، ووفر له الــرزق في الأرض، قــال تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّــشُورُ**) [الملك: ١٥] .

فإذا تكاسل الإنسان عن العمل، فسوف يعيش في فقر وذل، ويضطر لسؤال الناس، والإسلام يريد من المسلم أن يكون قوياً عزيزاً لا يرضى ذل السؤال .

قال رسول الله ﷺ: " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحــم " [البخاري] .

من هنا نهى الإسلام عن البطالة والتسول، وأمر بالعمل لأنه وسيلة للبقاء والعيش . قال تعالى: (**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**) [الأعراف: ١٠] .

وأعلى من منزلة العمل فقرنه بالصلاة، فقال تعالى:

(**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) [الجمعة: ١٠] .

وأجاز الإسلام مباشرة أعمال التجارة أثناء أداء مناسك الحج . قال تعالى: (**لَــيْسَ عَلَــيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْــدَ الْمَــشْعَرِ الْحَــرَامِ**) البقرة: ١٩٨] .

ورسول الله ﷺ كان يرغب أصحابه في العمل، وينهى عن البطالة، فقد روى أنه لما أقبل من غزوة تبوك استقبله معاذ بن جبل رضي الله عنه فصافحه، فأحس النبي ﷺ خشونة في يد معاذ .

فقال له " كبنت يداك يا معاذ " . — أي خشنت — .

فقال مُعاذ: نعم يا رسول الله لأني أعمل بالمحراث، وأنفق على عيالي .

فقبله رسول الله ﷺ وقال: " تلك يدٌ يحبها الله " .

وقال رسول الله ﷺ: " أيما رجل كسب مالا حلالا، فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله، فإن له به زكاة " [ابن حبان] .

وقال ﷺ: " إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه " [الطبراني] .

فالكسل والبطالة طريق الذل والمهانة، والعمل والنشاط طريق الرفعة .

فواجب كل إنسان ألا يتكاسل عن أداء عمل حلالٍ يوفر له رزقاً يسد به حاجاته، ويؤدي به رسالة العمران في الدنيا، فينال من ربه حسن الجزاء . قال تعالى: (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**) [النور: ٥٥] .

٢ - التواكل:

الكُسالى يتخذون من التوكل ستاراً يخفون به كسلهم، فيتكاسلون عن واجباتهم بدعوى التوكل .

والله تعالى لم يأمرنا بذلك، ولكنه أمرنا أن نأخذ بالأسباب ونسعى ونجتهد ثم نتوكل .

فالسعي للرزق لا يتنافى مع التوكل على الله .

وقد يتكاسل البعض عن العمل، بحجة التغرف للعبادة، والزهد في الدنيا، وليس ذلك من الإسلام؛ لأن الإسلام دين الإيجابية، يطلب من المسلم أن يقدم الخير لنفسه وجماعته بالعمل والاجتهاد .

والإسلام لا يعرف الرهبانية (التفرغ للعبادة)، فالعمل الصالح المفيد إذا أتقن وروعي فيه وجه الله، كان عبادة في نفسه، وكان له منزلة تقارب منزلة الجهاد في سبيل الله، ولذلك: قرن الله بين العاملين والمجاهدين، فقال تعالى: (**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) [المزمل: ٢٠] .

يروى أن رجلا جاء للحسن رضي الله عنه فقال له: إني أقرأ المصحف كله بالنهار، فنصحه قـائلا: اقرأه بالغداة والعشي، واجعل يومك في صنعتك، فقد جعل الله تعالى النهار للسعي والعمل، فقال: (**وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً**) [النبأ: ١١] .

وعندما لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوماً لا عمل لهم، غضب لذلك وسألهم: من أنتم، ولمـا تتكاسلون عن العمل؟!

فقالوا: إنما نحن متوكلون على الله .

فقال لهم: كذبتم ليس هذا هو التوكل، إنما المتوكل من ألقى الحبَّة في الأرض ثم توكل علـى الله.

وكان رضي الله عنه ينهى الفقراء عن الجلوس في الطرقات اتكالا على الصدقات، ويقول لهـم: يـا معشر الفقراء استبقوا إلى الخيرات، ولا تكونوا عيالا على الناس .

ورأى أحد الأئمة رجلا لا يعمل فسأله: لما تتكاسل عن العمل، فأجابه: اعمل بحديث رسول الله ﷺ: " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً " [الترمذي] .

فعلم الإمام أن الرجل يفهم الحديث فهماً خاطئاً، فقال للرجل: إن الرسول ﷺ ذكر غـدو الطير ورواحها ليدل على أن السعي مطلوب، فلو قعدت الطيور في أعشاشها ما أتاها الرزق .

٣- التكاسل عن الصلاة:

التكاسل عن الصلاة إثم كبير، لأن الله أمرنا بالمحافظة عليها، فقال تعـالى: (**حَـافِظُوا عَلَـى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى**) [البقرة: ٢٣٨] .

وذم المتكاسلين عنها، فقال تعالى: (**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّـهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**) [التوبة: ٥٤] .

وجعلها رسول الله ﷺ من دلائل الإيمان وعلامته، فقال ﷺ: " إذا رأيـتم الرجـل يعتـاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان " [الترمذي] .

وأوصى الرسول ﷺ بتعليمها الصغار حتى يتعودون أدائها ولا يتكاسلون عنها كباراً، فقـال ﷺ: " علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً، وأضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً " [البزار] .

وكان ﷺ قدوة في المحافظة على الصلاة وعدم التكاسل عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه .

فلو علم المسلم فضل الصلاة ما تكاسل عنها أبداً، فهي تكفر الذنوب، وتنقي النفوس، وتقرب العبد من ربه . قال ﷺ: " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهم ما لم تغش الكبائر " [مسلم] .

٤ - التكاسل عن النوافل:

إذا تقرَّب العبد من ربه ذراعاً، تقرب الله منه باعاً، والنوافل طريق التقرب إلى الله، فمن تكاسل عن أدائها يحرم نفسه فضلا عظيماً .

قال ﷺ: " ما من عبدٍ مسلمٍ يصلِّي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعةٍ تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة " [مسلم] .

٥ - التكاسل عن طلب العلم:

قال تعالى: (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [النحل: ٧٨] .

يولد الإنسان طفلا ضعيفاً غير قادر على التفكير، ثم يكبر هذا الطفل شيئاً فشيئاً، ويحتاج إلى التعلم ليتمكن من التواصل بالعالم من حوله .

والإسلام يحرص دائماً على رفعة أبنائه وتقدمهم ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم .

لذلك كانت أول آيات القرآن الكريم دعوة للعلم . قال تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) [العلق: ١] .

وقال ﷺ: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [الطبراني] .

فمن تكاسل عن تحصيل العلم فسوف يحرم نفسه فضلا كبيراً، وطريقاً ميسراً إلى الجنة . قال ﷺ: " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " [مسلم] .

كما يحرم نفسه من المنزلة الرفيعة بين الناس فلا تستوي منزلة العالم والجاهل . قال تعالى: (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**) [الزمر: ٩] .

فلو علم كل مسلم فضل العلم والعلماء لما تكاسل عن تحصيله، والسعي له ولو كان في أقصى البلاد .

٦- التكاسل عن فعل الخير:

(**وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**) [البقرة: ٢٣٧] .

هكذا أمرنا الله تعالى بفعل الخير، ويسر لنا سبلا كثيرة لفعله، وفعل الخير يفتح أبواب الحب بين المسلمين، كما يفتح أبواب الجنة لفاعله؛ لأن الله تعالى يثيب فاعل الخير ويجازيه عنه خيراً، ولو كان عملا بسيطاً، فإماطة الأذى عن الطريق- مثلا – صدقة؛ قال ﷺ: " . . وتميط الأذى عن الطريق صدقة " [متفق عليه] .

والمسلم يستطيع أن يكون من الفائزين بأحسن الجزاء بإخلاص نيته للخير، وعدم التكسل عن فعله .

والمجتمع الذي يتكاسل أفراده عن فعل الخير، ويُنسى الفضل بينهم، فإن حبال المودة فيه تضعف، وتنغلق أبواب الألفة بينهم .

٧- التكاسل عن السفر:

قد يضيق رزق الإنسان في مكان ما، فلا بد أن يسافر في طلب الرزق، تنفيذاً لأمر الله تعالى القائل: (**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً**) [النساء: ١٠٠] .

وقال تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**) [الملك: ١٥] .

فإذا تكاسل الإنسان عن السعي لطلب الرزق، والهجرة في الأرض، فسوف يحرم نفسه من فوائد ورزق وفير .

حكم الكسل

إذا تكاسل الإنسان عن واجب فرضه الله تعالى عليه وألزمه بفعله كأداء الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت عند الاستطاعة، فحكم هذا الكسل شرعاً التحريم، ويأثم الكسلان، ويستحق من الله تعالى العذاب الشديد يوم القيامة إذا أصرَّ على كسله .

أما إذا تكاسل الإنسان عن عملٍ من الأعمال الصالحة التي رغب فيها الإسلام كزيارة مـــريض أو إماطة أذى عن طريق، فحكم هذا الكسل الكراهة لأنه يحرم صاحبه من ثوابٍ عظيم كان ســـيناله لولا تكاسله .

التحذير من الكسل

الإسلام يُعلي قدر المسلمين، ويبتغي لهم العزة والكرامة، والحياة الفاضلة، ولا يتحقق ذلك إلا مع العمل، لذلك أمرنا الله تعالى به، فقال: (**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُـــونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) [التوبة: ١٠٥] .

ونهى رسول الله ﷺ عن الكسل، وبين لأصحابه أن العمل هو مقياس رفعة الرجل في قومـــه، وقد روى أن أقواماً قدموا عليه ﷺ فقالوا له: إن فلاناً يقوم الليل ويكثر الذكر .

فقال: " أيكم يكفيه طعام " .

فقالوا: كلنا . أي نتعاون على سد حاجته .

فقال ﷺ: " كلكم خير منه " [أحمد] .

وروى أن أبا بكر رضي الله عنه عندما تولى الخلافة وبعد أن بايعه الناس قابله عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وهو ذاهب إلى السوق، وعلى رأسه أثوابٌ يتاجر بها، وكان يحترف التجارة .

فقالا له: كيف تصنع هذا وقد وليت أمور المسلمين، إنما يجب عليك أن تتفرغ لها .

فقال أبو بكر: ومن أين أطعم عيالي؟

وجعل الرسول ﷺ العمل فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقال ﷺ: " كـــسب الحـــلال فريضة بعد الفريضة " [الطبراني] .

والله تعالى لا يحب الكسول العاجز، بل يحب العبد النشيط العامل، وليس أدل على هذا الحب من أنه يغفر له ذنبه، قال رسول الله ﷺ: " من طلب الدنيا حلالا وتعففاً عن المسألة وســـعياً علـــى عياله، وعطفاً على جاره، لقى الله ووجه كالقمر ليلة البدر " [أبو نعيم والبيهقي] .

أثر الكسل

١ - التدني بين الناس:

الكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، ولا في قومه؛ لأنه اكتفى بالكسل، ورضى أن يعيش عالة على غيره، ولذلك كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: أله حرفةٌ؟ فإن قالوا: لا . سقط من عيني .

فالعمل يمنح الإنسان الشرف والرفعة، ويسوده في قومه، والكسل يجعله وضيعاً محتاجاً إلى غيره .

٢ - الحرمان من الصحة الجسمية:

بالعمل والحركة يزداد الجسم نشاطاً، وتزداد العضلات قوةً، في حين أن الكسول لا يتمتع بكمال الصحة الجسمية؛ لأن جسمه خامل .

وقد أثبت العلم أن لكل إنسان طاقة يستطيع أن يؤدي في نطاقها ما يُكَلَّف به من أعمال تأدية حسنة .

والدين الإسلامي دين العدل، فهو كما يطلب من الإنسان العمل والسعي، فهو في الوقت ذاته لا يكلفه بما يزيد عن طاقته حتى لا يدركه التعب . قال رسول الله ﷺ: " إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرأ " [مسلم] .

٣ - الحرمان من حب الله:

الكسول الذي لا يؤدي ما عليه من واجبات ولا يعمل عملاً نافعاً، يُحرَم منزلة رفيعة ينالها النشيط العامل وهي حب الله له، قال رسول الله ﷺ: " إن الله يحب العبد المحترف " [الطبراني] .

٤ - فقدان الصبر وشكوى الزمان:

الكسل يدفع صاحبه إلى استعجال الأمور، ويقضي عند الكسول على قوة الاحتمال والصبر، والصبر مفتاح الخير، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، قال ﷺ: " إن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً " [أحمد] .

والكسول الذي لا يصبر على الأمور، يكون متبرماً، ودائم الشكو، متخذاً من الزمان ستاراً يداري به كسله، وقد قال حكيم: من دلائل العجز والكسل كثرة الإحالة على المقادير .

٥ - الحرمان من رغد العيش والسعة:

الكسل يورث الفقر، ويحرم صاحبه من الحياة الفاضلة، والرزق الواسع، لأن الكسول يتـأخر عن السعي لطلب الرزق، ويتكاسل عن الاجتهاد في السعي، ويرضى بالقليل تلبية نداء كسله:

وفي ذلك يقول الشاعر:

كأن التواني أنكح العجز بنته

وساق إليها حين زوجها مهراً

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكي

فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

٦- فقر الأمة وتأخرها:

إذا اتصف أبناء أمة من الأمم بالكسل، فإن ذلك سيكون سبباً في تأخرها بـين الأمـم؛ لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، ولهذا السبب نبه الإسلام على مترلة العامل، وأمر بإعطائـه أجـره كاملا وبسرعة . فقال رسول الله ﷺ: " أعطوا الأجير حقه (أجره) قبل أن يجف عرقـه " [أبـو يعلي والطبراني] .

فالأمة القوية المنتجة تسعى إلى السيطرة على غيرها من الأمم الضعيفة الفقيرة، لذلك فلا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل .

٧- عذاب النار:

الذي يتكاسل عن العمل وطلب الرزق ويركن إلى التواكل والمسألة يأتي يوم القيامة في وجهه نكتة سوداء، قال النبي ﷺ عندما جاءه رجل يطلب صدقة: " هذا (العمل والسعي) خير لك مـن أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة " [أبو داود] .

وأما التكاسل عن الصلاة فإن صاحبه لا يرى في قبره إلا الظلمة والوحشة، وما إن يـستقر في قبره حتى يأتيه ثعبان رهيب مخيف يُسمَّى " الشجاع الأقرع " يضربه ضربة يهـوي بها إلى بـاطن الأرض، ثميوكن مصير المتكاسل بعد ذلك الويل والجحيم في جهنم، قال تعالى: (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**) [الماعون: ٤ – ٥] .

أما من يتكاسل عن التقرب إلى الله تعالى بذكره، فسوف يحشره الله تعالى أعمى، يتخـبط في ظلمات الجحيم لا يدري من أين يأتيه العذاب، قال تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) [طـه: ١٢٤ – ١٢٦] .

علاج الكسل

- البحث عن عمل شريف:

يروى أن رجلا أتى إلى رسول الله ﷺ يسأله أن يعطيه شيئاً، فسأله ﷺ: " أما في بيتك شيء؟ " .

فقال الرجل: في بيتي رداء نلبس بعضه ونفترش بعضه، وإناء نشرب فيه .

فأراد الرسول ﷺ أن يعلمه، فأمره أن يُحضر هذه الأشياء، ثم باعها النبي ﷺ بدرهمين، وأعطاهما له، وأمره أن يشتري بأحدهما طعاماً، وبالآخر قدوماً يحتطب به، ثم يأتي بعد خمسة عشر يوماً، ليخبر الرسول ﷺ بنتيجة عمله .

فعل الرجل ما أمره به الرسول، فربح ربحاً كثيراً .

وعندما عاد إليه بعد خمسة عشر يوماً وأخبره بما كسب، قال له النبي ﷺ: " هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة " [أبو داود] .

- التعود على التبكير:

لا بد من التعود على الاستيقاظ مبكراً، ليتخلى الجسم عن الخمول، ويتعود النشاط والحركة، وينال بركة اليوم، ويستفيد بساعات أطول منه .

وقد أوصانا الرسول ﷺ بذلك، ونبَّه إلى أهمية البكور . فقال ﷺ: " اللهم بارك لأمتي في بكورها " [الخرائطي] .

- الاستعانة بالله:

الاستعانة بالله تعالى لها فضل كبير في التغلب على التعب والمشقة والكسل، والتزود بالقوة والنشاط، ومن يطلب العون من الله يجده تجاهه يعينه ويقويه، وقد أوصانا رسول الله ﷺ بذلك، فقال: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " [مسلم] .

- معاتبة النفس على التقصير:

المسلم الصالح يسعى لتغيير ما به من عيوب، فإذا تكاسل عن واجب – مثلا -، يلوم نفسه ويعاتبها حتى يصلحها، ولا يعود لذلك .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم مثلا أعلى في لوم النفس على التقصير . فقد أذنب أبو لبابة ﷺ ذنباً، فدخل إلى إحدى أعمدة المسجد، وربط نفسه بحبل، وأقسم ألا يفك رباطه حتى يغفر الله تعالى له، وبقي أبو لبابة على هذا الحال، حتى جاء رسول الله ﷺ وأطلقه .

- اتخاذ القدوة والمثل الأعلى:

فالذي يرغب في التحلي بالنشاط والهمة والتخلي عن الكسل والخمول، عليه أن يضع أمام عينيه قدوةً ومثلاً أعلى يحتذي به .

وسيرة المسلمين العَطِرة مليئة بهذه النماذج .

فرسولنا الكريم ﷺ كان مثال الجد والنشاط، فكان يعمل ولا يركن أبداً إلى البطالة والكسل.

فمنذ صغره كان يعمل راعياً للغنم . قال ﷺ: " كنت أرعى الغنم على قراريطٍ لأهل مكة " [البخاري] .

ثم عمل بالتجارة مع عمه أبي طالب، ثم عمل تاجراً في مال السيدة خديجة رضي الله عنها .

و لم يتكاسل ﷺ عن المساعدة في أعمال البيت، فكان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويعلف فرسه، و لم يتكاسل ﷺ على علو شأنه وسيادته أن يشارك أصحابه الأعمال، فقد شاركهم حفر الخندق بيده الكريمة، وكان يحمل الأحجار على كاهله .

ولنا أسوة حسنة في أنبياء الله جميعاً، فلم يتكاسل واحد منهم عن عملٍ يضمن له رزقاً، فبرغم مسؤلية النبوة وتبليغ الرسالة كان لكل نبي عمل يقوم به ويرتزق منه رزقاً حلالا .

فكان آدم عليه السلام حارثاً، وكان إدريس عليه السلام خياطاً، وكان زكريا عليه السلام نجاراً، وكان داود عليه السلام حداداً يصنع الدروع . قال تعالى في حقه: (**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**) [الأنبياء: ٨٠] .

وقد خصَّه رسول الله ﷺ بالذكر فقال: " ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " [البخاري] .

وذلك لأنه كان صاحب ملك وأموال وفيرة ومع ذلك لم يتكاسل، ولكنه عمل عملا يرتـــزق منه و لم يركن إلى الكسل، وكان نوح عليه السلام رائداً في صناعة السفن . قال (**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْـــنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**) [المؤمنون: ٢٧] .

وعمل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بحرفة البناء . قال تعالى: (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِـــدَ مِـــنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) (البقـــرة: ١٢٧] .

وعمل يوسف عليه السلام وزيراً لاقتصاد مصر، فحماها وأهلها من المجاعة . قال تعـــالى: (**قَـــالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**) [يوسف: ٥٥] .

وصايا

١- عوِّد نفسك الاستيقاظ مبكراً حتى تستفيد بالوقت وتنال بركة اليوم .

قال ﷺ: " باركوا الغدوِّ في طلب الرزق، فإنه بركة ونجاح " [البزار والطبراني] .

٢- اسع على رزقك، فهو لا يأتيك وأنت جالس، واعلم أن الكسل عن السعي مفتاح الفقر .

قال الإمام علي – رضي الله عنه –: التواني مفتاح البؤس، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة، ونتجت الهلكة، ومَنْ لم يطلب لم يجد .

٣- لا تخذ الكسول صديقاً ترافقه؛ لأنه سيؤثر عليك بكسله، فالمرء على دين خليله، وقد قال حكيم: احذر مجالسة العاجز (الكسول) فإنه إن سكن إلى عاجز أعداه من عجزه، وأمده من جزعه، وعوَّده قلة الصبر، ونسَّاه ما في العواقب .

٤- عوِّد نفسك الحركة والنشاط، فقد قال أحد الحكماء: الحركة بركة، والتواني هلكة، والكسل شؤم .

٥- احرص على أن يكون لك عمل شريف يضمن لك الرفعة، ويعفك عن مسألة الناس، ويجعلك سيداً .

فقد سأل معاوية رضي الله عنه سعيد بن العاص رضي الله عنه عن مالروءة فقال: العفة والحرفة .

وقال حكيم: يا فتيان احترفوا، فإني لا آمن عليكن أن تحتاجوا إلى الأمراء .

٦- لا تنشغل بالعمل عن الفرائض، فقد قال حكيم: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض من العمل فتضيع أمر آخرتك، ولا تنال من الدنيا إلا ما كتب الله لك .

٧- اعلم أن الكسل آفة تبعد الإنسان عن كل خير .

وقد قال لقمان يوصي ابنه: يا بني إياك والكسل والعجز والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤدِ حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر مع حق .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر الغضب

إعداد: ألفت محمد عبد الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الغضب قوةٌ فطريةٌ، غَرَزَها الله تعالى في الإنسان؛ لأنه يحتاج إليها في الدفاع عن نفسه عندما تُواجهه الأخطار . وعلى الإنسان أن يهذب هذا الغضب . وينبغي ألا يكون الإنسان سريع الغضب، فيخرج عن الهدوء وحسن الخلق لأقل الأسباب . وكذلك لا يكون من الذين لا يغضبون إذا تعرضوا لأسباب مغضبةٍ، كرؤية الفاحشة والمنكر، أو انتهاك المحارم، فهذا الغضب مباح . فقد كان الرسول ﷺ من أحلم الناس، ولكنه كان يغضب للحق إذا انتهكت حرماته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عن الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تُنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم . [أحمد] .

تعريف الغضب

الغضب لغة:

الغضبُ: أصل من مادة (غ ض ب) والتي تدل على شدةٍ وقوةٍ .

ويقال: إن الغضبة الصخرة الصلبة، ومنه اشتق الغضب؛ لأنه اشتداد السخط .

وقيل هو: استجابة لانفعال يتميز بالميل إلى الاعتداء .

والغضوب: هو الكثير الغضب والسريع الغضب، وهو للمذكر والمؤنث . وغاضب فلان فلاناً: أي أغضب كل منهما الآخر . وغَاضَبه: أي خاصمه وهجره . والغَضِب: هو السريع الغضب . وغَضِبَ له: أي غَضِبَ على غيره من أجله، وذلك إذا كان حياً، فإن كان ميّتاً قيل غَضِبَ به . أي بسببه .

الغضب في الشرع:

قال الإمام أبو حامد الغزالي: الغضب غليان دم القلب بطلب الانتقام .

وقال الإمام الجرجاني: الغضب تغيُّر يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر .

والغضب منه محمود ومنه مذموم، فالمحمود ما كان في جانب الدين والحق، والمذموم ما كان في غير الحق، والذي يُخرج الإنسان عن حسن التصرف، ويدفعه إلى إطلاق اللسان بالسبِّ والشتم، أو اندفاع الجوارح بالضربِ والتهجم .

دين الحلم:

الدين الإسلامي دين الرحمة والحلم، وخلقه خلق اللين والرفق، والله تعالى حليم يحب الحلم، قال تعالى في الحديث القدسي: " سبقت رحمتي غضبي " [مسلم] .

وكان ﷺ يوصي بعدم الغضب وإمساك النفس وكظم الغيظ . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني، فقال ﷺ: " لا تغضب " . [البخاري] .

صور الغضب

تتعدد مظاهر الغضب وتختلف صوره من حالة لأخرى ومن ذلك:

١ - السباب:

قد يندفع الغاضب في سب وشتم الآخرين رداً لعدوانهم عليه، وتسكيناً لغضبه، وذلك شيء مذموم؛ لأن المسلم عفيف اللسان، حابس لسانه عن الفحش . قال ﷺ: " ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء " [أحمد] .

ويروى أن وفداً من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام (الموت) عليك يا محمد، فقال ﷺ: " وعليكم " ، فأدركت عائشة رضي الله عنها قولهم، فقالت: بل السام عليكم واللعنة، فعاتبها رسول الله ﷺ وقال: " يا عائشة إن الله رفيق يحبُّ الرفق في الأمر كله " . فقالت ألم تسمع ما قالوا؟ فقال ﷺ لها: " قد قلتُ وعليكم " [أحمد والترمذي] .

٢ - الضرب والتهجم والقتل:

فالغاضب يسكنه الشيطان، ويُهوِّن عليه فعل الفواحش والمصائب .

يروى أن امرأة من اليهود جاءت إلى الرسول ﷺ بشاة مسمومة، ليأكل منها، فعلم النبي ﷺ أنها مسمومة، فامتنع عن الطعام وأعلم أصحابه بذلك، فغضبوا، وهمُّوا بقتل المرأة، ولكن الرسول ﷺ أراد أن يُعلِّم أصحابه الحلم، فمنعهم من ذلك .

وجاءت إلى النبي ﷺ غنائم فقسمها بين المسلمين، فقال له رجل كان يدعى ذو الخويصرة: أيا محمد! قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم .

فقال النبي ﷺ: " أجل فكيف رأيتَ؟ " .

فقال ذو الخويصرة: لم أرك عدلتَ .

فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: " ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند مَنْ يكون؟ " .

فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: يا رسول الله ألا نقتله؟

فقال الرسول ﷺ: " لا . دعوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية " [أحمد] .

٣- الدعاء على النفس:

كثيراً ما يثور الإنسان ويغضب، فيدعو على نفسه بالشرِّ، أو يدعو على أهله وأولاده، ويحدث هذا نتيجة شدة الغيظ، الذي يضيع معه التمييز بين الشرِّ والخير، ومن ثم يقع في هذه المعصية التي نهى الله تعالى عنها بقوله: (**وَيَدْعُ الْأِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْأِنْسَانُ عَجُولاً**) [الإسراء: ١١] .

٤- تكسير الجمادات:

قد يدفع الغضب الإنسان أحياناً إلى فعل أمور أقرب إلى الحمق والغباء، ومن ذلك: أن يحطم الإنسان الأشياء التي يستخدمها من أواني ومقاعد وأثاث . وذلك ضرر وحمق، لأنه ضياع للمال بتكسير ما ينتفع به الإنسان، وفيه أيضاً عصيان لله تعالى؛ لأن فيه طاعة للشيطان وتمادٍ في الغضب .

٥- سبُّ الدهر والأيام والحيوانات:

قد يدفع الغضب الإنسان، فيجعله يسبُّ الأيام والسنين، ويشتم ما أمامه من طير أو حيوان، والسب منهي عنه حتى لو كان لحيوان أو لجماد أو لزمان أو لمكان .

قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: " يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلبُ الليل والنهار " [البخاري] .

ونهى النبي ﷺ عن سبِّ الديك وهو حيوان لا يعقل، فقال ﷺ: " لا تسبُّوا الديك فإنه يوقظ للصلاة " [أبو داود] .

حكم الغضب

كل غضب يؤدي إلى حرام من بذاءة وفحش فهو محرم شرعاً، وذلك لأن منهج الإسلام أن يُحرِّم كل ما يؤدي إلى ما هو حرام، وذلك من باب سد الذرائع .

ومن هنا فإن الغضب المذموم، الذي لا يكون لله ورسوله أو ثأراً لانتهاك المحارم، فهو محرم شرعاً؛ لأنه يؤدي إلى سبٍّ أو قتل أو ضرب وتهجم على المسلم، وكل ذلك حرَّمه الله تعالى على المسلم .

التحذير من الغضب

ذم الله تعالى المشركين بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، في الوقت الذي مدح فيه المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة والحلم . فقال تعالى: (**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) [الفتح: ٢٦] .

فالله تعالى حليم يحب الحلم وينهى عن الغضب .

وقد أوصى الرسول ﷺ بعدم الغضب عندما جاءه رجل يطلب النصيحة، وقال: مُرني بعملٍ وأقلل . فقال ﷺ له: " لا تغضب " [البخاري] .

وكما نهى النبي ﷺ عن الغضب، فإنه في ذات الوقت عظَّم جزاء الكاظم لغضبه، فقال ﷺ: " ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعةِ غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى " [ابن ماجه] .

وكان ﷺ مثالا رائعاً لضبط النفس عند الغضب . يروى أن رجلا جاءه وهو جالس في المسجد مع أصحابه، وقال له بغلظة: يا محمد! احلمني على بعيرين فإنك لا تعطيني من مالك، ولا من مال أبيك، وشده من جلبابه حتى احمرت رقبته ﷺ .

فلم يقابل الرسول ﷺ هذا الغضب والحمق بمثله بل كان حليماً، فذكر الله واستغفره ليهـــدأ، ثم طلب من الرجل أن يترك رقبته، ودعا رجلا من أصحابه، وقال له: " احمله على بعيرين: بعير شعير وبعير تمر " [أحمد] .

وبين النبي ﷺ قوة من يكظم غيظه ولا يغضب، فقال ﷺ: " ليس الشديد بالصُّرعة، وإنمـــا الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " [متفق عليه] .

آثار الغضب

يؤدي الغضب إلى أضرار كثيرة، ومن ذلك:

١ - تملك الشيطان من الإنسان:

إن الذي يطيع غضبه يكون تابعاً للشيطان . قال ﷺ: " إن الغضب من الشيطان " [أحمد] .

ومن كان تابعاً للشيطان، فسوف يخسر دنياه، ولذلك يقول إبليس: لا يعجـــزني ابـــن آدم إذا غضب: قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم، وبخَّلته بما في يديه، ومنَّيته بما لا يقـــدر عليه .

ويقول الشيطان: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضى جئتُ لأكون في قلبه، وإذا غَضِبَ طِـــرتُ لأكون في رأسه .

ويحكى أن ذا القرنين لقى ملكاً من الملائكة، فقال له: علِّمني علماً أزددْ به إيماناً ويقيناً .

فقال له: لا تغضب، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فـــرُدَّ الغـــضب بالكظم، وسكِّن بالتُّؤدة، وإيّاك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأتَ حظَّك، وكن سهلا ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جبَّاراً عنيداً .

٢ - دناءة الخلق:

لحظات الغضب، تفقد الإنسان كرم خلقه، وتُخرجه عن حسن التصرف، وتفتح باب العداوة بينه وبين الناس، فيتحول الحبُّ كُرْهاً، ويصير الوصالُ قطيعة، ولذلك فالغضب ليس من شيم الكرام .

كتب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أنه غاضب على عبادة بن أسلم البكري، وأمره أن يقطع رأسه ويرسل بها إليه .

فلما همَّ الحجاج أن يفعل ما أمر به عبد الملك، ودعا السيَّاف ليقطع رأس عبادة، وقف عبادة حزيناً يبكي، ويستعطف الحجاج قائلاً: أيها الأمير أنشدك الله ألا تقتلني، فإني أعول (أنفق علـــى) أربعاً وعشرين امرأة ما لهن كاسب ولا عائل غيري، فتحرك الحلم في قلب الحجاج ورقَّ قلبه لحـــال عبادة، فأرسل يستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك، فأخذه وأمر له بأموال عوناً له .

٣- كره الناس:

إذا عُرِفَ عن إنسان أنه غضوب لا يمسك نفسه عن الانقياد لغضبه، ابتعد عنـــه الأصـــحاب، وخافوا رفقته اجتناباً لغضبه .

قال الأحنف لابنه: يا بني إن أردتَ أن تؤاخي رجلا، فأغصبه حتى تختبره، فإن أنـــصفك وإلا فاحذره .

وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا كنت مختصاً لنفسك صاحباً

فمن قبل أن تلقاه بالود أغضبه

فإذا كان في حال القطيعة منصفاً

وإلا فـــــقد جربته فتجـــنبه

فالحليم يَكْسَبُ حبَ الناس، ويكون سيداً فيهم يستمعون له ويستنصحون به ويسودوه عليهم .

٤ - النميمة:

قد يدفع الغضب صاحبه إلى النميمة حيث ينم مَنْ أغضبه، ويقع في عرضه، فيأثم بذلك، ويفقد حب الآخرين له .

قسَّم رسول الله ﷺ بعض الغنائم يوم حنين، فقال رجل: والله إن هذه قسمة لا عدل فيهـــا، وما أُريد بها وجه الله، فغضب أحد الصحابة لما سمع ذلك منه، وقال له: والله لأخبرن الرســـول ﷺ،

فأتاه فأخبره . فقال ﷺ: " من يعدل إن لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر " [البخاري] .

٥- تغيير المظهر:

من آثار الغضب تغير شكل الغاضب إلى الأسوأ، فيحمرَّ لونه، وترتعد أطرافه، وتصبح صورته سيئة تُفْزِع مَنْ يراه، وتجعله يبتعد عنه، وينفر منه، وكذلك تتغير أفعاله، حيث تضطرب حركته، ويفحش كلامه، فيصير بذلك قبيح الباطن والظاهر . قال ﷺ: " إن الغضب جمرة توقد في القلب، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فلينم، فإن لم يزل كذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء " [الترمذي] .

٦- عدم الفوز بعفو الله يوم القيامة:

الذي يغضب فيندفع بالسبِّ أو الضرب أو غير ذلك، يغضب عليه الله تعالى، ويحرم نفسه من عفو الله يوم القيامة، ويحرم نفسه أيضاً من منزلة رفيعة في الجنة يتمتع فيها الكاظمون للغيظ .

قال الحسن بن الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى منادي من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا العافون عن الناس، وتلا: (**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**) [الشورى: ٤٠] .

ولذلك أوصى رسول الله ﷺ بعدم الغضب عندما سأله أبو الدرداء رضي الله عنه عن عملٍ يدخل الجنة، فقال ﷺ: " لا تغضب " [الطبراني] .

فكاظم الغيظ يكون من أسمى الناس منزلة يوم القيامة ويفوز بما لا يفوز به الغاضب .

وقال ﷺ: " من كتم غيظاً وهو قادر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره في أي الحور شاء " [أحمد] .

٧- التعرض لعذاب الآخرة:

السيئات التي يفعلها الإنسان وهو غاضبٌ تُنْقِص من ميزان حسناته وتقربه من أهل النار، ويُحرم من رحمة الله تعالى التي لا يتمتع بها إلا الكاظمون للغيظ، العافون عن الناس .

قال ﷺ: " من كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن حزن لسانه ستر الله عورته " [الطبراني] .

٨- إفلاس من الحسنات:

فالغاضب يأتي يوم القيامة مفلساً من الحسنات . قال رسول الله ﷺ: " أتدرون من المفلس؟ " .

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .

فقال ﷺ: " إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، ويأتي وقد شتم هـذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته، وهـذا مـن حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليـه، ثم طـرح في النار " [مسلم] .

أسباب الغضب

قال الإمام الغزالي مبيناً أسباب الغضب: والأسباب المهيجة للغضب هي: الزهـو والعجـب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة (العناد) والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجـاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً . [إحياء علوم الدين] .

علاج الغضب

١ - ذكر الله تعالى:

إذا غضب الإنسان فعليه أن يذكر الله تعالى؛ لأنه بذكر الله تكون طمأنينة النفس . قال تعالى: (**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) [الرعد: ٢٨] .

والغضب جمرة من نار، يحركها الشيطان داخل الإنسان . قال ﷺ: " إذا استشاط السـلطان تسلط الشيطان " [أحمد] .

لذلك فقد أوصانا الله بالاستعاذة من الشيطان الرجيم . فقال تعالى: (**وَإِمَّـا يَنْزَغَنَّـكَ مِـنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [الأعراف: ٢٠٠] .

وعن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه أنه قال: استبَّ رجلان عند رسـول الله ﷺ، ونحـن عنـده جلوس، وأحدهما يسبُّ صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: " إني لأعلم كلمة لو قالهـا لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " [متفق عليه] .

٢ - السكوت:

إذا شعر المسلم بالغضب فعليه أن يصمت ولا يتكلم، ولا يفعل شيئاً، حتى لا يندم بعد ذلك . قال ﷺ: " إذا غضب أحدكم فليسكت " [أحمد] .

وروى أن عمر رضي الله عنه رأى سكران، فأراد أن يأخذه ليعاقبه، فشتمه السكران، فرجـع عنـه عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لمّا شتمكَ تركتَه .

قال: إنما تركتُه لأنه أغضبني فلو عاقبته، كنتُ قد انتصرت لنفسي، ولا أحـبُّ أن أضـربَ مسلماً لحمية نفسي، فانتظرتً حتى أهدأ من غضبي ثم أتصرف .

وقال أبو ذر رضي الله عنه لخادمـه ذات يوم: لِمَ أرسلتَ الشاة على علف الفرس؟

فقال الخادم: أردتُ أن أغضبك .

فأمسك أبو ذر رضي الله عنه نفسه، وقال للخادم: لأجمعن مع الغيظ أجراً، اذهب فأنت حرٌّ لوجـه الله .

وكتب أحد الملوك ثلاث صحف، ثم أعطى لكل رجل صحيفة . وقال للرجل الأول: إذا اشتد غضبي قم إليّ بهذه، وقال للرجل الثاني: إذا سكن بعض غضبي أعطني هذه، وقال للرجل الثالـث: إذا ذهب غضبي أعطني هذه .

وكان مكتوب في الصحيفة الأولى: أقصر فما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً . وكان مكتوب في الصحيفة الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . وكان مكتوب في الصحيفة الثالثة: احمل عباد الله على كتاب الله فلا يصلحهم إلا ذاك .

٣- الوضوء:

الوضوء طهور، وبه يبتعد الشيطان عن الإنسان؛ لأن ماء الوضوء يطفئ نار الغضب، يقـول النبي ﷺ: " إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تُطفأُ النارُ بالماء، فإذا غَضِبَ أحدكم فيتوضأ " [أبو داود] .

٤ - الدعاء:

إذا شعر المسلم بالغضب قد سكنه، فعليه أن يتذكر الله تعالى، ويدعوه أن يُذْهب عنه الغضب، ويملأه بالهدوء والسكينة، والله تعالى قريب من عباده يستجيب لدعواتهم . قال تعالى: (**وَإِذَا سَـأَلَكَ**

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦] .

٥- تغيير الوضع:

أوصانا رسول الله ﷺ أن نغير الوضع عند الإحساس بالغضب، فقال ﷺ: " إن الغضب جمرة توقد في القلب، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس، وإن كان جالساً فلينم، فإن لم يزل كذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء " [الترمذي] .

وقال ﷺ: " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع " [أحمد وأبو داود] .

٦- تذكر قدرة الله:

من تذكر قدرة الله، وخاف مقام ربه، فإنه سوف يطيع الله، ويرجع عن غضبه، لذلك قال أحد الحكماء: من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته .

وقيل: مكتوب في التوراة: يا بن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق .

ويحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد غضب على رجلٍ فهمَّ بعقابه .

فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين! أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي .

فعفا عنه أمير المؤمنين لتذكر قدرة الله .

٧- تذكر ثواب العفو:

فالعفو والصفح لهما جزاء عظيم عند الله . قال تعالى: (**وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [النور: ٢٢] .

وسبب نزول هذه الآية أن أبا بكر رضي الله عنه كان ينفق على ابن خالته مسطح ابن أثاثة؛ ليُتْمِه فلما تحدث مسطح في حادثة الإفك، غضب عليه أبو بكر، وقطع عنه ما كان يعطيه، فاعتذر له

مسطح، ولكن أبا بكر لم يقبل اعتذاره . فأنزل الله تعالى: (**وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [النور: ٢٢] .

ففرح أبو بكر بقول الله تعالى، وقال: بلى يا رب لقد تجازوت وصفحت .

وعاد إلى مسطح فأعطاه ما كان يعطيه .

٨ - التخلق بالحلم:

من علاج الغضب التخلق بالحلم والرفق بالجاهل، لضعف إدراكه وقلة علمه . قال تعالى: (**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**) [فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجل أسمعه كلاماً أغضبه: يا هذا لا تغرقن في سبِّي، فإنا لا نكافأ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

ودخل رجل على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال له: والله ما تعطينا الجزل (العطاء الكثير)، ولا تحكم فينا بالعدل .

فغضب عمر حتى همّ أن يضربه .

فقال له أحد الجالسين: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**) [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين .

فما جاوزها عمر حين تلاها، فقد كان عمر ممتثلا لحدود الله .

٩ - قبول الاعتذار:

غضب أمير المؤمنين هارون الرشيد على رجل كان يُدعى حميد الطوسي، فدعا له السيّاف ليقتله، فبكى حميد وأخذ يعتذر ثم قال له: مولاي لا أبكي خوفاً من الموت، وإنما أبكي لأني سأموت وأنت غاضبٌ عليّ، فضحك أمير المؤمنين هارون، وقّبل عذره، وعفا عنه، ثم قال للرجل: إن الكريم إذا خادعته انخدع .

وصايا

١- لا تغضب؛ لأنه إذا عرف عنك، أنك غضوب، استخف الناس بك و لم يهتموا بما تفعله .

٢- تذكر عفو الله عنك، فاعفُ عن الناس . قال رجاء ابن حيوة لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: أعطاك الله ما تحب من النصر فاعطِ الله ما يحب من العفو .

٣- لا تجعل الغضب يدفعك إلى الانحياز عن الحق، بل كن منصفاً حتى وإن كنت غاضـــباً . وتذكر الحكمة: إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذل الاعتذار .

٤- لا تخالط إلا أهل الحلم، وتذكر قول عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه -: أنظـــروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذ لم يغضب، وما علمك بأمانته إذ لم يطمع .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر الإسراف

إعداد: صفاء رشاد



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الإسراف نوع من مجاوزة حد الاعتدال والتوسط . والإسلام دين اعتدال، وهو يرفض الجنوح والشطط . قال تعالى: (**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) [لقمان: ١٩] . وقد قال أعرابي لابن عباس – رضي الله عنهما -: إن العرب تقول: حب التناهي شطط، وخير الأمور الوسط . فهل هذا في القرآن؟ قال: نعم . في أربعة مواضع . في قوله تعالى: (**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**) [البقرة: ٦٨] . أي وسط في السن بين الكبر والصغر . وقوله: (**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**) [الإسراء: ٢٩] . أي فتوسط بين الأمرين في الإنفاق . وقوله: (**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**) [الإسراء: ١١٠] . وهذا السبيل هو الوسط في القراءة . وقوله: (**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**) [الفرقان: ٦٧] . أي وسط في المعيشة .

تعريف الإسراف

أولاً: الإسراف في اللغة:

الإسراف في اللغة يعني مجاوزة القصد . ومجاوزة القصد يعني: مجاوزة حد الاعتدال . وتتصل كلمة الإسراف بكل شيء في حياتنا ينبغي التصرف فيه، فإذا جاوزنا فيه حد القصد كنا مسرفين . والإسراف في المال، يعني إنفاقه فيما لا يفيد . والإسراف في الوقت: تضييعه وإهداره فيما لا ينفع . والإسراف في الكلام يعني الثرثرة وكثرة اللغو، وإفشاء السر . والإسراف في الأكل والشرب يعني التخمة وتجاوز القصد فيه، وهو مجاوزة حد الشبع أو ما يفوقه . وفي المعاصي: تجاوز الحلال إلى الحرام والاستزادة منه . وفي الحدود: تجاوز إقامة الحد والزيادة عليه . ويرتبط بالإسراف كلمة أخرى، وثيقة الصلة بها، وهي كلمة التبذير، ولها معانٍ تقترب من الإسراف إلى حد بعيد، ولكنها أكثر التصاقاً بالإسراف في المال والإنفاق .

قال تعالى: (**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**) [الإسراء: ٢٦ – ٢٧] . فالتبذير في المال، يعني تفريقه إسرافاً .

وبذر الحديث: أفشاه ونشره . وبذر المال: ألقاه في الأرض . وتبذر الشيء: انتشر وتفرق . واستبذر السحاب: أسرع وفرق ماءه . ومن ذلك تبين أن كلمة التبذير، تعني أيضاً تجاوز حد الاعتدال .

ثانياً: الإسراف في الشرع:

الإسراف في الشرع يعني تجاوز حد التوسط والاعتدال فيما شرع الله، أو فيما نهى الله عنه . والإسراف في المال: إهداره فيما حرم الله، إو إهداره في حلال، ولكنه ليس في ضرورة . قال تعالى: (**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**) [الفرقان: ٦٧] . والإسراف في المعاصي: البعد عن الحلال والاستزادة من الحرام . قال تعالى: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**) [الزمر: ٥٣] . والإسراف في الكلام: الغيبة والنميمة، والبهتان، وإفشاء السر، وقول الزور، وشهادة الزور، وغيرها مما يجري الكلام فيه فيما حرم الله . والإسراف في الوقت: إهداره، وضياعه فيما حرم الله، وعدم أداء الفرائض فيه . والإسراف في الحدود: تجاوزها إلى غير ما حدد الله . قال تعالى: (**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً**) [الإسراء: ٣٣] . والإسراف في القتل كما قال المفسرون: لا يقتل غير قاتله، فإذا قتل غير قاتله، فقد أسرف . والإسراف في الأكل والشرب: يعني تجاوز القصد منه وهو إقامة الصلب، وحفظ الحياة للنفس إلى التفنن في صفوف الأطعمة، والشبع الزائد منها، قال تعالى: (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**) [الأعراف: ٣١] . وقد يعني أيضاً: أكل ما لا يحل أكله، وشرب ما لا يحل شربه .

أنواع الإسراف وأشكاله:

الإسراف نوعان:

١- الإسراف في الأقوال .

٢- الإسراف في الأعمال .

ويقصد القول كل ما يقوم به اللسان من كلام .

ويقصد بالعمل كل ما تقوم به الجوارح من تصرفات .

أولاً: الإسراف في الأقوال:

جعل الله – تعالى – اللسان وسيلة للتعبير عن النفس وخواطرها وأفكارها، كما جعله وسيلة للتعارف والتآلف بين الناس، وقد خصَّص الله اللسان للكلام، وحدد له ما ينبغي له التحدث فيه، ألا وهو الحسن من الكلام، الذي يؤلف القلوب ويصلح بين الناس، ويحق الحق ويبطل الباطل . قال رسول الله ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " [متفق عليه] . وقال رسول الله ﷺ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " [متفق عليه] . كما قال ﷺ: " وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلاما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو يسكت عن شر، قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شر تسلموا " [الطبراني] .

أما المذموم من الكلام فهو:

١ - الغيبة:

وهي ذكر الشخص الغائب بما يكره، وفي ذلك إساءة له، وإظهار لعيوبه ومساوئه، وقد حذر الإسلام من الوقوع في الغيبة، صور القرآن الشخص المغتاب في أبشع صورة . فقال تعالى: (**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**) [الحجرات: ١٢] .

٢ - النميمة:

وهي نقل الكلام بين الناس للإفساد بينهم . وللنميمة آثار اجتماعية سيئة، ولذلك أكد الإسلام على حرمتها، ودعا المسلم للوقوف ضدها . قال تعالى: (**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**) [القلم: ١٠ – ١١] .

٣ - البهتان:

ذكر الآخرين بما ليس فيهم، وشاية بهم، وإساءة إليهم . وقد توعد الله لهم باحتمال الإثم المبين، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) [الأحزاب: ٥٨] .

٤ - الكذب:

نهى الشرع عن الكذب، وحث على الصدق، لما في الكذب من ضرر للفرد والمجتمع، ولــذلك توعد الله الكاذبين بالعذاب الأليم . قال تعالى: (**وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**) [طــه: ٦١] . وكذلك توعدهم رسول الله ﷺ فقال: " من كذب عليّ متعمداً؛ فليتبوء مقعده من النار " [متفق عليه] .

٥- قول الزور وشهادة الزور:

والزور هو الباطل اللابس ثوب الحق، وذلك لتغليب جانب الباطل على جانب الحق، لــصالح بعض المنتفعين من أصحاب الباطل . وفي ذلك إضرار بأصحاب الحقوق، ولذلك نهى الله عن قــول الزور وشهادة الزور . قال تعالى: (**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**) [الحج: ٣٠] . وحث المــؤمن علــى الشهادة بالحق ولو على نفسه . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّــهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**) [النساء: ١٣٥] .

٧- اليمين الغموس:

هو أن يحلف الإنسان بالله كذباً، وهو قاصد ومتعمد لذلك، وقد نهى الــشرع عــن الــيمين الغموس وحذر منه رسول الله ﷺ فقال: " الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل الــنفس، واليمين الغموس " [البخاري] .

٨- تأليف الكلام:

بهدف إهمال الآخرين، وفي ذلك ضياع للوقت، وإهدار لقيمته، وتعويد للسان المــسلم علــى الكذب . قال رسول الله ﷺ: " ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القــوم، ثم ويــل لــه " [الترمذي] .

٩- الثرثرة:

وهي كثرة الكلام، وتكلف الشخص في الفصاحة ليظهر شخصيته أمام الناس . وقــد حــذر الإسلام من الثرثرة، وكثرة الحديث فيما لا يفيد، وأكد على حرمان الثرثارين من فــضل عظــيم في الآخرة، لا يحصل عليه إلا من ضبط لسانه وكفَّهُ عن الخطأ، قال رسول الله ﷺ: " إن من أحــبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . . وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون " [الترمذي] .

١٠ – الحلف بغير الله:

فلا يجب على المسلم الحلف بغير الله، يقول رسول الله ﷺ: " لا تحلفوا بالطواغيت (الأصنام)، ولا بآبائكم " [مسلم] . وكذا الحلف على السلعة ولو بالصدق، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: " الحلف منفعة للسلعة؛ ممحقة للكسب " [متفق عليه] .

ثانياً: الإسراف في الأعمال:

يتمثل الإسراف في الأعمال في عدة أمور:

أ- الإسراف في الإنفاق . ومن مظاهره:

- الإسراف في الملبس والمأكل:

نهى الشرع عن الإسراف في التفنن في أصناف الملابس، والتي تتسم بالإبهار، والاختلاف عن الآخرين لمجرد التميز . قال رسول الله ﷺ: " لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره خيلاء " [أحمد] . كما نهى الإسلام عن لبس الحرير والذهب للرجال؛ لما في ذلك من إسراف وخروج عن الهدف الرئيسي من الثياب، وهو ستر العورة وحماية الجسد . ونهى عن الإسراف في المأكل والمشرب، والذي قد يصل أحياناً إلى حد الجشع والطمع، والاستزادة من التهام الطعام، وإهداره . قال رسول الله ﷺ محدداً الهدف من الطعام والشراب: " كل واشرب، وتصدق في غير إسراف ولا مخيلة " [أحمد] . وقد حرص الإسلام على طهارة شراب المسلم وسلامته من كل سوء، كما نهى عن شرب الخمر، وما يشابهها في التأثير؛ لما فيها من مفسدة للمال والصحة .

- الإسراف في المسكن:

ويتمثل ذلك في سكن القصور الفخمة، وصرف الكثير من البالغ الطائلة لتزيينها، وتجميلها لمجرد المباهاة، وما يلزم لذلك من اقتناء التحف والنوادر من الذهب والفضة، ووضعها للزينة . وقد نهى الإسلام عن ذلك، لما فيه من إهدار للمال، وعدم استثماره لنفع المجتمع الإسلامي والنهوض به .

ب- الإسراف في المعاملات المالية:

ورغم أن كلمة الإسراف تتصل بأكثر من مفهوم، فإنها أكثر التصاقاً بالإنفاق الزائد عن الحد، ولهذا فقد أكد الإسلام على أهمية المال، وبيَّن النواحي الشرعية لإنفاقه، وحذر المسلم من إهداره . قال تعالى ينهى عباده عن التبذير: (**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**) [الإسراء: ٢٦ – ٢٧] . كما نهى عن المعاملات المالية غير الشرعية كالربا . قال تعالى: (**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا**) [البقرة: ٢٧٥] . ونهى عن الرشوة، قال تعالى: (

وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٨٨] . وذلك لما في الرشوة والربا من إهدار لأموال الفقراء، لمصلحة ذوي المنافع من الأغنياء . وفي مقابل ذلك حرص الإسلام على استثمار الأموال، لما في ذلك من فائدة تعود على الفرد والمجتمع، ما دام في حدود ما شرع الله، قال رسول الله ﷺ: " إن الله ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه " [أبو داود] . كما اهتم الإسلام بالحفاظ على المال من الضياع، فقد أمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد عليه . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**) [البقرة: ٢٨٢] . فإذا لم يتوفر شرط كتابة الدين فعليه بأخذ رهان من المدين لضمان حقه، قال تعالى: (**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**) [البقرة: ٢٨٣] .

٣- الإسراف في المعصية:

لا ينبغي للمسلم أن ينغمس في ملذات الدنيا إلى حد الإسراف في المعصية والإصرار عليها، فقد يقع المسلم في المعصية، ولكن عليه أن يرجع ويتوب عنها فيجب أن تكون الآخرة مبلغ اهتمامه وحرصه . قال تعالى: (**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**) [الأنعام: ٣٢] . قال تعالى: (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) [البقرة: ٢٠١ – ٢٠٢] .

٤- الإسراف في الطاعات:

لا يعني حرص الإنسان على الآخرة أن يترك دنياه كلية، ويتجاوز الحد في الزهد والعبادة، فهذا يعد من الإسراف . والدين الإسلامي حرص على أن يهتم الإنسان بآخرته، وفي نفس الوقت ينال نصيبه من الدنيا، في حدود ما شرع الله، فهو دين ودنيا في آن واحد، قال تعالى: (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**) [القصص: ٧٧] . وقال رسول الله ﷺ: " إن الرهبانية لم تُكتب علينا " [البخاري] . فقد نهى الإسلام عن الإسراف في الطاعات؛ حرصاً على ألا يضيِّق المسلم على نفسه، فيقع في الملل وينتهي إلى المعصية . وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً . وقال آخر: وأنا أصوم ولا أفطر . وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً

. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [متفق عليه] .

حكم الإسراف

الإسراف رذيلة نهى عنها الشرع، وحذر منها المسلمين، فهو مفسدة في الدنيا، وخسران في الآخرة . ولم يرد لفظ الإسراف في القرآن إلا وكان النهي قريناً له مثل قوله تعالى: (**وَلا تُسْرِفُوا**)، أو النفي كقوله تعالى: (**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**) [الفرقان: ٦٧] . وقول رسول الله ﷺ " وكلوا واشربوا في غير إسراف ولا مخيلة " [البخاري] .

فالإسراف إما إهدار لنعمة الله، وإما إهدار لحقوق الله . ويقصد بإهدار نعمة الله، عدم الحفاظ عليها، ووضعها في غير مكانها .

وأما الإهدار لحقوق الله، فيعني عدم الامتثال لطاعة الله أو عدم الاعتراف بألوهيته . وقد شبه الله المبذر المسرف، الذي يضيع نعمة الله بالشيطان، فكلاهما جاحد لنعمة الله . قال تعالى: (**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**) [الإسراء: ٢٧] . وذكر الله تعالى أمثلة للمسرفين في حقوق الله . ليتعظ أولو الألباب . قال تعالى: (**وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ**) [يونس: ٨٣] .

كما ذكر عاقبة المسرفين، ليحذر المؤمنين أن يكونوا أمثالهم . قال تعالى: (**ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ**) [الأنبياء: ٩] .

ومن ذلك يتبين أن الإسراف خلق مذموم، منهي عنه شرعاً، ويجب على المسلم تجنبه والانصراف عنه، فإنه مؤاخذ بكيفية تصرفه في نعم الله، وبتفريطه في حقوق الله .

آثار الإسراف في الدنيا

للإسراف آثار سيئة على المسرف، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع الذي نعيش فيه:

أولاً: آثار الإسراف على الفرد:

١- ضياع المال: فالمال وسيلة يقضي بها الإنسان حاجاته، فينفقه فيما يفيد، لكـــن المـــسرف ضعيف العقل، قليل التفكير، ينفق ماله فيما يريد، لا فيما يفيد، وعندما تضيق الظـــروف، وتـــتغير الأحوال، يحتاج إلى المال في وقت الشدة، فلا يجده . والشاعر يقول:

وكان المال يأتينا فكنا

نبذره وليس لنا عقول

فلما أن تولى المال عنا

عقلنا حين ليس لنا فضول

٢- الحسرة وانصراف الناس: في كثير من الأحيان يكثر أصدقاء المسرف ومعارفه، ويكـــون معظم هؤلاء من المتملقين، المنتفعين بإسرافه، ولكن سرعان ما ينفض هؤلاء الناس بـــضياع المـــال، فيصير المسرف وحيداً، بعد أن كان ذا حسب وعزة . وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت

صلات ذوي القربى له أن تنكرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى

تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

٣- أن يصبح الفرد عالة على غيره: فالإنسان العاقل يحافظ على ماله، فالمال يصون للإنـــسان كرامته، ويقيه شر السؤال والاحتياج إلى الغير، والمسرف بسرفه يضيع ماله، ويصبح عالة على غيره، ولذلك حرص الرسول ﷺ أن يوجه المسلمين لأهمية الاقتصاد في المال، والحفاظ عليه . قال رســـول الله ﷺ: " ما عال من اقتصد " [أحمد] .

ثانياً: آثار الإسراف على الأسرة:

المسرف لا يضر نفسه فقط، ولكن يضر أسرته أيضاً؛ حيث إنه بإسرافه يضيع مالـــه، ويتـــرك أولاده من بعده أذلاء، يعيشون عالة على الناس، فيذوقون مرارة الفقر، بعد أن ذاقوا نعيم الغنى والعز

. والقاعدة التي ينبغي أن تتبع أنه " لا ضرر ولا ضرار " . فالمسلم الحق لا يضر نفـــسه، ولا يوقـــع الضرر على غيره .

ثالثاً: آثار الإسراف على المجتمع:

يؤثر الإسراف بشكل سلبي على الدول والمجتمعات، فالدولة المسلمة المقتصدة دولة غنية، تحقق ما أراده الله لها من قوة ترهب بها الأعداء . قال تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ**) [الأنفال: ٦٠] .

أما الدولة المسرفة، فهي دولة فقيرة لا قدرة لها على تكوين قوة، أو مواجهة عدو، وستعاني في المستقبل من آثار وخيمة، وهذا ما لا يرضاه الإسلام لأتباعه .

آثار الإسراف في الآخرة

يعاني المسرف من عواقب وخيمة، في الآخرة، ومنها:

١- الإسراف يبعد المسرف عن ربه، ويقربه من عذاب الله . قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْـــدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**) [غافر: ٢٨] .

٢- المسرف ملتصق بالشيطان، متشبه به، قال تعال: (**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَـــانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**) [الإسراء: ٢٦ – ٢٧] . فكلاهما جاحد لنعمة الله، فالشيطان عصى الله وجحد نعمته، والمبذر جحد نعمة الله بأن وضعها في غير موضـــعها، فكلاهمـــا عاص، مستحق للعقاب، مع الفارق بينهما .

٣- المسرف مستحق للعذاب في النار ما دام كافراً . قال تعالى: (**وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّـــهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**) [غافر: ٤٣] .

تحذير القرآن من الإسراف

الإسراف صفة ممقوتة شرعاً، لها آثارها السيئة التي تعود على الفرد والمجتمع، ولذلك فقد حذر منها الشرع، وأكد على خطورها، لينبه إليها من يُخاف عليه الوقوع فيها، ومن وقع فيها فعلا .

ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم، وفيها تحذير من الإسراف: قول الله تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**) [الأعراف: ٣١] . فعلى المسلم أن ينال نصيبه من الدنيا، فيأكل ويشرب من خيرات الله ونعمه، ولكن عليه أن يقتصد في أكله وشربه؛ لأن الاستزادة منها إسراف، وقد جعل الله المسرفين بعيدين عن محبته، لما في إسرافهم من إهدار وجحود لنعمة الله . وقال تعالى: (**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**) [الإسراء: ٢٦ – ٢٧] . فقد جعل الله المبذرين إخواناً للشياطين في التبذير؛ لأنهم نهجوا منهج الشيطان، وسرفوا في إهدار نعم الله، كما أسرف الشيطان في الجحود بنعم الله . وقال تعالى: (**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**) [الإسراء: ٢٩] . لا بد أن يكون المسلم معتدلاً في إنفاقه، وأن يسلك مسلكاً محموداً بين الإسراف والبخل، فلا يضيق على نفسه، ولا يسرف في ماله؛ لأن ذلك يؤدي إلى الحسرة والندامة . قال تعالى: (**وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**) [طه: ١٢٧] . فالإسراف في الجحود بالله والكفر به أشد أنواع الإسراف، ولذلك فقد توعد الله مرتكبه بأشد العقاب في الآخرة؛ لأنه زيادة في الطغيان، والفسق في الأرض .

تحذير الرسول ﷺ من الإسراف

ومن الأحاديث التي وردت تأمر بالقصد وتنهى عن الإسراف وتحذر منه: قول رسول الله ﷺ: " ثلاث منجيات: العدل في الرضا والغضب، وخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر . وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه " [الطبراني] . وقال ﷺ: " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة " [البخاري] .

ومما ورد عن الصحابة:

قال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه -: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله تعالى عنه . فالدين الإسلامي دين اعتدال، يهتم بالآخرة، ولا يصرف المرء بكليته عن الدنيا، وقد كان الرسول مثالاً وقدوة، فلم يكن ﷺ متنعماً، أو مترفاً، و لم يكن الخلفاء الراشدون من بعده يعيشون في ترف ونعيم، بل كانوا يلبسون الخشن من الثياب، ويأكلون القليل من الطعام .

أسباب الإسراف

لكي نصل إلى كيفية علاج الإسراف والتخلص منه، ينبغي أولا أن نتعرف على أسبابه، فـإذا انتبهنا جيداً لأسبابه، فقد يكون من السهل تلافي وجودها من البداية .

وهذه الأسباب متعددة منها:

٢- أسباب نفسية .

٢- أسباب اجتماعية وبيئية .

أولاً: الأسباب النفسية:

ترتبط الأسباب النفسية بشخصية الإنسان ذاته، وتظهر في سلوكه وتصرفاته، وهي تتمثل في:

١ - الجهل وعدم التعقل:

فالمسرف لا يقدِّر عواقب الأمور، ولا يلتفت للمستقبل، فهو يأمن لظروفه وأحواله، ولا يفكر في تغير الزمن، ويحسب بجهله وقلة عقله أن ماله سيدوم ناسياً أن الأيام دول، وللأحوال تقلبات، فقد يتحول من الغنى إلى الفقر، فيحتاج إلى ما كان ينفقه على غير فائدة فلا يجد .

٢ - السفه:

ويقصد بالسفه عدم القدرة على التحكم في المال، وإنفاقه في وجوهه الصحيحة، ومن يتصف بذلك لا يأتمنه الشرع على ماله، فيعين له من يتصرف له في ماله، وهذا الأمر يختص بصغير السن الذي لم يبلغ بعد سن الرشد، أو المجنون، أو المصاب في عقله بمرض، أو كبير السن الذي طال به العمر، فأصبح لا يستطيع التحكم في ماله .

٣- رغبة زائدة في الدنيا:

فالمسرف شديد الرغبة في الدنيا، محبٌّ لها، يريد أن ينهل من كل خيراتها، وأن يتمتع بكل ما فيها، وكل ذلك دونما وعي، أو تعقل وقد نهى الشرع عن حب الازدياد من التنعم والترف . قال رسول الله ﷺ: " إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين " [أحمد] .

٤ - التكبر والمباهاة بالمال:

يحب المسرف أن يظهر ماله، تكبراً وتعالياً على غيره، فيلبس الغالي والغريب من الثياب، ويقتني أغلى التحف وأقيمها، ويتفنن في أنواع الأطعمة والأشربة التي يتناولها، وهذه التصرفات تضر بالفرد

والمجتمع؛ إذ أنها تُشعر بوجود الفوارق المادية الشاسعة بين الطبقات المختلفة، ولذلك حذر الشرع من الإسراف والمباهاة بالمال تكبراً واختيالاً، ودعا إلى التوسط والقصد في إنفاق المال . قال رسول الله ﷺ: " لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جَرَّ إزاره بطراً " [متفق عليه] . وقد ذكر الله قصص المتكبرين المباهين بمالهم، من أمثال قارون، ليتعظ المؤمنون . قال تعالى: (**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) [القصص: ٧٦ – ٧٧] .

ثانياً: الأسباب الاجتماعية والبيئية:

العادات والتقاليد التي يتربى عليها المرء تؤثر فيه، وهذه العادات يرثها الإنسان من الأب والأم في إطار الأسرة، ومن المجتمع في إطار البيئة، فمن ينشأ في أسرة مسرفة، مهدرة للمال يُتوقع منه في المستقبل أن يسلك مسلكهم في تصرفاته المالية .

فللأسرة والمجتمع دور هام في تعويد الفرد على حسن التصرف في ماله، وتعليمه الوجوه الشرعية لإنفاق المال؛ حيث إن سوء استخدام المال لدى كثير من الأفراد يرجع في الحقيقة إلى فشل الأسرة والمجتمع، في تعريف الفرد بكيفية ترشيد المال وحسن استخدامه .

العلاج من الإسراف

الإسراف صنعة تتعلق بالقلب، وتظهر في السلوك، ولذلك فالعلاج منها يعتمد على أمرين: أحدهما معرفي، والآخر سلوكي . والجانب المعرفي يتركز في عدة معتقدات يجب أن يدركها الإنسان بقلبه، ويؤمن بها يقيناً . أما الجانب العملي فيتمثل في تطبيق ما عرفه الإنسان بقلبه، عن طريق الجوارح، فينظر في سلوكه وتصرفاته .

أولاً: الوسائل العلمية المعرفية:

يجب على الإنسان أن يدرك أهمية المال وقيمته وهي:

أ- أن المال يجعل من الفرد عاملاً مؤثراً؛ إذ أنه أقدر من غيره على نفع نفسه ومجتمعه . عن عمر بن الخطاب قال: حسب المرء ماله، وكرمه دينه، ومروءته خلقه .

ب- أن المال صون للعرض وعون للدين: قال رسول الله ﷺ: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " [متفق عليه] .

وقال عبد الرحمن بن عوف: يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي . وقال سفيان الثوري: المال سلاح المؤمن في هذا الزمان . وقال الحكماء: لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه، ويحمي به مروءته، ويصل به رحمه .

جـ- أن المال نعمة ونقمة في نفس الوقت، فهو اختبار يمتحن به العبد، هل يشكر أم يكفر . وقد كان قارون مثالاً واضحاً، لمن كان المال نقمة عليه، فقد قال تعالى فيه: (**وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**) [القصص: ٧٦] . لكنه لم يعترف بنعمة ربه، فكان جزاؤه كما قال تعالى: (**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**) [القصص: ٨١] . قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من يوم إلا وملك ينادي: يا بن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر، والقصد في الباطن، واليأس مما في أيدي الناس .

د- معرفة الوجوه الصحيحة لصرف المال، وهي كما يلي:

١ - الزكاة:

الزكاة فريضة لها نصاب محدد، أوجبها الشرع على الأغنياء تجاه الفقراء . قال تعالى: (**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) [البقرة: ١١٠] .

٢ - الصدقة:

هي ليست فريضة، ولكنها سنة وفضيلة مستحبة في الشريعة الإسلامية، وتقدم للفقراء من الأقرباء المحتاجين، قال ﷺ: " اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغن يغنه الله " [متفق عليه] .

وصايا

* عود نفسك على القناعة والرضا بالقليل، فكلما تاقت نفسك لشيء قاومته، ورضيت بالقليل الذي يعينك على العيش . وقد قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك .

* تجنب المسرفين ولا تقلدهم، وإنما حاول أن تجعلهم يقلدونك ويقتدون بك .

* صادق من يُعرف بحسن التصرف في ماله وتعلم منه كيف يدير حياته .

* استثمر أموالك في مشروعات تنفعك وتنفع أسرتك والمجتمع من حولك .

* ابتعد عن أصدقاء السوء الذين من مصلحتهم إسرافك لينتفعوا بمالك في وجوه الشر .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر السرقة

إعداد: هيام عباس





تمهيد

الإسلام نظام متكامل، يهدف إلى بناء القواعد الأساسية لمجتمع صحيٍّ سليم، ولذا، فقد حدد الملكيات، وحرم الاعتداء عليها بغير وجه ولا شبهة، ووفر للمجتمع من التشريعات ما يضمن أمنه وسلامته، وأرسى قواعد الكسب الحلال، فلا يضطر المسلم للكسب الحرام عن طريق الربا أو أكل مال اليتيم أو أجرة الأجير، أو الغش والاحتكار، وغير ذلك من وسائل الكسب الحرام . كما حدد وسائل جمع المال، فكان العمل الشريف هو الوسيلة الأولى لكسب المال، ومن لا يستطيع العمل لمرض أو عجز، فقد فرض له الإسلام نفقة على القادرين من المسلمين . وإذا سرق المسلم في ظل هذا النظام، فإنه يستحق العقاب، لأنه ارتكب تلك الجريمة بغير حق، ومن هنا كان للإسلام أمام السارق وقفة حازمة . فحد للسرقة حداً صارماً، لأنه سرق بغير عذر ولا شبهة، فلا رحمة له، ولا رأفة به متى ثبتت جريمته .

تعريف السرقة

أولاً: السرقة في اللغة:

السرقة مأخوذة من مادة (س ر ق) التي تدل على أخذ الشيء في خفاء وستر . يقال: سرق يسرق سرقة وسرقاً . واسترق السمع إذا تسمَّع مختفياً . وسرق منه ما لا يسرق سرقاً، والاسم منه السرقة . والمسرقة والاستراق والتسرق: اختلاس النظر والسمع . والتسريق: النسبة إلى السرقة .

ثانياً: السرقة شرعاً:

السرقة هي أخذ مال الغير على وجه الخفية والاستتار، ومنه استراق السمع ومسارقة النظر، إذا كان يستخفي بذلك . وقيل هي أخذ العاقل مقداراً مخصوصاً من المال خفية من حرز معلوم بدون حق ولا شبهة . ويرتبط بالسرقة أكل الحرام، والتطفيف في الميزان، والرشوة والغش . وتتنوع السرقة بتنوع أساليبها وطرقها، وعلى هذا فاللصوص أنواع بحسب الطريقة التي يستخدمونها في السرقة، وسنعرف كل نوع فيما يلي:

اللص: هو من يسرق الناس ليلا والناس نيام، فيخترق حرمة البيـوت ويغتـصب الأبـواب والشبابيك، وينتهك حرمة الحجرات ليغتصب ما يشاء من حُليٍّ ومجوهرات، ونقود، وعقود، وكل ما غلى ثمنه .

المختلس: هو من يستغفل صاحب المال فيخطف ماله، ويذهب به مـسرعاً جهـراً، فكأنـه خطفه من صاحبه الغافل عنه، وهرب قبل أن يلحظ صاحب المال ذلك .

الخائن: هو الذي يضمر في نفسه ما لا يظهره، والمراد به هو الذي يأخذ المال خفية من مالكه مع إظهاره له النصيحة والحفظ .

النّهاب: هو الذي يأخذ المال جهرة بمرأى من الناس، فيمكنهم أن يأخذوا على يديه، ويخلصوا حق المظلوم، أو يشهدوا له عند الحاكم .

الغاصب: هو الذي يغتصب المال من صاحبه وهو شاهد، لكنه لا يستطيع أن يمنعه .

النشال: هو من يشق جيباً أو كماً ويأخذ منه، أو يدخل يده ليـسرق بهـا دون أن يـشعر المسروق بذلك .

النباش: هو سارق أكفان الموتى بعد دفنهم .

أنواع المسروقات

١ - سرقة المصحف:

لا تقطع يد سارق المصحف؛ لأنه سرق من أجل أن يقرأ فيه . وقيل بل تقطع يد سارقه؛ لأن المصحف مال متقوم .

٢ - سرقة المال من المدين:

لا تقطع يد السارق من مَدِينه؛ لأنه يستعيد حقه أو بعض حقه وإن زاد عليه قليلا .

٣ - سرقة الزوجة:

لا تقطع يد سارق زوجته، لأنه يدخل الحرز، (أي المكان الذي تحفظ فيه الأموال) من غـير إذن، كما قد جرت العادة بين الناس على التبسط في المعاملة بين الرجل وأهل بيته .

٤ - سرقة الخادم لسيده:

لا تقطع يد الخادم الذي يسرق سيده، ولا الضيف الذي سرق مضيفه . وقال الشافعي: يجب القطع في السرقة من الأقارب، وأحد الزوجين من الآخر، ما عدا قرابة الأصل والفرع، إذا سرق المال من المحرز عنه .

٥ - سرقة السيارات:

تقطع يد لص السيارات لأن الشارع حرز هذه السيارات، وهو مكان مأمنها ومبيتها .

٦ - سرقة الثمر المعلق:

لا تقطع يد سارق الثمر المعلق على الشجرة والحنطة في سنابلها، إذا لم يكن محرزاً، فإن أحرز، وجب فيه القطع .

٧- سرقة طير الشجر:

سارق الطير والتبن والخشب والحطب والقصب والحشيش والسمك والطين، لا يعتبر سارقاً؛ لأن هذه الأشياء في أصلها مباحة للجميع اللهم إلا إن كان شيء منها محرزاً، وكان له قيمة في نفسه أي يساوي مالا منفقاً، فإن آخذها يعتبر لصاُ تقطع يده .

٨ - سرقة الصلاة:

سارق الصلاة هو من لا يؤديها حق أدائها، فيخطفها خطفاً، دون خشوع أو تمهل أو إتقان، فيجب على سارق الصلاة أن يحسن صلاته ليباركه الله، فقد روي أن رجلا من الصالحين قرر الأطباء قطع ساقه؛ لأنه كان مريضاً بمرض خبيث، فقال لهم: إن كان ولا بد فاقطعوها وأنا في الصلاة . . وتم بترها وهو ساجد في صلاته، فما شعر بأدنى ألم، ذلك لأن الرجل كان يعيش مع الله بكل جوارحه ووجدانه .

٩ - سرقات ضاحكة:

من أكثر السرقات إثارة للضحك، تلك السرقة التي قامت بها عصابة من اللصوص، فقد دبروا وخططوا لسرقة أحد البنوك، وفي الساعة المحددة توجهوا في حزم وثبات إلى ذلك البنك، وهاجموا الموظفين فيه، وحاصروهم بالسلاح، وأمروا بفتح الخزائن وإخراج ما بها من أموال .

وكانت المفاجأة التي أذهلتهم، فإن تلك الخزائن الكبيرة لم يكن بها فلس واحد، بل كان بها " عيون " لقد كان هذا البنك خاصاً بالعيون، تحفظ فيه العيون السليمة، التي يأخذونها من الموتى، الذين تبرعوا بها في حياتهم، وقد أوصوا بأخذها بعد موتهم . وتحفظ تلك العيون في ذلك البنك، لمن يحتاج إليها من مرضى العيون . والمدهش في الأمر، أن مدير البنك قد أقنع هؤلاء اللصوص بالتبرع بعيونهم للبنك بعد وفاتهم، و لم يتركهم يخرجون حتى كتب معهم عقداً بذلك ووقعوا عليه .

- الخوذة المرشدة

ركب لص دراجته البخارية السريعة، ولبس في رأسه خوذة تغطي جميع أجزاء رأسه، حتى لم يعد يظهر منها سوى عينيه فقط . وأمام أحد البنوك أوقف دراجته، ونزل عنها، ودخل البنك، ورفع مسدسه وهدد الجميع طالباً النقود، فأعطوه ما يريد وتركوه، فخرج مسرعاً، وركب دراجته البخارية منطلقاً إلى منزله، وما إن فتح الباب حتى وجد الشرطة خلفه، يطالبونه بتسليم نفسه، وتسليم ما معه من نقود، فوقف مذهولا؛ كيف وصل إليه رجال الشرطة بهذه السرعة؟! ناسياً أنه قد كتب اسمه وعنوانه بخط واضح كبير على خوذته، وعلى دراجته البخارية، فأصبح من السهل على أي إنسان أن يتبعه ويعرف بيته .

حكم السرقة

وقف الإسلام أمام جريمة السرقة وقفة حاسمة حازمة، فقد جعلها من الكبائر التي يجب فيها الحد، وأقام لها حداً صارماً ليكون رادعاً وزاجراً، وحدُّ السرقة هو قطع يد السارق، قال تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [المائدة: ٣٨] .

وقال ﷺ: " إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه " [متفق عليه] .

وكما وضع الإسلام حَدّ السرقة، فقد جعل لتنفيذ الحد نصاباً واضحاً، وهو ربع دينار فصاعداً . قال ﷺ: " تُقطع اليد في ربع دينار فصاعداً " [متفق عليه] . قال أحد العلماء: وإذا سرق ربع دينار من العين، أو ثلاثة دراهم من الوَرِق (الفضة)، أو قيمة ثلاثة دراهم، طعاماً قُطع . كما لا

يكون القطع في مطلق السرقة، بل في سرقة شخص معين مقداراً معيناً من حرز معين (الحـــرز: هـــو المكان الذي يحفظ فيه الشيء) . ولا تنفع السارقة توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلساً تحلـــل من صاحب المال .

شروط إقامة الحد

١ - السرقة:

السرقة بمعنى أخذ المال على وجه الخفية والاستتار، فإن اختطف أو اختلس، لم يكن ســـارقاً، ولا تقطع يده، وإنما يعزر أو يحبس أو يضرب عقاباً له على فعله الأثيم .

٢ - الإقرار بالسرقة:

أي اعتراف اللص بسرقته، فإذا لم يعترف لا يقام عليه الحد . قال ﷺ: " رأى عيـــسى ابـــن مريم عليه السلام رجلا يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو . فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني " [متفق عليه] . وعن أبي الدرداء أنه أُتى بجارية سرقت، فقال لهـــا: ســـرقتِ؟ قولي: لا . فقالت: لا . فخلى سبيلها . وعن عطاء عن عبد الرزّاق أنه قال: كان من مـــضى يـــؤتى إليهم السارق فيقول: أسرقتَ؟ قل: لا . وسمى أبا بكر وعمر .

وعن ابن أبي شيبة أن أبا هريرة أُتى بسارق، فقال: أسرقت؟ قل: لا . مرتين أو ثلاثة .

ومن هذا يتضح أنه يستحب تلقين ما يسقط الحد؛ عملا بقول الرسول ﷺ: " ادرءوا الحدود بالشبهات " [الكامل لابن عدي] . وعن أبي أمية المخزومي أن رسول الله ﷺ أُتي بلص فاعترف، و لم يُوجد معه متاع، فقال له رسول الله ﷺ: " ما إخالك سرقت؟ " قال: بلى . مرتين أو ثلاثـــا . فقال رسول الله ﷺ: " اقطعوه، ثم جيئوا به " . فقطعوه ثم جاءوا به، فقال ﷺ: " قل أســـتغفر الله وأتوب إليه " ، ثم قال ﷺ: " اللهم تب عليه " [أحمد] .

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أُتى بسارق قد سرق شملة، فقالوا: يا رسول الله إن هـــذا قد سرق . فقال رسول الله ﷺ: " ما إخاله سرق " فقال السارق: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: " اذهبوا به فاقطعوه، ثم احسموه، ثم ائتوني به " . فقطع فأتى به، فقال ﷺ: " تُب إلى الله " . قـــال الرجل: قد تبت إلى الله . فقال ﷺ: " تاب الله عليك " [الدارقطني] .

إياكم والشبهة

قال ﷺ: " ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم " [الترمذي] . وبناءً على هذا الحديث لا تقطع يد العبد إذا سرق من مال سيده، ولا الأب إذا سرق من ماله ابنه، ولا الابن إذا سرق من مال أبيه، ولا الشريك إذا سرق من شريكه . كذلك أخذ المرأة من مال زوجها البخيل الذي لا يعطيها لا تعتبر سرقة، كما حدث مع السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بن حرب حينما شكت إلى النبي ﷺ بخل زوجها وتقطيره، وهل يجوز لها أن تأخذ من ماله دون علمه، فقال ﷺ لها: " خذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك " [متفق عليه] . وهذا دليل على أن ما فعلته ليس في باب السرقة .

الخيانة والاختلاس

الخائن والمختلس ليس بسارق فلا يقام عليه حد القطع .

عن جابر أن النبي ﷺ قال: " ليس على خائن ولا منتهب ولا جاحد ولا مختلس قطع " [الترمذي] . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلُها أسامة، فكلموه، فكلم النبي ﷺ فقال: " لا أراك تكلمني في حدٍّ من حدود الله تعالى " . ثم قام ﷺ خطيباً فقال: " إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيخك الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده، لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها " [متفق عليه] .

فهذه المرأة التي كانت تستعير المتاع إنما قطعت يدها لسرقتها، لا لجحدها المتاع .

المختلس

وهو مَنْ يأخذ المال حين يغفل عنه مالكه، فالعتاب هنا على صاحب المال، لأنه فرط من ناحيته حتى تمكن المختلس من أخذ المال، فالمختلس ليس كالسارق بل هو بالخائن أشبه، فلا قطع عليه، وإنما يعزر، فيحبس أو يضرب كما أن المختلس يأخذ المال في حين الغفلة، فيمكن الاحتراز منه بالتنبه للمال وعدم الغفلة عنه .

الغاصب

أما الغاصب فإنه أولى بعدم القطع من المنتهب، ويمكن كف عدوان هؤلاء جميعاً بالضرب والنكال والسجن الطويل، واسترداد المال المسروق منهم . ويلحق بالغاصب قاطع الطريق فحكمه حكم الغاصب .

النشال

وهو الذي يسرق من جيب الرجل أو كمه أو صُفته (الوعاء من أدم يُسقى به) سواء بالقطع أو بالشق أو بإدخال اليد في الجيب، وهذا النوع من اللصوص يجب تنفيذ حكم القطع فيه، لأنه سارق وإن اختلفت الطريقة .

والفرق بين السارق الذي تقطع يده والمختلس والمنتهب والغاصب الذين لا تقطع أيديهم، أن السارق لا يمكن الاحتراز منه، فإنه ينقب الدور ويكسر الأقفال ولا يمكن لصاحب المال أن يحترز منه بأكثر مما قام به لحماية بيته وماله، فلو لم يشرع الإسلام حد السرقة لعظم الضرر، واشتدت المحنة، وذلك بخلاف المنتهب والمختلس الذين يمكن تلافي سرقاتهم باليقظة والحرص على المال .

النباش

وهو سارق أكفان الموتى، وقد اختلف الفقهاء في حكمه هل يجب عليه حد القطع أم لا؟ فقيل لا يقطع، ولو كان القبر في بيت مقفل؛ لأن القبر ليس حرزاً بنفسه؛ إذ لا تحفظ فيه الأموال عادة . أما الجمهور فقد اتفقوا على أن تقطع يده؛ لأنه سارق، أو ملحق بسارق مال الحي . قال تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [المائدة: ٣٨] . وقالت عائشة – رضي الله عنها –: سارق أمواتنا كسارق أحيائنا .

اللص الصغير

الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم، هل يُعدُّ لصاً إذا سرق؟ نعم يسمى لصاً مهما اختلفت طريقة السرقة، سواء بالاختلاس أو الاختطاف، ولكن لا يقام عليه الحد (وهو قطع اليد) وإنما يعزر بأي نوع آخر من أنواع العقاب كالحبس أو إدخاله دور الأحداث التي استحدثتها المجتمعات حالياً .

السارق

في يوم من الأيام دخل طفل صغير، لم يتعد السادسة من عمره، أحد المتاجر الكبيرة، ولم تلحظه كاميرات المراقبة لصغره وقصر قامته، وتوجه الطفل مباشرة نحو موظف الخزينة، ورفع مسدساً كبيراً في وجهه، فتح صاحب المتجر الخزينة وأخرج ما بها من مال وكان مبلغاً كبيراً، فطلب منه الطفل أن يضعه في كيس، فوضعه صاحب المتجر، ثم قدمه إلى الطفل الذي خطفه وخرج مسرعاً إلى الشارع، ثم ركب دراجته وانطلق بها بعيداً . وتمكن رجال الشرطة من الوصول إلى منزل الطفل وسألوا عنه، وقد وقف أبواه يستمعان في ذهول إلى ما فعله ابنهما الذي دخل عليهما وهو يمسك في يده " آيس كريم " ويلوك في فمه لبانة، توجه إلى أقرب كرسي وجلس عليه دون أدنى مبالاة . وعندما سألوه عن أداة الجريمة – المسدس الذي استخدمه في السرقة – كانت المفاجأة التي أذهلت الجميع وأضحكتهم في نفس الوقت، إنه مسدس مائي، كان يلعب به الصبي مقلداً أحد الأفلام السينمائية التي شاهدها . وكانت المفاجأة الثانية أنهم حينما سألوه عن النقود التي سرقها أجابهم بأنه أنفقها جميعها في شراء الحلوى والآيس كريم واللعب . ترى ما السبب في تلك الحادثة؟ إنه تقليد ذلك الطفل البريء لأحد أبطال ذلك الفيلم السينمائي، فَلْنَر إلى أي مدى كان تأثير تلك الأفلام على أطفالنا!

شروط المسروق

فكما بين الإسلام حد السرقة، وجعل للسارق شروطاً لكي يقام عليه الحد، فقد وضع للشيء المسروق شروطاً، إذا وجدت وجب تنفيذ الحكم وهي:

١ - أن يكون المسروق مالا متقوماً:

فلو سرق إنسانٌ خمراً أو جلد ميتة، أو خنزيراً، فلا تقطع يده؛ لأن هذه الأشياء لا قيمة لها، ولا تساوي شيئاً من المال .

٢ - أن يكون المال المسروق مقدراً:

أي له نصاب، فلا يُقطع السارق في الشيء البسيط الذي لا قيمة له .

٣ - الحرز:

والحرز هو ما تحفظ فيه أموال الناس كالدور والخيام التي يسكنها الناس، ويحفظون فيها أمتعتهم، وقد يكون الحرز بالحافظ الذي يجلس عليه ليحفظه كالكرسي أو كالثوب .

ويشترط أن يكون المسروق مالا محرزاً أي سُرق من المكان المحفوظ فيه . قال ﷺ: " لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل، فإذا أواه المُراحُ أو الجرينُ فالقطع فيما بلغ ثمن المجن " [مالك] . فقد روي أن صفوان بن أمية رضي الله عنه كان نائماً في المسجد على عباءة له، ثمنها ثلاثون درهماً، فجاء رجلٌ فاختلسها منه، فأخذه إلى النبي ﷺ، فأمر به ليقطع، فقال صفوان: أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً؟ أنا أبيعه وأُنسئه ثمنها (أي أبيعه العباءة على أن يؤجل دفع ثمنها لي) . قال ﷺ: " فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به " [أبو داود] .

٤ - ثبوت السرقة:

تثبت السرقة عند القاضي بأمرين هما: البينة والإقرار: والبينة بأن تضبط المسروقات مع اللص أو يُضبط متلبساً في حال السرقة، أو يقبض عليه وهو يحملها بعد خروجه من الحرز (أي المكان الذي سرق منه) . وقد اتفق العلماء على أنه إذا اشترك جماعة في سرقة فحصل لكل واحد منهم نصاب، فعلى كل واحد منهم القطع . وإذا لم يبلغ المسروق النصاب أو كان كل ما سرقوه نصاباً واحداً فهناك خلاف في القطع، فبعض الفقهاء يرى أنه لا تقطع يد هؤلاء اللصوص، لقول رسول الله ﷺ: " لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً " [متفق عليه] .

صفات النصاب

يشترط أن تكون الدراهم جيدة، فلو سرق اللص دراهم مزيفة أو سرق غير الدراهم، لا تقطع يده ما لم تبلغ قيمة المسروق عشرة دراهم جيدة . كما يجب أن تكون الدراهم وزن سبعة مثاقيل،

لأن اسم الدراهم عند الإطلاق يقع على ذلك؛ ولأن هذا أوسط المقادير بين الدراهم الكبار والصغار التي كانت على عهد الرسول ﷺ .

نصاب المسروق

نصاب السرقة ربع دينار شرعي من الذهب أو ثلاثة دراهم خالصة من الفضة، وهذا على رأي الجمهور .

تكرار السرقة

تقطع يد السارق اليمنى عند السرقة الأولى، فإذا سرق مرة ثانية تقطع رجله اليسرى، ليكون القطع من خلاف .

والحكمة في ذلك، أن السارق يعتمد في السرقة على البطش والمشي، فهو يأخذ المسروق بيده، وينتقل برجله، ولذا تعلق القطع بهما، وإنما قطع من خلاف؛ لئلا يفوته الانتفاع بما تبقى له، وحتى لا تضف حركته، فإذا عاد اللص للسرقة مرة ثالثة بعد قطع يده اليمنى ورجله اليسرى، لا يقطع بعد ذلك، ولكنه يوكل إلى من يضمنه، ويعزر ويحبس حتى يتوب، ويدل على ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه أنه أُتي بسارق، فقطع يده، ثم أُتي به الثانية وقد سرق فقطع رجله، ثم أتي به ثالثة، فقال: لا أقطعه، إن قطعت يده فبأي شيء يأكل، بأي شيء يمسح أي بعد قضاء حاجته، وإن قطعت رجله فبأي شيء يمشي، إني لأستحي من الله، فضربه بخشبه وحبسه .

سقوط الحد

يسقط الحد عن السارق بعدة أمور هي:

١- تكذيب المسروق منه للسارق في إقراره بالسرقة بأن يقول: لم يسرق مني شيئاً .

٢- تكذيب المسروق منه ببينة بأن يقول: شهد شهودي زوراً .

٣- رجوع اللص عن الإقرار بالسرقة، وعندئذ لا يقطع ويضمن المال؛ لأن الرجوع عن الإقرار يقبل في الحدود، ولا يقبل في المال، لأن الحد يسقط بالشبهة ولا يسقط المال .

٤ - عندما يَرُد اللص المسروقات إلى صاحبها ومالكها قبل رفع الشكوى .

تأثير إقامة الحد على المجتمع

إن الله تعالى حين خلق الإنسان يسر له سبل العيش الكريم في الدنيا، ثم شرع له من الدين ما صان به كرامته، وحفظ عليه ماله وعرضه ونفسه، فجعل الاعتداء على النفس أو المال أو العرض جريمة خطيرة، وجعل لها عقوبتها الرادعة الزاجرة حتى لا يعبث المجرمون في الأرض فساداً، وحتى يضمن المجتمع الأمن التام لأفراده .

أما أن يُترك المجرم ليفر بجريمته وغنيمته التي اغتصبها من أموال الناس، أو أن يلقى في السجن لعدة سنوات، ليخرج بعدها حراً طليقاً ينعم بما سرق من أموال غيره ومتاعهم، فإنه ذريعة لأن يكثر السلب والنهب، بل وتكون عصابات من أعتى المجرمين وأخطرهم يهددون سلامة وأمن الإنسانية كلها .

نعم إن عقوبة " قطع يد السارق " شديدة الصرامة، لكنها هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأمن في المجتمع الإنساني، فإن تلك اليد السارقة يدٌ خائنة والسرقة داءٌ قد تأصل فيها، فكان لا بد من استئصالها؛ حتى لا يسر ذلك المرض في أجزاء الجسد كله، ففي الحد رحمة باللص والمجتمع معاً، أما من يستبشعون هذا الحكم ويصفونه بالقسوة، فإنهم يطالبون بالرحمة لذلك اللص، الذي لم يرحم المجتمع من شره وأذاه، إنهم لم يدركوا خطورة ترك المجرمين هكذا دون تنفيذ ذلك العقاب الزاجر، فبدونه يصبح أي مجتمع غابة مليئة بالوحوش البشرية يأكل بعضها بعضاً، فما أعدلك يا إلهي في حكمك وقضائك .

آثار السرقة

١ - إيقاع الأذى بالناس: فالسرقة آفة من آفات كثيرة تصيب المجتمع، بل هي من أخطر الآفات على الإطلاق، وأي مجتمع معرض لأن يحوي داخله جماعات من اللصوص الذين يحترفون السرقة ويجعلونها مصدر الرزق، متجاهلين أن السرقة ليست مهنة، ولا عمل يعيشون عليه .

٢ - تعريض الناس إلى ضوائق صعبة: فربما سرق اللصوص خزينة شركة كبيرة، واتهم فيها رجل شريف له مكانته في المجتمع، فضاع مستقبله وتحطمت أسرته وضاع أولاده . وقد يتعرض

الناس إلى مواقف أكثر صعوبة من موقف ذلك الرجل بسبب السرقة، وبسبب مجرم لم يجد من يضرب على يديه بقوة .

٣- لا يؤمِّن الناسُ السارقَ على شيء: ولو كان بسيطاً .

٤- الخزي والعار وسواد الوجه: الذي يصيب السارق، وتجنب الناس المعاملة معه .

٥- القطع وإقامة الحد: فللإسلام وقفته القوية الزاجرة أمام السرقة كجريمة، والسارق كمجرم يستحق العقاب، فجعل السرقة من الرذائل التي لا بد من محاربتها بكل الوسائل للقضاء عليها قضاءً مبرماً، لضمان مجتمع سوي آمن، فوضع للسرقة حَداً وهو قطع اليد، ووضح طريقة إقامته، وشروطها . وذلك لضمان حفظ أموال الناس .

٦- عدم قبول الدعاء: فالله لا يقبل الدعاء من إنسان يأكل حراماً، ويشرب حراماً، ويلبس حراماً .

٧- الخسف والعذاب الأليم: فغاصب الأرض بصفة خاصة له عقوبة عظيمة في الآخرة؛ وذلك لأن من ملك أرضاً ملك أسفلها إلى منتهى الأرض، وله أن يمنع من حفر تحتها سرباً أو بئراً بغير رضاه، ولذا روي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " [البخاري] . وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من ظلم من الأرض شيئاً طُوِّقَهُ من سبع أرضين " [متفق عليه] .

٨- السارق يعتبر خائن غادر: خان أمانة الآمن في بيته، وغدر بمن يعرف، فسرق ماله، وعقوبة الغدر يوم القيامة شديدة . قال ﷺ: " إن الغادر يُرفع له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان بن فلان " [متفق عليه] .

التحذير من السرقة

إن السارق حين يفكر في السرقة، ليس لحاجته وإنما لأنه يستقل ما عنده من مال حلال، ويبتغي غيره، فيسرق ليزيد ماله ويتسع ثراؤه، وقد حَدَّ الإسلام حداً ليحارب به هذا المرض اللعين – السرقة – لكي يستأصله من المجتمع نهائياً فكان قطع يد السارق هو الحد والعقوبة الرادعة . قال تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [المائدة: ٣٨] . فهذا الحكم زاجر لمن تسول له نفسه أن يمد يده على ملك غيره ليسرق ماله .

وعن النبي ﷺ أنه قال: " لعن الله السارق يسرق البيضة فتُقطع يده، يَسرقُ الحبل فتقطع يدهُ " [متفق عليه] . وعن عمرة بنت عبد الرحمن أن سارقاً سرق أُترُجَّة في زمن عثمان بن عفـــان – رضي الله عنه –، فأمر بأُترُجَّة أن تُقوَّم فقوِّمت ثلاثة دراهم من صَرْف (المبادلة) اثني عشر درهمـــاً بدينار . فقطع عُثمان يَدَهُ . [مالك] .

كيف نقضي على السرقة؟

١ - تحري الحلال:

المسروق مال حرام، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . وعلى المسلم أن يتحرى الـــرزق الحلال دائماً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تلا هذه الآية عند رسول الله ﷺ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً**) [البقرة: ١٦٨] . فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: يا رســـول الله! ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة . فقال ﷺ: " يا سعد أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه فما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى به " [ابن مردويه] .

٢ - الابتعاد عن الحرام والطمع:

حذر الرسول ﷺ من الطمع فقال: " إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر " [الطبراني] . وقـــال ﷺ: " استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع، ومن طبع يهدي إلى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع " [أحمد] .

والإنسان قد يسرق بسبب الطمع، فإنه قد يطمع في مال غيره ويريد أن يأخذه بأي وســـيلة، وتكون الوسيلة الوحيدة هي السرقة . وهنا نجد رسول الله ﷺ يرشدنا إلى أقل القليل من الـــزاد في الدنيا، فليبتعد العاقل عن السرقة طمعاً في أن يحوز كل خيرات الدنيا ويكثر في بيته من أموالها .

وقال عمر – رضي الله عنه –: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنىً، وإن من ييأس عما في أيـــدي الناس استغنى عنهم .

وصايا

* تحرى الرزق الحلال، واعلم أن رزقك لا يصيب غيرك . فربما تعجل اللص وسرق ما قد يجعله الله من نصيبه بالحلال، دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد، وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك بغلتي . فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة، فخرج عليٌّ – رضي الله عنه –، وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى، ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاماً، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين . فقال عليٌّ – رضي الله عنه –: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدر له .

* اعلم أن سرور الدنيا في الرضا، قيل للإسكندر: ما سرور الدنيا؟ قال: الرضا بما رزقت منها . قيل: فما غمها؟ قال: الحرص عليها .

* كن مستقيماً شريفاً عفيفاً قانعاً نزيهاً .

* تذكر دائماً عقوبة السرقة في الدنيا والآخرة .

* تجنب مواقع الشبهات، واحذر مصاحبة السارقين .

* لا تسرق حتى لو مت جوعاً، فلا تضمن إلى متى تعيش .

* لا تعرض نفسك للخزي والمقت من الناس الذي يلقيه اللص بعد قطع يده .

* اعلم أن السرقة إحدى الكبائر في الإسلام، وهي توجب النار في الآخرة والعار في الدنيا .

* اعلم أن السارق يُحرم من إجابة الدعاء، فلا يستجيب الله له دعوة لأن مطعمه ومشربه وملبسه من حرام .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر الجهل

إعداد: أسامة إبراهيم





تمهيد

الإسلام دين العلم، وقد بدأت رسالة الإسلام بقوله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَــقَ**) [العلق: ١] . والقراءة دعوة للعلم، والعلم فريضة على كل مسلم، فقال ﷺ: " طلب العلم فريــضة على كل مسلم " [الطبراني] . والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو إلى التعلم، وتبين فضل أهل العلم، قال تعالى: (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**) . وللعلم وأهله ميزات عظيمة، لأنهم يعلمون عظمة الله، ويعلمون كيفية عبادة الله على أكمل وجه . وفي الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى العلم، فقد حَــذَّر من الجاهل والجهلاء، فقال عز من قائل: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَــنِ الْجَــاهِلِينَ**) [الأعراف: ١٩٩] .

وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الجهل، فكان إذا خرج من بيته قال: " بسم الله، توكلت على الله . اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا " [الترمذي].

تعريف الجهل

أولا: الجهل في اللغة:

الجهل عدم المعرفة، أو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه . وجهل بالــشيء: لم يعرفــه . وجهل فلان على غيره: كان جافاً معه أو أغلظ عليه . وجهل بالحق: أضاعه و لم يحفظه . وتجاهــل: ي أظهر الجهل من نفسه . واستهجله: عده جاهلا واستخف به . والتجهيل: أن تنسب إنــساناً إلى الجهل . والجهالة: أن تفعل فعلا بغير علم . والمجهلة: ما يحمل الإنسان على الجهل . والجاهلية: زمــن الفترة بين رسولين، وفي الحديث: " إنك امرؤ فيك جاهلية " [البخاري] . أي الحال التي كانــت عليها العرب قبل الإسلام، من الكبر والتجبّر، ومن الجهل بالله سبحانه، وبشرائع دينه . وقد يخــتلط على الذهن الفرق بين الجهل والأمية، ولذلك يحسن بنا أن نعرف الفرق بينهما، كل على حدة حــتى يزول أيّ لبس أو خلط بينهما .

الجهل والأمية

الجهل هو عدم المعرفة، وهو ضد العلم، والجاهل من يعتقد شيئاً ويظن أنه صواب، ولكن الصواب على خلافه، وليس الجهل يعني أن يكون الإنسان لا يقرأ ولا يكتب، وإنما قد يكون الجاهل على علم بالقراءة والكتابة، ولكنه جاهل بشيء ما، فيتكلم بما لا يعرف، ويعتقد أنه على صواب، بينما يكون على خطأ .

الخليفة العالم

كان هارون الرشيد الخليفة العباسي يتحاشى أن يتكلم بما لا يعرف ولا يرضاه على نفسه، فقد روي أنه دخل عليه يوماً الأصمعي – عالم اللغة والأدب – وكان الأصمعي قد غاب عنه فترة طويلة، فسأله الشريد: يا أصمعي، كيف كنتَ بعدي؟ فقال الأصمعي: ما لاقتني بعدك أرض . فتبسّم الرشيد ولم يرد، فلما خرج الناس قال الرشيد للأصمعي: ما معنى قولك: (ما لاقتني أرض)؟ فقال الأصمعي: ما استقرت بي أرض، كما يقال: فلان لا يليق شيئاً، أي لا يستقر معه شيء . فقال الرشيد: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوتَ بي فعلِّمني؛ فإنه يقبُح بالسلطان أن لا يكون عالماً، فإما أن أسكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذا لم أجب، وإما أن أجيب بغير الجواب، فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلتَ، وأكون جاهلا . فقال الأصمعي: علمني الرشيد هذا اليوم أكثر مما علمته .

وهكذا يكون التحدث بما لا يعلم السامع أو المتلقي جهلاً مذموماً لا يرتضيه من يحرص على العلم، ولا يجب أن يستمر فيه من يريد أن يكون ذا مكانة بين الناس .

الأمية

الأمية هي عدم معرفة القراءة أو الكتابة، وهي نسبة إلى الأم، لأن الكتابة مكتسبة، والأمي يكون على ما ولدته أمه من عدم المعرفة بالكتابة والقراءة، وقد يكون الأمي على علم، ولكن علمه يكون مأخوذاً بطريق المشافهة، أو بالتلقين والاستماع، كما كان النبي ﷺ يتلقى وحي السماء بواسطة جبريل عليه السلام . وهذا النبي الأمي هو الذي علَّم أمته الكثير من العلوم النافعة، والكثير من الآداب السامية، وإن كان ذلك من معجزات النبي ﷺ، فإن العصر الحديث مليء بالأمثلة التي فيها

أميّون، ولكنهم على قدر من العلم بالتلقين والمشافهة، دون قراءة أو كتابة . ولا يمكن أن نعدّ الأمية عيباً إلا إذا كان معها جهل وعدم إدراك وعدم رغبة .

الجهل في الشرع:

هو أن يجهل الإنسان علوم دينه، التي لا يصح إسلامه إلا بها، ولا يعذر بجهلها، بل يعاقب إذا جهلها عقاباً شديداً في الآخرة؛ لأنه فرّط في أمر دينه الذي هو أهم شيء له في الدنيا والآخرة .

صور الجهل

الجهل نوعان:

جهل بسيط وجهل مركّب، وتحت هذين النوعين يندرج العديد من الصور .

أولاً: الجهل البسيط:

هو عدم المعرفة بالشيء، وهو جهل ليس فيه الكثير من الضرر؛ لأنه يقع على صاحبه فقط، ولا يضر للآخرين، ويمكن أن نستخرج من هذا النوع عدة صور، منها:

١ - الجهل بعلم من العلوم:

وهذا لا يعتبر عيباً، خاصة في عصرنا الحديث عصر التخصص العلمي، وليس على الإنسان في هذا العصر أن يتقن كل العلوم، وإنما عليه أن يتقن علماً واحداً إتقاناً تاماً، ثم يعرف بعض المعلومات عن باقي العلوم، وهو ما قاله قديماً أحد الحكماء: " تعلَّم كل شيء عن شيء، وتعلَّم شيئاً واحداً عن كل شيء " . فالإنسان لا يستطيع أن يكون طبيباً ومهندساً، ومحامياً، وغير ذلك من المهن التي تتطلب دراسة متخصصة، فإذا جهل الإنسان هذه العلوم، ولكنه أتقن علماً واحداً وبرع فيه، فإنه بذلك لا يكون جاهلا بالمعنى القبيح لهذه الكلمة، ولكنه الجهل الذي لا مفرَّ منه .

٢ - الجهل الذي يمثل عدم الخبرة:

وهذا ما ذكره القرآن الكريم، حين تحدث عن المتعففين عن سؤال الناس، فقال عز وجل: (**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً**) [البقرة: ٢٧٣] . فالجاهل هنا غير مذموم، ولكنه عديم الخبرة والمعرفة بحال هؤلاء المساكين، فهم يخفون حالهم عن

الناس، ولا يسألون الناس إلحافاً، وإنما يعز عليهم أن يرفعوا أيديهم لسؤال الناس، ولا يفطن لحالهم إلا من كان قريباً منهم .

٣- الجهل بشيء لا يفيد:

ومثل هذا ما يجهل الغريب من الأحداث، أو الأقوال، أو الأفعال المنتشرة في البلاد، أو الجهـل بشخصيات لا تنفعه ولا يضره جهلها، أو الجهل بتاريخ إحدى الأمم، وغير ذلك من الأشياء التي لا تفيد كثيراً إذا علمها الإنسان، كأخبار الفنانين أو المشاهير التي لا تفيد إذا علمها الإنسان، ولا تضره إذا جهلها .

ثانياً: الجهل المركب:

وهو الاعتقاد الجازم بما لا يتفق مع الواقع، فالجاهل هنا لا يكتفي بجهله، وإنما يتمادى، فيذكر أنه على حق، وغيره على خطأ، رغم أنه لا يعلم شيئاً . وهذا النوع تندرج تحته أنواع كثيرة، وهـو ضار جداً على صاحبه، وعلى من حوله؛ لأن فيه خطر نشر علم خاطئ أو معلومة مـشوهة، ومـن أمثلة ذلك:

١- الجهل بالله:

وهو يُعتبر مرادفاً للكفر، ومن أجله أرسل الله الرسل، ليعلموا الناس أن الله واحد، لـيس لـه شريك ولا ولد، ويبتعدوا عن عبادة الأوثان، وهذا ما نلاحظه في دعوة معظم الرسل لقومهم، عندما يجادلونهم في الإيمان بالله، فيذكر الله سبحانه على لسان رسله ومن يجادلونهم: (**قُـلْ أَفَغَيْـرَ اللَّـهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**) [الزمر: ٦٤] . (**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**) [الأعراف: ١٣٨] . فهؤلاء الجاهلون لا يريدون الإيمان بالله، ويجهلون قـدر الله، ويزعمون أنهم على صواب، بل يتحمسون لرأيهم الخاطئ ويدعون إليه، وهو دليل على جهلهم المركب، والذي يبعدهم عن الإيمان بالله العلي العظيم .

٢- الجهل بالدين:

وهذا الجهل من أبشع الصور، فإنه لا يصح عبادة إنسان إلا إذا كان يؤدي هذا العبادة علـى علم، ولا يسمى المسلم مسلماً إلا إذا كان عالماً بفرائض الدين وشرائعه، حتى تكون عبادته صحيحة .

ولأن أصل الدين الفقه أو العلم، فلا يعقل أن يكون الجاهل منتسباً للدين الذي يجهلــه، فــلا يمكن مثلا أن نقول على رجل يجهل الطب إنه طبيب، وكذلك لا يمكن أن نقول لرجل يجهل الإسلام والإيمان إنه مسلم أو مؤمن، فكل إنسان يكون إسلامه وإيمانه بقدر علمه، فإذا كان عالماً عارفاً بدينه فنصيبه بقدر علمه، وإن جهل فنصيبه من الإسلام هو الاسم فقط .

٣- الجهل بالعلم:

الإنسان عدو ما يجهل، فإذا جهل علماً كرهه وعاداه، ولا يحب أهله، وهؤلاء يصدق فــيهم قول الشاعر:

جهلت فعاديت العلوم وأهلها

كذاك يعادي العلم من هو جاهله

والجاهل بالعلم يكون قلبه كالقبر، مظلم موحش، لا شيء ينيره، ومن يجهل يعش في ظــلام، كأنه في قبر، حتى وإن كان في أشد النعيم، فهو كما قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله

فأجسامهم قبل القبور قبور

٤- جهل الجحود والإنكار:

إن هذه الصورة من الجهل يختص بها كبار الكافرين، من أمثال فرعون، والنمرود، وأبي جهل، وعتاة المشركين؛ فهم يعلمون الحق، ويتجاهلونه، ويدعون إلى الباطل، ويريدون أن يصدقهم الناس في زعمهم .

الجهال

روى أن أبا جهل جاء يستمع إلى قراءة النبي ﷺ في الليل، هو وأبو ســفيان بــن حــرب، والأخنس بن شريق، ولا يشعر أحد منهم بالآخر، فاستمعوا حتى الصباح، فلما طلع الصبح تفرقــوا، فتلاقوا في الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر كل واحد منهم ما جاء به، ثم تعاهدوا ألا يعودوا لمثل ذلك، حتى لا يعلم شباب قريش بذلك، فيفتتنوا، ولكنهم عادوا مرة ثانيــة وثالثــة، وكانوا في كل مرة يلوم بعضهم بعضاً على هذا الفعل . وفي اليوم التالي ذهب الأخنس إلى أبي سفيان

فقال له: أخبرني عن رأيك فيما سمعتَ عن محمد ﷺ؟ فقال " والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفتُ معناها، ولا ما يراد بها . فقال الأخنس: وأنا كذلك . ثم ذهب الأخنس إلى أبي جهل، فدخل عليه، وسأله عن رأيه فيما سمع، فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، حتى إذا تجانبنا وكنا كفرسى رهان، قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء . فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه . فقام الأخنس، وتركه . [البيهقي] .

وهكذا كان جهل الجحود والنكران من زعيم الكفر، الذي استحق أن يُلقَّب " بأبي جهل " ، لأنه جاهل معاند، يتكبر على الحق رغم علمه به، ويتزعم العداوة ضده، وهو يعلم مقدار خطئه، ويعلم صواب ما عليه محمد ﷺ من النبوة ودعوة الحق .

٥ - جهل القسوة والغلظة:

وهو الجهل الذي ضد الحلم، وهذه الصورة من الجهل تُعْمي القلوب، وتغرس فيها العداوة، وهذا الجهل هو ما وقع فيه إخوة يوسف عليه السلام عندما فكروا في التخلص منه، فقال لهم بعدما نصره الله وأعزه: (**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**) [يوسف: ٨٩] .

وهذا الجهل نفسه هو الذي يقول عنه سبحانه وتعالى: (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**) [الفرقان: ٦٣] . فهم لا يتصدون للجهل بالجهل، وإنما بالقول الحسن، وليس أحسن من السلام، فبذلك استحقوا مدح الله لهم، واستحقوا حسن الجزاء الذي أعده الله لهم .

الناس والجهل

قسم العلماء الناس في الجهل إلى أربعة أقسام وهي:

١ - من الناس من لا يعتقد اعتقاداً صالحاً ولا طالحاً، فإرشاد هذا سهل، فهو كالأرض البيضاء، لم يُلقَ فيها بذر، وعادة ما يصفه الناس بقولهم: سليم الصدر .

٢ - ومن الناس من يعتقد رأياً فاسداً، ولكنه لم ينشأ عليه، و لم يَتَرَبَّ به، فإرشاد هذا الصنف من الناس سهل أيضاً، ولكنه أصعب من النوع الأول، فهو مثل الأرض تحتاج إلى تنظيف . وعادة ما يصف الناس مثل هذا الرجل بقولهم: غاوٍ ضال .

٣- ومن الناس من يعتقد رأياً فاسداً، وقد ران على قلبه، فظن أنه صحيح الرأي، فركن إليه لجهله، وقد وصف الله تعالى أمثال هؤلاء بقوله: (**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**) [الأنفال: ٢٢] . فهذا داء أعيا الأطباء، فلا سبيل إلى تنبهه وتهذيبه، كما قيل لحكيم يعظ شيخاً جاهلا: ما تصنع؟ فقال الحكيم: اغسل مسحاً لعله يبيض .

٤- ومن الناس من يعتقد اعتقاداً فاسداً ويدافع عنه، ويجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم، ليكسب إعجاب الناس، ويقال لمثل هذا الصنف من الناس: منافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في قوله تعالى: (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**) [المنافقون: ٥] .

حكم الجهل

إن الجهل في الشرع ليس مذموماً كله، بل هو أحياناً معصية، وأحياناً طاعة! ! ويتوقف ذلك على نوع العلم الذي يجهله الإنسان، فالعلم في الإسلام على أنواع ثلاثة: علم ديني، وعلم دنيوي، وعلم التنجيم والسحر .

الجهل بالعلم الديني

إن الجهل بالعلم الديني أو بعلوم الشرع والإسلام يعتبر معصية، فلا ينبغي أن يكون الإنسان مسلماً وهو جاهل بالإسلام، أو بما يجب عليه من فرائض وواجبات، فهذه الأمور لا يُعذر الجاهل بها، بل يحاسب الإنسان على التقصير في تعلمها، فلا يمكن مثلا أن يجهل الإنسان قواعد الإسلام: من شهادة وصلاة وصيام وزكاة وحج، وما يتعلق بها، وكذلك لا يعذر الإنسان إذا جهل وحدانية الله، والاعتقاد الكامل بأنه ليس كمثله شيء، وأنه متره عن كل نقص . وكذلك يكون عاصياً من جهل المحرمات، كالزنى والخمر والربا وأكل الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الأنجاس، وتحرم زواج المحرمات، وما كان مثل هذا مما جاء فيه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . فمن جهل هذه الأمور يكون عاصياً لله، وعاصياً لرسوله وجاهلا بالإسلام، الذي جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، مَنْ قصَّر فيها يعاقبه الله على تقصيره، ولا يعذر بجهله بها، بل إن هذا العذر يكون أقبح من الذنب نفسه .

الجهل الممدوح

لقد حرَّم الإسلام السحر، وأمر الناس بعدم تعلّمه . ومن تعلَّم هذا العلم وقع في معـــصية الله، ومن هنا كان الجاهل بهذا العلم مطيعاً لله، ومنفذاً لأوامره، فإن السحر فتنة، وقد عمل الإسلام علـــى القضاء على السحر وفتنة السحرة، يقول الله تعالى: (**وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**) [طــه: ٦٩] . وقد نص الإسلام على قتل من يمارس السحر، حتى لا تنتشر الفتنة بين الناس، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: " اقتلوا كل ساحر " [البخاري] . وهكذا نرى أن من جهل هذا العلم وابتعد عنه فهو في طاعة الله .

العلم المباح

أما العلم الدنيوي النافع، فلا شيء في تعلمه ولا حرج، لأن فيه منفعة الفرد، فيتعلم كل إنسان حسب حاجته من هذا العلم، وكل فرد يأخذ من هذا العلم ما ينفعه في دنيـــاه، ليكـــسب عيـــشه، ويعيش حياة كريمة، فيتعلم الطب أو الهندسة، أو يتعلم حرفة، فلا نقول لمن يجهل الطب إنـــه عـــاصٍ وإنما عليه أن يتعلم شيئاً ينفعه في حياته ليكون عضواً نافعاً للمجتمع بأي علم يعلمه، أو بأي حرفـــة يتقنها .

آثار الجهل

إن آثار الجهل سيئة، سواء في الدنيا أو الآخرة، وهذه الآثار لا تكون سيئة وضارة بـــصاحبها فقط، بل ضررها يقع أيضاً على من حوله، فالجاهل كالمرض كالذي ينتشر ضرره، فلا يؤذي المريض فقط، بل يصيب بالعدوى المحيطين به، فلا يترك أحداً إلا وقد أصابه أذى منه .

أولاً: أثر الجهل على صاحبه في الدنيا:

إن الجاهل عدو نفسه، لأن يجلب على نفسه الضرر بجهله، ولا ينفعه مع الجهل شيء، وكمـــا قال أحد الحكماء: " الجهل أضرّ عدو " . وهذه العداوة ناتجة عن كثرة ما يصيب الجاهل من خطئه، وكثرة ما يوقعه فيه خطؤه من متاعب جمة؛ فلا يتكلم الجاهل بكلام إلا وفيه زلة، أو فيه ضرر عليـــه ومذلة، ولذلك قال الإمام علي بن أبي طالب: " قلب الجاهل وراء لسانه، ولسان العاقل وراء قلبه " .

فهو لا ينطق بشيء إلا وهو معتقد بصحة ما يقول وينطق، دون تفكير ولا صبر، فيزلّ لسانه بما هـو شر عليه، وكفى بالمرء شراً أن يجهل ما يقول .

وقد حذر رسول الله ﷺ من اللسان وأخطائه، وما يجلب على صاحبه من شـؤم وعـذاب، ودائماً ما كان يوصي، فيقول: " أمسك عليك لسانك " [الترمذي في الزهد] . فاللسان قد يـضيّع صاحبه، وخاصة إذا كان صاحبه جاهلا لا يدري ما يقول ولا يعقل ما يتفوه به، فقد تكون كلمـة واحدة سبباً في الهلاك، سواء كان ذلك هلاكاً في الدنيا بارتكاب أخطاء تؤدي إلى ضياع منفعـة أو جلب ضرر على صاحبه، أو هلاكاً دينياً بارتكاب معصية أو ذنب يعرِّض صاحبه لعقـاب الله عـز وجل . ومن لم يكن له نور في قلبه فهو يتخبط في ظلمات الجهل، ويقع في كل خطـأ، وإذا كـان العقل يمنع الإنسان من الإقدام على الشهوات كما يمنع العقال – الرباط – الجمـل مـن الـشرود والجري، فإن الجهل يؤدي إلى الانغماس في الشهوات، والبعد عن الحق، واتباع طريق الشيطان .

وقد حُكى أن الأصمعي – عالم الأدب واللغة – قال: سألتُ غلاماً من أولاد العرب، كـان يحادثني، فأمتعني بفصاحته: أيسرّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق جاهل؟ قال الغـلام: لا والله . قال الأصمعي: ولِمَ؟ قال الغلام: أخاف أن يجني عليَّ حمقي وجهلي جناية تذهب بمـالي، ولا يبقى لي سوى جهلي وحمقي .

وقد قال الشاعر:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له

والجهل يهدم بيت المجد والشرفِ

ثانياً: أثر الجهل على الآخرين:

إن الجاهل شرّ على من حوله، وقديماً قال أحد الحكماء: " عدو عاقل خير من صديق جاهل " . فإن عدوك تستعد لعداوته وضرره وشره، فلا يصيبك منه مكروه إلا وقد أخذت حذرك منه، أمـا الصديق الجاهل، فإن شرَّه يأتي من حيث لا يتوقع الصديق، فيكون شرُّه أكثر أثـراً، ولهـذا يكـون الجاهل مكروهاً منبوذاً في المجتمع، لا يحب أحد مصاحبته، ولا يريد أحد مصادقته إلا من كان مثله .

وقد سُئل أحد الحكماء عن الجاهل فقال: " إن الجاهل ضال مضل، إن أونس – تقرب إليـه أحد – تكبَّر، وإن أوحش – ابتعد عنه الناس – تكدّر، وإن طلب منه أحد الكلام تخلّف، وإن تُـرِك

و لم يطلب منه تكلّف . مجالسته حقارة، ومعاتبته محنة، ومحاورته تغرّ، ومصاحبته تضرُّ، ومقاربته عمى، ومقارنته شقاء " .

ولا شيء يوضح مدى سوء الجاهل ومصاحبته من هذا الكلام، فالناس تهرب منه، حتى إن ملوك الفُرس كانوا إذا غضبوا على عالم أو عاقل حبسوه في سجن واحد مع جاهل، حتى يعاني من صحبته .

وقد روى عن النبي ﷺ أن آخر الزمان سيكون أسوأ الأزمنة، وشر العصور، لأن في ذلك الزمان لن يوجد علماء ينفعون الناس بعلمهم، ولكن سيصبح الجُهّال هم المسيطرون، يقول ﷺ: " إن بين يدي الساعة لأياماً يترل فيها الجهل " [البخاري] . ويقول ﷺ: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً (ينتزعه من الناس) ولكن يقبض العلم بقبض (بموت) العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رءوساً جُهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلُّوا " [البخاري ومسلم] .

ثالثاً: أثر الجهل في الآخرة:

إذا كان أثر الجهل في الدنيا سيئاً، فإنه في الآخرة أشد سوءاً؛ فقد يتحدث الرجل بكلام عن جهل يضر به من حيث لا يدري، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين سأله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال له ﷺ: " ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا من حصائد ألسنتهم " [الترمذي] . وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار " [الترمذي] .

وما أكثر ما يتكلم الجاهل بكلام لا يلقي له بالا، فيُقضى عليه بأن يُسحب على وجهه في النار . وعذاب الجاهل في الآخرة يكون بسبب تفريطه في تعلم ما يجب عليه تعلمه؛ مما يكون سبباً في نجاته من النار، ولا عذر له على هذا التفريط في الآخرة، كما قال الجاهلون – مما حكاه القرآن –: (**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**) [الملك: ١٠] . ولو حاول الجاهل مجاهدة جهله، والقضاء عليه باكتساب العلم لكان في ذلك نجاته .

التحذير من الجهل

أولا تحذير القرآن من الجهل:

حذر القرآن من الجهل وأهله، وحذر من مصاحبة الجاهلين، قال سبحانه آمراً رسوله ﷺ بالبعد عن الجاهلين: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**) [الأعراف: ١٩٩] . وذلك يكون باحتمال ظلمهم وعدم التمادي معهم في الجدال، حتى لا يصيبه جهلهم بجهالة الغضب .

وكما أمر الله رسوله بالإعراض عن الجاهلين، فقد وصف عباده الصالحين بقوله: (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**) [الفرقان: ٦٣] .

فهم يصونون ألسنتهم عن مخاطبة الجاهلين، بل يقولون سلاماً وخيراً، ولا يغريهم الجهل بالجهل، وإنما يدفعهم الجهل إلى الحلم وقول المعروف . والجهل صفة الكافرين، ولذلك ذكر القرآن جدالهم لأنبيائهم، وأوضح مدى جهل الكافرين، حتى لا يقع فيه أحد، فقال: (**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**) [الزمر: ٦٤] .

فالكفر جهل، فاحذر أن تستمع لجاهل، فربما يأمرك بما يبغض الله .

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من الجهل:

حذَّر النبي ﷺ من الجهل وأهله، وحذر من كل ما يؤدي إليه من قول أو عمل، وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالبعد عن الجهل، فيقول: " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن جهل عليه أحد فليقل: إني صائم " [متفق عليه] . فالنبي ﷺ لا يريد للمسلم الغضب الذي يؤدي إلى الجهل في الكلام، وإلى معصية الله، فيفسد الصوم بجهله ومعصيته . وحذر النبي ﷺ من الجدال والمراء حتى لا يؤدي إلى الجهل، فقال ﷺ: " إياكم والمراء – الجدال – فإنها ساعة جَهل العالم " [الدارمي] . كما حذر النبي ﷺ مما يؤدي إلى الجهل، حتى وإن كان الإنسان عالماً، فكان يقول: " كفى بالمرء جهلا أن يُعجب بعمله " [الدارمي] .

وكان ﷺ دائماً ما يستعيذ من الجهل، فيقول: " اللهم إني أعوذ بك أن أجهل أو يجهل عليّ " [متفق عليه] .

العلاج من الجهل

إن الجهل – كما رأينا – شديد القبح، ويدعو إلى النفور والابتعاد عن صاحبه، ولكن إلى أي حد يجب الابتعاد؟ هل نبتعد عن الجاهل ولا نجالسه حتى يزداد جهلاً؟ أم نجالسه للقضاء على جهله ونحاول إخراجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم؟

إن الجهل كالمرض، وإذا تُرِك المرض، فإنه سيقضي على صاحبه، بل وسينتقل المرض منه إلى غيره، فيقضي عليه أيضاً، ولذا يجب علينا أن نقاوم هذا المرض؛ لنتخلص منه، ونعالجه حتى لا يصبح خطراً يهدد ويقتل الكثير .

ولكن كيف تكون المقاومة؟ وكيف يكون العلاج؟ إن علاج الجهل يكون بضده؛ بمعنى أن الجهل يعني عدم المعرفة، ولذلك يجب القضاء عليه بالمعرفة، وكما قال الشاعر: وداوني بالتي كانت هي الداء .

فالمداواة تكون بالعلم، ومع العلم خطوات وقواعد يمكن اعتبارها أساساً لعلاج الجهل، منها:

١ - الحرص على العلم:

قال رسول الله ﷺ: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [الطبراني] . ولذا كان واجباً على كل مسلم أن يتعلم، ولا يدع طلب العلم مهما كانت سنه، فإن الحرص على العلم من سمات التقدم، وقد شغف العرب المسلمون – قديماً – بالعلم شغفاً كبيراً، حتى إن الخليفة المأمون عند توقيع الهدنة مع الروم، اشترط عليهم أن يسلموا للمسلمين مكتبة عينها لهم، تضم مؤلفات كثيرة، واهتم المسلمون بإحضار مجموعات من الكتب من كل البلاد، وترجموا ما فيها، وأضافوا إليها حتى أصبحت بغداد قبلة لطلاب العلم من كل مكان في العالم . وكان نتيجة هذا الاهتمام بالعلم مزيداً من الحضارة والمدنية والرقي، وفي الوقت الذي اهتم فيه هارون الرشيد – خليفة المسلمين – وابنه المأمون بكنوز العلم، كان معاصروهم من ملوك أوروبا يتعثرون في القراءة، وفي كتابة أسمائهم؛ فلا ينفع جاه ولا مال مع الجهل، وإنما العلم هو الذي يجلب المال، ويجلب الفخر والعزة في الدنيا والآخرة .

٢ - التواضع للعلم:

يقول الله سبحانه: (**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**) [الإسراء: ٨٥] . وقال أيضاً في كتابه العزيز: (**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**) [يوسف: ٧٦] . فيجب أن يتواضع الإنسان مهما نال من

العلم ووصل إلى أعلى درجاته، فقد صح أن رسول الله ﷺ قال: " منهومان لا يشبعان، منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع " [الحاكم] .

٣- حب العلم والعلماء:

حب العلماء يجعل الإنسان يجلس ويستمع إليهم، وإذا استمع إليهم فإنه سوف يأخذ من علمهم، وبالتالي سيزول عنه جهله، وبحب العلم والعلماء ينتهي الجهل، فإن الإنسان عدو ما يجهله، وإن كان الإنسان يحب شيئاً فإنه لن يجهله .

وقد قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه: اغْدُ عالماً أو متعلماً، ولا تَغْدُ فيما بين ذلك، فإن ما بين ذلك جاهل . وإن الملائكة تبسط أجنحتها للرجل غَدَا يبتغي العلم من الرضا بما يصنع . [الدارمي] . وكثيراً ما يكون حب التلميذ لمعلمه سبباً في تفوقه، ولذا يجب أن يكون حب العلماء وسيلة من وسائل العلاج ضد مرض الجهل اللعين .

٤- ذكر الله واجتناب المعاصي:

إن ذكر الله يطهر القلب، ويصفي العقل، والله سبحانه واهب العلم، وهو الذي علمَّ الإنسان ما لم يعلم، فإذا داوم الإنسان على ذكر الله ثم طلب العلم، فإن ذلك سيكون علاجاً من الجهل . يُحكى أن الشافعي كان يشكو من سوء الحفظ، فأخبره أستاذه وكيع بن الجراح أن يلزم ذكر الله، ويبتعد عن المعاصي، فراح الشافعي ينشد:

شكوت إلى وكيع سوء حظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور

ونور الله لا يُهدى لعاصِ

٥- الصبر على العلم:

العلم يحتاج إلى الصبر، والصبر وإن كان مراً، فإنه في النهاية له حلاوة تقضي على مرارة الصبر . وحتى يخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وحتى يتمتع بحلاوة العلم، ويتخلص من مرارة الجهل، فعليه بالصبر، وبدوام الحرص على طلب العلم، والمذاكرة والدرس، فإن من يفعل ذلك ينفعه الله بما يتعلم، ويرفعه درجات يوم القيامة، كما قال تعالى: (**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**) [المجادلة: ١١] . والصبر على العلم هو السبيل الوحيد لهذه

الدرجات، ومن سلك غير هذه السبيل، فيريد تحصيل العلم بلا صبر ولا معاناة كـــان كمـــا قـــال الشاعر:

ومن طلب العلوم بغير درس

سيدركها إذا شاب الغراب

وصايا

الجهل وباء ومرض، فعليك بالحرص على ترك هذا المرض حتى لا تقع فيه، ولا يعديك صاحبه، وحتى يتم ذلك إليك هذه الوصايا حتى تعينك على تجنبه:

١- تعلم في الصغر؛ لأن ذلك يغرس فيك حب العلم .

٢- عدم الاقتصار على المدرسة فالعلم يكون في المترل، والمسجد، وبمجالسة العلماء، أو حضور الندوات والمحاضرات إلى غير ذلك .

٣- احرص على التعلم .

٤- تعوّذ من الجهل كما كان ﷺ يستعيذ منه .

٥- إن الجهل معصية، والعلم طاعة، فتعلم وأطع الله، ولا تجهل فتعص الله، واجعل القلب مطمئناً بذكر الله دائماً، حتى يسهل عليك التعلم، ويبعد الجهل .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة احذر

احذر الحسد

إعداد: مصطفى فهمي





تمهـيد

الحسد داء خطير، ورذيلة ممقوتة، يتسبب في إفساد العلاقات بين الناس، ولا يتفق مع روح الحب والإخاء الذين حرص عليهما الإسلام . فالمسلم يحب لأخيه الخير . قال ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [متفق عليه] . والحسد أكبر اعتراض على قسمة الله عز وجل لخلقه ورزقه لهم، قال تعالى: (**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**) [الزخرف: ٣٢] . وللحسد عاقبة وخيمة، وعذاب أليم، في الدنيا والآخرة، فالحاسد بعيد عن الخير، وينتظر دائماً الشر . قال ﷺ: " لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا " الطبراني " . ولذلك أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الحسد، فقال تعالى: (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**) [سورة الفلق] .

تعريف الحسد

الحسد في اللغة:

الحسد هو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما صاحب هذه التمني سعي في إزالتها . ويقال: حسدهُ النعمة، وحسده عليها، فهو حاسد وحسود، وكذلك امرأة حاسد وحسود، و " الجمع " حُسّادٌ وحسدةٌ وقوم حُسَّد . وتحاسدا: أي حسد كل منهما صاحبه، والحسود: ذلك الشخص الذي من طبعه الحسد ذكراً كان أو أنثى . والمَحْسَدَةُ: ما يُحْسَد عليه الإنسان من مال أو جاهٍ ونحوهما، ويقال " المحسدة مفسدة " . وتقول العرب: حسدني الله إذا كنت أحسدك . أي عاقبني الله على حسدي إياك . وحسدتك على الشيء، وحسدتك الشيء بمعنىً واحد . يقول الفيومي: حسدتك على النعمة وحسدته النعمة . أي نستطيع استخدام الكلمة مع حرف الجر وبدون حرف الجر . والحسد غير الغبطة لأن الأولى صفة المنافقين والثانية صفة المؤمنين .

الحسد شرعاً:

الحسد هو التألم بما يراه الإنسان لغيره، وما يجده فيه من الفضائل، والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خلق مكروه وقبيح بكل أحد . والحسد من أمراض القلوب، لكن له علامات ظاهرة مثل حقد بغيض، وكراهية دائمة، وبغض شديد للشخص المحسود . وقد يظهر هذا واضحاً على الوجه، وأثناء التعامل معه، فيكون لهذا المحسود ثقل على نفس الحاسد الخبيثة، ونفور منه .

أشكال الحسد

إن الحسد لا يكون ولا يوجد إلا بسبب نعمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على إنسان، ويمكن التمييز في الحسد بين أمرين:

الأول: أن يتمنى الحاسد زوال النعمة والفضل والخير عن غيره من الناس، سواء كانت هذه النعمة مالا أو علماً أو جاهاً أو سلطاناً، أو صحة، وذلك ليحصل هو عليها دون غيره، وينالها بدلا من المحسود .

الثاني: أن يتمنى الحاسد زوال تلك النعم السابقة عن غيره، ولو لم يحصل عليها، أو ينالها هو . وهذا من أشرّ أشكال الحسد وأبغضها . فيمكن أن نعتبر أن الحسد نوع من البخل لأن الحاسد يبخل بنعم المولى عز وجل على عباده .

حكم الحسد

الحسد المذموم خلق ذميم، حرمه الله في كتابه، وعلى لسان نبيه:

ففي القرآن: أمرنا الله – عز وجل – بالاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد فقال تعالى: (**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**) [الفلق: ٥] . وقد حرّم المولى – عز وجل – النظر إلى ما في أيدي الناس بحسد؛ لأن ذلك يعتبر تمني زوال النعمة من صاحبها سواء كانت دينية أو دنيوية . قال تعالى: (**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [البقرة: ١٠٩] .

وفي السنة:

يؤكد الرسول ﷺ على ذم وتحريم الحسد، فقد روي عنه أنه قال ﷺ: - " إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " [أبو داود] . وقال ﷺ: " لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام " [متفق عليه] . وقال رسول الله ﷺ: " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً " [مسلم] . وروي عن النبي ﷺ أنه قال: " دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر " [أحمد] .

حسد مطلوب

هناك نوع من الحسد مطلوب شرعاً، وهو:

الغبطة: وهي أن تحب لنفسك مثل النعم التي منحها الله للآخرين دون أن تتمنى زوالها عنهم، فهذه الغبطة جائزة . قال النبي ﷺ: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هكلتِه في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها، ويعلمها بين الناس " [البخاري] . والحسد المراد هنا هو الغبطة والامتنان لما أنعم الله به على الآخرين مع عدم تمني زوالها منهم .

آثار الحسد

الحسد مرض نفسي خطير، وهمٌّ على النفس ثقيل، له آثارٌ سيئةٌ على كل من الحاسد والمحسود .

آثار الحسد على المحسود:

يؤثر الحاسد بشكل كبير في المحسود – بمشيئة الله – بلا ذنب منه سوى أن الله تعالى منَّ عليه بالنعم، فقد يسعى الحاسد إلى هلاك ودمار نعمة المحسود . وغالباً ما تتعدى آثار الحاسد إلى من يحيط بالمحسود، فنجد مثلا أهل المحسود وقد أصابهم الهم لما يرونه من ضرر بالمحسود .

ولو بحثنا عن أسباب الخصام والكراهية التي تحدث بين الأقارب، أو بين الزملاء والأصدقاء، أو بين الجيران، لوجدنا أن الحسد وراء الكثير من ذلك بما يحمله من كراهية وانتقام وغيظ وحقد .

آثار الحسد على الحاسد:

١- الحاسد هو الخاسر الوحيد من حسده، وليس المحسود كما يُظَن، لأن الحسد ليس سـببًا مؤثراً في زوال النعم، لأن المولى عز وجل لا ينفذ مشيئته وإرادته حسب رغبات الحاسدين، والـدليل على ذلك أن الله تعالى أبقى نعمه على الأنبياء، وسائر من أراد لهم ذلك، مع أنهم كثيراً ما حُـسِدوا من قومهم، كما أبقى على الأغنياء غناهم، وحافظ للمؤمنين على إيمانهم بمشيئته .

٢- الحسد يجلب الشر لصاحبه، فالحاسد مثل رجل أراد أن يرمي إنساناً بحجر ضخم، فعـاد الحجر إلى عينه هو فأصابه وأهلكه، وذلك لأن الحاسد لا يشعر ولا يقدر نعم الله عليه – وهي كثيرة – .

٣- أن الحاسد يعيش في عذاب قاس، وغمٍّ دائم، وهمٍّ متجدد، لأن نعم الآخـرين لم تـزُل، وذلك سيؤدي بالحاسد في النهاية إلى الدمار والخسران السريع .

٤- أن الحاسد يجني من وراء حسده حسرات وآلاماً وأمراضاً جسدية، لأنه لـن يجـني مـن حسده شيئاً، وصدق ابن المعتز حين قال: الحسد داء الجسد .

٥- الحاسد مكروه من الناس، ومعزول وحده، مثل الشخص المريض المعدي، فلا يجد أحـداً يحبه ويألفه، وذلك لأن حسده أدى إلى نفور الناس منه، وبعدهم عنه، وكرههم الشديد له، والنتيجة النهائية لذلك عدم سيادته لقومه، كما قيل في الحكمة: الحسود لا يسود .

٦- الحاسد متعرض لسخط الله تعالى وغضبه وعقابه الشديد، وذلك أنه يعترض على حكـم الله وعطاياه وتقسيمه النعم بين خلقه . وجزاؤه المتوقع جهنم وعذابها الأليم .

التحذير من الحسد

يهتم الإسلام بصفاء النفس البشرية ويعتني بها، ويحميها من المفاسد . وقد جاء الإسلام حاملا مشاعر الحب والإيثار والتآلف والتضحية، وقد أمر الله تعالى رسوله المصطفى ﷺ، وجميع المـؤمنين بالاستعاذة من شر الحاسد، والبعد عنه واتقاء شرّه . قال تعالى: (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**) [سورة الفلق] . كما بيَّن الشرع الحكيم أن الحاسد مثله كمثل إبليس لعنه الله، يحسد الناس على ما آتـاهم الله من فضله . قال رسول الله ﷺ: " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله! أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمِرْتُ بالسجود فأبيت فلي النار " [مسلم] . كمـا

قال تعالى محذراً ومنكراً على من يتصف بهذه الصفة الشريرة السيئة: (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**) [النساء: ٥٤] .

فالحسد وشره وسوء نتائجه، إنما يقع بسبب ما استقر في قلب صاحبه من مرض جعله لا يرضى بما أنعم الله به على عباده، وحمله على السعي في زوالها بالقول والعمل . فالحسد إذا استكثار واستنكار لفضل الله تعالى أن يؤتاه أناس بعينهم، وهو نوع من الاعتراض على قدر الله وقضائه . والحسد يُعْمي بصر الحاسد، ويغلق قلبه عن الرحمة، ويدفعه إلى الانتقام، ويهوي به إلى مستنقع الجريمة . وفي الحديث الشريف نجد التحذير مباشراً وواضحاً من الحسد وشروره، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " [أبو داود] . يقول الإمام النووي: إن هذه الرذيلة الحقيرة تذهب الحسنات وتقضي عليها، وتبطلها بسرعة شديدة، وذلك مثلها مثل النار الشديدة التي تقضي على الحطب والعشب اليابس .

والحاسد من أعداء الله تعالى، ومن شياطين الإنس، فقد قال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله . قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحسود عدو نعمتي، متسخط لقضائي، غير راضٍ بقسمتي .

فالحاسد عدو النعمة، فمثله كمثل إبليس اللعين، حسد آدم عليه السلام لما رأى منزلته العظيمة عند الله عز وجل، وأن الله – سبحانه – خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلّمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، فما زال إبليس يسعى – حسداً – حتى أخرجه من الجنة ونعيمها إلى الأرض وعذابها .

فها هو ذا دائماً يؤدي إلى الأذى والعدوان والضرر الشنيع والهلاك، وقد يصل إلى حد القتل والفناء للمحسود .

الحسد القاتل

فاز يوسف عليه السلام من حب أبيه يعقوب عليه السلام بنصيب أكبر من إخوته، لما كان له من أخلاق كريمة، فسيطر على إخوته شعور قوي بأنهم أقل منزلة عند أبيهم منه، وتطور هذا الإحساس، حتى ملأ الحسد نفوسهم، فبدءوا يدبرون للتخلص من يوسف عليه السلام قال تعالى يصف تآمرهم: (**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**) [يوسف: ٨ – ٩] .

وذهب إخوة يوسف إلى أبيهم، وطلبوا منه أن يسمح لهم باصطحاب يوسف للعب معهم، فسمح لهم أبوهم . فلما خرجوا إلى الصحراء، ألقوه في بئر عميقة عسى أن يموت جوعاً وعطشاً، وعـادوا إلى أبيهم، وزعموا أن الذئب قد أكله، ولكن الله – تعالى – لم ينس نبيه يوسف . ومرت قافلة وذهـب رجل منهم إلى البئر يطلب الماء، فوجد يوسف، فأخذه وباعه في مصر، ثم أصبح يوسف بعد ذلـك وزيراً على خزائن مصر، وجاء إخوته يطلبون منه الطعام فبين لهم أنه أخوهم يوسف، وقال لهم: (**أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**) [يوسف: ٩٠] . وندم إخوته واعترفوا بذنبهم وقالوا له: (**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**) [يوسف: ٩١] . وهكذا دفعهم الحسد إلى التفكير في قتل أخيهم .

كلمات وأشعار

يروى عن الإمام علي ﷺ أنه قال: لا راحة لحسود، ولا إخاء لمُلول، ولا محب لسيء الخلق . وقال أحد السلف: لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله . وقال معاوية – رضي الله عنه –: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود . وقال الأصمعي : : قلت لأعرابي: ما أطول عمرك؟ فقال الأعرابي: تركت الحسد فبقيت .

وذات مرة قال رجل لشريح القاضي: إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الحكم . فقال له شريح: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني .

كما كان للشعراء كلمتهم في التحذير من هذه الرذيلة القبيحة . فقد قال عبد الله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وقال آخر:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا

إلا الحسود فإنه أعياني

ما إن لي ذنباً إليه علمته

إلا تظاهر نعمة الرحمنِ

وأبـــى فمـــا يرضيـــه إلا ذلـــتـــي

وذهاب أمـــوالي وقطـــع لسانـــي

نهاية حاسد

يروى أن رجلا كان يجالس أحد الحكام ويصاحبه وينصحه، فحسده رجل شرير على ذلـــك المقام عند الحاكم، فذهب إلى الحاكم وقال له: إن هذا الذي يجالسك، ويقول ما يقول مـــن كـــلام جميل، يزعم أنك أبخر " أي: لفمك رائحة كريهة " فقال له الحاكم وهو ساخط: وكيف أتأكد مـــن ذلك؟

قال له الرجل الحاسد: تدعوه إليك، فإنه إن دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يـــشم رائحـــة البخر منك . فقال له الحاكم: انصرف حتى أنظر . فخرج الحاسد من عنـــد الحـــاكم، وذهـــب إلى الرجل جليس الحاكم الذي وشى به عنده ودعاه إلى مترله، فأطعمه طعاماً فيه ثوم كـــثير، ثم خـــرج ذلك الرجل وذهب كعادته إلى الحاكم وجلس بجواره لينصحه، فقال: أيها الحاكم أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيكه إساءته . فقال له الحاكم: ادنُ مني . فدنا منه، فوضع الرجل يده على فمه مخافة أن يشم الحاكم منه رائحة الثوم . فقال الحاكم في النفسه: ما أرى فلاناً إلا قـــد صـــدق . وكان الحاكم لا يكتب بخطه إلا صلة أو جائزة، فكتب للرجل كتاباً بخطه إلى عامل من عماله يقول فيه: إذا أتاك حاملُ كتابي هذا فاذبحه .

فأخذ الرجل جليس الحاكم الكتاب وخرج به، فلقيه الرجل الواشي الذي حسده، فقال له: ما هذا الكتاب؟ فقال: خَطَّ الحاكم لي كتاباً فيه جائزة . فقال له: هبه لي . قال: هو لـــك . فأخـــذه ومضى به إلى العامل، فقال له العامل: في كتابك أن أذبحك، فقال له الرجـــل الحاســـد بفـــزع: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الحاكم وتخبره بأمري . فقال العامل: لـــيس لكتـــاب الحاكم مراجعة، فذبحه . ثم عاد الجليس الطيب إلى الحاكم كعادته، فتعجب الحاكم، وقال له: ما فعل الكتاب؟ فقال الرجل الطيب: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له، قال الحاكم له: إنه ذكر لي أنـــك تزعم أني أبخر . قال الرجل الطيب: ما قلت ذلك . قال الحاكم: فلم وضعت يدك على فمك؟ قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تَشُمَّه . عندئذ قال الحاكم لهذا الرجـــل الطيـــب الحكـــيم: صدقت . ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته .

أسباب الحسد

قبل الدخول في طرق العلاج من الحسد، وإزالة هذا الخلق الذميم، وتلك الرذيلة البغيضة الكريهة، علينا أولا التنبيه إلى أسباب الحسد، ومعرفة دوافعه وأسبابه، وذلك حتى نصل إلى العلاج الصحيح الذي يقضي على هذه الرذيلة، ومن هذه الأسباب والدوافع ما يلي:

أولا: البغضاء والحقد والعداوة:

وهذا الدافع من أشد دوافع الحسد خطراً وأهمية، ومن ذلك ما وصف المولى – عز وجل – به الكفار وعداوتهم وبغضهم الشديد للمؤمنين . فقد قال عز من قائل: (**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا**) [آل عمران: ١١٩ – ١٢٠] .

ولأن الحقد يقترن بالعداوة والبغض والكراهية ولا يفارقهما، فقد اعتبر الحقد من أشد أسباب الحسد .

ثانياً: حب النفس:

إذا امتلأ صدر إنسان بحب النفس، فإنه سوف يحسد، وقريباً من ذلك كان حسد الكفار لرسول الله ﷺ، قال تعالى: (**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**) [الزخرف: ٣١] .

فقد وصل بهم حب الذات إلى مرتبة حسد الأنبياء على الفوز برتبة الرسالة والنبوة، وعدم حصولهم عليها، لأنهم يرون أنفسهم أنهم أكثر استحقاقاً وجدارة بالرسالة من النبي ﷺ .

وهذا الدافع نفسه نجده سبباً في كفر وصدود علماء اليهود وأحبارهم وإنكارهم لنبوة النبي محمد ﷺ، مع أنهم يعرفون جيداً أنه قد جاء بالحق المبين من عند الله سبحانه وتعالى .

وذلك بالطبع كان حسداً من عند أنفسهم الخبيثة، وخوفاً وفزعاً أن تذهب رئاستهم وجاههم وسلطانهم، فيصبحوا أتباعاً بعد أن كانوا متبوعين .

ثالثاً: سوء الفهم:

إذا عرف أحد الناس أن هناك فضلا أو نعمة أعطاها الله لعبد من عباده، اضطرب وكره ذلك وحسده، ولكن إذا وصف له أن هناك اضطراباً في أمور الناس وتنغيصاً في عيشهم، فإنه يفرح بذلك ويُسرّ . وهذا دليل على سوء الفهم .

لأنه بذلك يبخل بنعمة الله تعالى على عباده، وكأنهم يأخذون ذلك من خزائنه هو وملكه هو .

فترى ذلك الخبيث الحاقد ساخطاً على الله – عز وجل – في قضائه، ومنحه لعباده، وعطائه لهم، حتى وإن كانت نعم الله وأفضاله عليه كثيرة لا تعد، فالحاسد يبخل بنعمة الله – تعالى – على خلقه، الذين ليس بينهم وبينه عداوة، ولا رابطة .

وهذا ليس له سبب إلا خبث النفس وقلة العقل، ومرض القلب، وهذا الصنف من شر الحاسدين .

رابعاً: المماثلة والتزاحم على غرض واحد:

إن المماثلة أو التكافؤ في النسب، أو المكانة، أو الغنى، أو التجارة، من أكثر الأشياء التي تثير الحسد . ويؤكد ذلك الإمام الغزالي فيقول: إن الجوار والقرب يثير التنافر والتحاسد، فترى العالم يحسد العالم، ولا يحسد العابد، والتاجر يحسد التاجر ولا يحسد غيره، فكان أصل هذه المحاسدات والأحقاد العداوة والتزاحم بينهما على غرض واحد يجمع بينهما، فيحدث ذلك .

علاج الحاسد

لكي يقي الإنسان نفسه من مرض الحسد، عليه بالآتي:

١- التخلق بخلق الرضا والقناعة وإيثار الغير، فيحب الخير للجميع، ويؤثر الناس على نفسه، ويرضى بما قسمه الله له مع السعي والتفوق والسير وراء أسباب النجاح والفلاح .

٢- على المسلم إن خطر له خاطر الحسد بحكم بشريته ونفسه الضعيفة، وعدم عصمته من الأخطاء أن يقاوم الحسد ويدفعه عن نفسه، ويكرهه، ويعتبره عدوه الأكبر، حتى لا يصير خلقاً وصفة فيه، فيخسر كل شيء بسبب ذلك .

٣- يحسن بالمسلم إذا رأى شيئاً أعجبه أن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله . وبذلك لا يؤثر الحسد في نفسه، ولا يأتي له، ويسلم منه بإذن الله تعالى . قال ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان (حسد) سهل بن حنيف: " ألا بَرَّكْتَ " . أي قلت اللهم بارك عليه . [أبو داود] .

وؤوى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً (بستاناً) من حيطانه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

٤- استبدال الحسد بالغبطة، وهو أن يتمنى الإنسان أن يكون له مثل أخيه من نعم وأفضال وأخلاق كريمة من غير الرغبة في زوال هذه النعم والأفضال من صاحبها .

والغبطة جائزة عند كثير من العلماء ولا يستطيع أن يعيب أحدٌ على صاحب هذا الخلق القويم الجميل المحبوب .

وذلك لأن الغبطة تجعل الإنسان يعمل ويسعى ويدعو ربه حتى يصل إلى المكانة التي وصل إليها صاحبه من النجاح والتفوق الدائم .

وعندما يتخذ المؤمن هذا الطريق فإنه لا بد أن يصل قبل كل ذلك إلى رضا المولى عز وجل، فيكون هذا طريق النعم والفضل عليه .

٥- المنافسة في الخيرات . وكذلك يجب على المسلم الملتزم بأوامر الله وشرعه أن يتخذ المنافسة في الخيرات طريقاً ومنهاجاً له يمشي عليه، ويسير باطمئنان تحت هداه .

فالمنافسة هي بذل المجهود، ومجاهدة النفس وحملها على التشبه بالأفاضل من الناس، واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على الغير .

ومن الناس من يظن أن المنافسة في الخير هي الحسد، ولكن الأمر ليس كذلك، فالحسد بعيد كل البعد عن المنافسة والغبطة المحمودتين .

فالمنافسة حافز مؤثر في اكتساب الفضائل والنعم والأخلاق الكريمة، بل والاقتداء بالأفاضل في كل مجال . قال تعالى: (**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**) [المطففين: ٢٦] .

وقال تعالى: (**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**) [الحديد: ٢١] .

وقال الشاعر مرغِّباً في التنافس:

نافس على الخيرات أهل العلا

فإنما الدنيا أحاديث

كل امرئ في شأنه كادح

فوارثٌ منهم ومَوروث .

ولذلك كانت المنافسة – وليس الحسد – الطريق الطبيعي لتقدم الأشخاص والأمم نحو الوصول إلى أفضل حال .

٦- أن يفرِّغ قلبه من الاشتغال بالحسد والتفكير فيه، ويمحوه من باله كلما خطر له .

وعليه أن يشغل باله بالتفكير في الله سبحانه والخوف منه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على دفع الحسد من القلب، وتخليص النفس منه، فإن هذا بمترلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا انشغل عنه بالخوف من الله والتفكير في عواقب الأمور، لم يتعرض له ذلك العدو و لم يقدر عليه إن تعرض له .

٧- على المرء الحاسد أن يتوب إلى الله – تعالى – من ذنوبه ورذائله، وعليك كذلك أن يتيقن أن ذنوبه وأعماله هي التي سلطت عليه هذا الكيد والحقد والحسد، وذلك لقوله: (**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**) [الشورى: ٣٠] .

ولذلك على المرء أن يشتغل بذنوبه ويترك آفات النفس ويتخلص منها، وعليه كذلك أن يسرع بإصلاح نفسه، وتعوديها على الخير، ويتوب توبة نصوحاً، ويستغفر الله – عز وجل – من ذنوبه ورذائل نفسه .

٨- التفكر واستخدام العقل الذي يستقبح الحسد والحقد؛ فالعقل السليم يرفض ما يجده من مساوئ الحقد والحسد والبغضاء، ويعلم يقيناً أنه لا يستفيد منه شيئاً فيبدأ بتذليل ما في النفس من علو وتكبر، وتطهيرها، فتبدأ النفس في الرجوع لكامل صوابها ورشدها، والاستجابة السريعة إلى صلاحها وتقويمها، والسير بها على السبيل الصحيح بعيداً عن الحسد .

٩- على الحاسد أن يشعر بخطورة نفور الناس منه، وبعدهم عنه، وكراهيتهم له، وخوفه على نفسه من عداوهم له، وتكون معرفته هذه حافزاً له لإصلاح وعلاج ما اعوجّ من نفسه بالحسد، وأن يرى أنّ صلاحها أجدى نفعاً له، وأنفع في علاقته بمن معه من الناس .

١٠- على الحاسد التفكر في آخرته ومصيره البائس، وجهنم التي تنتظره لعقابه الشديد على رذيلة الحسد المتمكنة من نفسه الخبيثة .

١١- على الحاسد أن يتذكر أنه نفسه قد يقع فريسة للحسد، فيحسده الناس، ويحيق به مكره السيء، ويذوق ما كان يذوقه الآخرون من مرارة الحسد .

١٢- أن يرضى الحاسد بالقضاء، ويستسلم للمقدور، فلا يعاند الله – تعالى – في قضائه، ولا يعارضه في أمره، فإن مشيئة الله نافذة ولا راد لقضائه .

علاج المحسود

أولاً: الوقاية:

على مَنْ يريد أن يتقي شر الحسد أن يتبع الآتي:

١- أن يتعوذ بالله من شر الحسد، ويلجأ إلى الله – تعالى – ويتحصن به .

٢- الرقية الشرعية، وهي قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي .

ومن الرقية أيضاً الإكثار من التعوذات النبوية مثل: " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " [أحمد] .

" أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة " [البخاري] .

" أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون " [أبو داود] .

" باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك " [مسلم] .

٣- أن يتقي الله ويحفظ أوامره ولا يتعدى حدود الله، فإنه من يتق الله يحفظه ولا يكله إلى غيره .

٤- أن يتحلى بالصبر على أعدائه ولا يؤذي أحداً .

٥- أن يتوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه، أي كافيه، ومن كان الله كافيه فسوف يدفع عنه أذى الناس وعداوتهم .

٦- الإقبال على الله – تعالى – والإخلاص له والإنابة إليه والتوبة من الذنوب التي كانت سبباً في تسلط الحساد عليه .

٧- الإكثار من التصدق والإحسان، فإن ذلك يدفع البلاء والعين وشر الحاسد، فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها .

٨- الإحسان إلى الحاسد . قال تعالى: (**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**) [فصلت: ٣٤] .

٩- اليقين والعلم بأن الحسد لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله تعالى . قال تعالى: (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) [يونس: ١٠٧] .

ثانياً: العلاج:

إذا تعرض المسلم للحسد بالعين أو غيره، فينبغي عليه اتباع الآتي:

١- كتابة بعض الآيات ونقعها في الماء، ثم الشرب منه والغسل منه .

٢- يغتسل الحاسد، ويغسل ملابسه، ثم يأخذ ذلك الماء، ويصب على رأس المحسود، قال ﷺ لعامر عندما حسد أخاه: " اغتسل له " . فغسل له عامر في قدح وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره (أي طرف الملبس الذي يلي الجسد) ثم صب عليه، فراح مع الناس . أي شفي بإذن الله . [مالك وأحمد] .

وصايا

* دعوة الآخرين إلى بغض الحسد، والبعد عنه وكشفه أمامهم ونتائجه الكريهة، وتحريم الإسلام ونهيه عنه .

* إذا رأيت نعمة لدى أحد من خلق الله تعالى فاذكر قول الرسول ﷺ: " اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك له، فلك الحمد ولك الشكر " [أبو داود] .

* القلب الحاسد يفسد الأعمال الصالحة، أما القلب الصافي، فإن الله يبارك فيه ويزيده خيراً ونقاء . فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قيل: يا رسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟ قال: " كل مخموم

القلب، صدوق اللسان " قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: " هو التقي النقـــي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد " [ابن ماجه] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة احذر

احذر البدع

إعداد: أحمد حسن عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

البدعة رذيلة مذمومة، تدل على الجرأة على الله وعلى دينه، كما تدل على عدم فهم الدين وفقه أمور العقيدة، وذلك باختراع أقوال أو ابتداع أفعال يظن المبتدع في ظاهرها خيراً، ولكنه لو علم باطنها لعرف أنها شر نهى الدين عنه لآثاره الضارة على الفرد والأسرة والمجتمع . والمبتدع يظن خطأ أنه مجتهد عندما يزيد على دين الله أو ينقص منه، جاهلا أن الله – تعالى – قد أكمل لنا الدين، قال تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً**) [المائدة: ٣] .

وقد حذرنا النبي صلى عليه وسلم من البدعة فقال: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (أي: عمل مردود، ليس لصاحبه أجر " [البخاري] .

وقال ﷺ: " كل بدعة ضلالة " [ابن ماجه] .

تعريف البدع

أولاً: البدعة في اللغة:

مادة (ب د ع) تدل على معنيين، الأول: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال والتعب .

وأبدعت الشيء قولا أو فعلا إذا ابتدأته لا عن سابق مثال . والله سبحانه بديع السموات والأرض أي مبدعها وخالقها من عدم . وسميت البدعة بذلك، لأن قائلها ابتدعها من غير مقام إمام . والإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء . وإبداع الله: إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة، ولا زمان ولا مكان، ولا يكون ذلك إلا لله عز وجل . والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال . وقيل: البدعة كل محدثة . والجمع بِدَع . وبدَّعة نسبة إلى البدعة . ويقال أبدع وابتدع وتبدّع: أتى ببدعة . وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال . والبدعة اسم هيئة من الابتداع . والبدع: الأمر الذي يكون أولا، ومنه قوله تعالى: (**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ**) [الأحقاف: ٩] .

ثانياً: البدعة في الشرع:

البدعة اصطلاح فقهي يعني الفعل أو القول المخالف للسنة، وهذا الفعل لم يكن عليه الصحابة والتابعون، وليس له عليه دليل من القرآن أو السنة .

ومعنى هذا أن البدعة أمر مستحدث في الدين فقط .

أما المستحدثات الدنيوية مثل الاختراعات الحديثة التي لم تكن على عهد الصحابة والتـابعين، كالسيارات والطائرات والإذاعة والتليفزيون والأقمار الصناعية، وغيرها من اختراعات، فكل هـذه المستحدثات التي فيها نفع للإنسان، لم يرد في شأنها نهي، بل حث الإسلام عليها، وعلى الاجتـهاد وإعمال العقل فيما يحيط بالإنسان من مخلوقات كثيرة .

أنواع البدعة

تنقسم البدعة إلى قسمين:

أولاً: بدعة حقيقية:

وهي البدعة التي لا سند لها من كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا إجماع، فهي صادرة عن هوى النفس والجهل، ومن أمثلتها:

١- التقرب لله بالرهبانية، والمبالغة في العبادة، والبعد عن الناس، وترك ما أحل الله وما أباحـه من الطيبات .

٢- التقرب إلى الله بالانتحار استعجالا للموت .

٣- تعليق الشموع والمصابيح على القبور والأضرحة ظناً من بعض الجهال أن في هذا قربى من الله .

ثانياً: بدعة إضافية:

وهي البدعة التي لها أصل في الشرع، ولكن أدخل عليها إضافة في الزمان مثل: المواظبة علـى صيام يوم الثلاثاء فقط من الأسبوع، مع أن النبي ﷺ أوصى بصيام يومي الاثنين والخميس .

أو أدخل على البدعة إضافة في المكان مثل: الطواف حول الأضرحة، مع أن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة، أو أدخل إضافة في الكيفية مثل: ذكر الله بصوت مرتفع في المسجد أو غيره مـع أن

الله تعالى أوصى بعكس ذلك، فقال تعالى: (**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**) [الأعراف: ٢٠٥] .

نماذج من البدع

بدع العقيدة:

من أمثلة بدع العقيدة اتخاذ الوسطاء من الأولياء، ليقربوا المتوسل بهم إلى الله، والجهل بأن الله قريب لا يُوسط أحداً بينه وبين عباده . قال تعالى: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**) [البقرة: ١٨٦] . وقال ﷺ لابن عباس: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله " [الترمذي] . فالاستعانة بغير الله، واتخاذ الوسطاء من الأولياء وغيرهم يُعدُّ شركاً بالله، وبدعة مخالفة لأمر الله وسنة رسوله، قال تعالى: (**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً**) [الكهف: ١٠٢] .

بدع المساجد:

جعل الله سبحانه المساجد بيوتاً لأداء الصلوات، وذكر الله، والاعتكاف، وتلاوة القرآن الكريم، فالمساجد بنيت لله تعالى وحده، فلا يعبد فيها غيره، قال تعالى: (**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً**) [الجن: ١٨] . ومن بدع المساجد التي تخالف ما جاء في الشرع: إغلاق المساجد بعد وقت الصلاة، مما يؤدي إلى تضييع ثواب الصلاة في المسجد لمن لم يتيسر له أداؤها في أول وقت . ومن بدع المساجد أيضاً: رفع الأصوات لغير أمر شرعي مثل: خطبة الجمعة أو دروس العلم، فقد خرج النبي ﷺ على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال ﷺ: " إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن " [الموطأ] .

بدع الحج:

اعتقاد بعض الناس أن الحج لا يتم إلا بزيارة قبر الرسول ﷺ وهذا اعتقاد خاطئ، لأن زيارة قبر الرسول ﷺ أمر مستحب وليس من أركان الحج . ومن البدع – أيضاً – التمسح بجدران الكعبة كلها، وهو ما لم يفعله الرسول ﷺ، وإنما كان يمس الركن اليماني، ويقبل الحجر الأسود .

ومن البدع كذلك كتابة أسمائهم على أعمدة حوائط الكعبة، وتبييض بيت الحاج بالبياض والجير ونقشه بالصور وكتابة اسم وتاريخ الحاج .

بدع السلام والتحية:

من بدع التحية ما يردده كثير من الناس الآن من ألفاظ التحية التي لا صلة لها بالإسلام مثل: عوافي، ومرحباً، وصباح الخير، ومساء الخير، ونهارك سعيد، إلى آخره .

وقد علّمنا النبي ﷺ التحية التي يحبها الله، وذلك عندما جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم . فرد عليه ﷺ، ثم جلس . فقال النبي ﷺ: " عشرة " (أي: عشر حسنات) . ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله . فرد عليه فجلس . فقال ﷺ: " عشرون " . ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرد، فجلس . فقال ﷺ: " ثلاثون " [أبو داود] .

بدع الطهارة:

تعمد ترك التسمية عند الوضوء أو الغسل . قال ﷺ: " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم أقطع " أي ناقص . [الرهاوي في الأربعين] . وكذلك الجهر بالدعاء عند الوضوء أو الغسل .

بدع الأذان:

التلحين والتغني بألفاظ الأذان، فزيادة المد في بعض حروف الأذان يخرجها عن معناها الصحيح، ويؤدي إلى اللحن . وزيادة جمل وكلمات على نص الأذان المعروف . والصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان بصوت مرتفع .

بدع يوم الجمعة:

اعتقاد أن يوم الجمعة فيه ساعة نحس، وهذا مخالف لما ورد عن النبي ﷺ حيث قال عن يوم الجمعة: " فيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه " [أحمد] .

بدع الصلاة:

من بدع الصلاة، الجهر بالنية، حيث لم يثبت عن النبي ﷺ ولا الخلفاء ولا الصحابة الجهر بالنية . والمسارعة في أداء الصلوات، وعدم التأني والاطمئنان فيها .

حكم البدعة

البدعة حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، لأن البدعة فعل أو قول يخالف السنة، أو عمل محدث ليس من الدين في شيء . ومن أدلة القرآن التي تدل على حرمة البدعة، قول الله تعالى: (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [النور: ٦٣] .

وأما دليل حرمة البدعة من السنة فقول النبي ﷺ: " وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " [أبو داود] .

أنواع البدع من حيث التحريم:

قسم العلماء البدع من حيث درجة الحرمة إلى أربعة أقسام هي:

أ- بدعة مكفرة:

كدعاء غير الله من الأنبياء والصالحين، والاستغاثة بهم، وطلب تفريج الكربات وقضاء الحاجات منهم، وهذه أعظم بدعة في دين الله .

ب- بدعة محرمة:

كالتوسل إلى الله بالأموات، وطلب الدعاء منهم، واتخاذ القبور مساجد والصلاة إلى القبور، وإشعال السرج على القبور، ونذر الشموع والذبائح لها، والطواف بها واستلامها .

جـ- بدعة مكروهة تحريماً:

كصلاة الظهر بعد الجمعة، وقراءة القرآن بالأجرة، والختمة التي تعمل للميت، ورفع الصوت بالدعاء، والتسليم عقب التأذين .

د- البدعة المكروهة:

كالمصافحة في أدبار الصلوات وتعليق الستائر على المنابر .

التحذير من البدع

أولاً: تحذير القرآن من البدعة:

حذر القرآن الكريم من البدعة، وحث على التمسك بشريعة الله ومنهاجه، ومن ذلك:

- اتبع ولا تبتدع:

أوجب الله على المسلمين اتباع الرسول ﷺ فيما أمر به والتسليم له، وطاعته، وجعل لذلك ثواباً عظيماً من الرحمة والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) [الأعراف: ١٥٦ – ١٥٨] .

- **طاعة الرسول طاعة لله:**

قرن الله سبحانه في كثير من الآيات بين طاعته وطاعة رسوله، ومن ذلك قوله تعالى: (**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**) [آل عمران: ٣٢] . فصاحب البدعة لا يطيع الرسول، بل يأتي ببدعة يحارب بها سنته ﷺ .

- **حب الله للمتبع:**

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين باتباع الرسول ﷺ وجعل هذا الاتباع سبيلا وسبباً لنيل حب الله، وكسب رضاه، والحصول على غفرانه . قال تعالى: (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [آل عمران: ٣١] . ولا شك أن صاحب البدعة محروم من حب الله ورسوله، ومن غفران ذنوبه، لأنه لا يتبع الرسول ﷺ .

- **خذ عن الرسول ﷺ:**

جعل الله سبحانه وتعالى السنة هي مقياس الفعل والترك، وميزان الأخذ والرد، فقال تعالى: (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [الحشر: ٧] فصاحب البدعة بذلك يكون مخالفاً لأمر الله سبحانه وتعالى .

- **إياك وترك السنة:**

حذر الله سبحانه وتعالى من الإساءة إلى الرسول ﷺ في حياته أو إلى سنته بعد وفاته، بتقديم غيرها عليها أو بمخالفتها، أو الخروج على توجيهاتها، فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا**

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) [الحجرات: ١ – ٢] .

- احذر الفتنة:

بين الله تعالى بعض العواقب الوخيمة، وسوء المصير الذي ينتظر من يخالف سنة النبي ﷺ، ويبتدع من عند نفسه بدَعاً تخالف شريعة الله، فقال تعالى: (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [النور: ٦٣] .

- اتباع الرسول ﷺ:

جعل الله تعالى الخروج عن اتباع الرسول ﷺ، وعدم التسليم له، والإتيان ببدعة تخالف سنة الرسول، ضلالا واضحاً، وانحرافاً لا شك فيه . قال تعالى: (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**) [الأحزاب: ٣٦] .

- احذر الضلال:

البدعة ضلالة، والمبتدع ضال ومضل، لأنه خارج عن السنة وهو يتوهم أنه يسير في الطريق المستقيم، ويستشهد على بدعته بدليل شرعي يؤوله حسب هواه وشهوته، وقد ضرب الله لنا مثلا لضلال أهل البدع، فقال تعالى: (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**) [المائدة: ١٠٤] .

- التشبه بالكافرين:

صاحب البدعة يشابه من كفر بعد إيمانه، وأعرض عن الحق وعن الرسول ﷺ بعد أن عرف صدقه، قال تعالى: (**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) [آل عمران: ٨٦ – ٨٧] . ويتشبه صاحب البدعة أيضاً بالذي كتم ما بيَّنه الله في كتابه، قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**) [البقرة: ١٥٩] . فالمبتدع معاند لمنهج الله؛ لأنه جعل بدعته وسيلة لكي يترك الناس ما بينه الشرع، وبذلك كتم ما أظهره الله .

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من البدعة:

حذر النبي ﷺ في سنته من البدعة وعدم التمسك بالسنة، ومن ذلك:

- لا يستوي المبتدع والمتبع:

بيّن النبي ﷺ في مثل محسوس الفرق بين من اتبع سنته وبين المبتدعين الذين يعرضون عن سنته، فقال: " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال يا قوم: إني رأيت الجيش بعيني، وأنا النذير العريان، فالنجاة، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق " [البخاري] .

- شر الأمور:

وبين النبي ﷺ أن البدعة من شر الأمور، فكان ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم، ويقول: " بعثت أنا والساعة كهاتين " ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ثم يقول: " أما بعد: فإن خير الأمور كتاب الله، وخير الهادي هدي محمد، وشر الأمور مدثاتها، وكل بدعة ضلالة " [مسلم] .

وقال ﷺ: " إنما هي اثنتان: الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد . ألا إياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " [البخاري] .

- الأسوة السيئة:

بين النبي ﷺ الأوزار والآثام التي يرتكبها صاحب البدعة، فقال: " من سَنَّ سنة خير، فاتبع عليها، فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئاً، ومن سن سنة شر، فتبعه الناس عليها، كان عليه وزره ومثل أوزار من اتبعه، غير منقوص من أوزارهم شيئاً " [الترمذي] . وقال ﷺ: " ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله، فإن عليه مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص من آثام الناس شيئاَ " [ابن ماجه] .

- الهلاك:

بين النبي ﷺ كيف يهلك صاحب البدعة فقال: " فإن لكل عابد شرَّة (رغبة ونشاط) ولكل شرَّة فترة، فإما إلى سنة، وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك " [البيهقي] .

وجاء ثلاثة من الصحابة إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ حتى يتشبهوا به، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالُّوها وقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً . وفال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً . وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج . فجاء رسول الله ﷺ فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [متفق عليه] .

- العمل المردود:

وبين النبي ﷺ أن كل ما يصدر من المسلمين إذا خالف أمر الله ورسوله، فهو رد عليهم غير مقبول من الله، قال ﷺ: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [البخاري] .

- الإيمان يمنع البدعة:

عن أبي وائل قال: جلست إلى شبية بن عثمان رضي الله عنه في هذا المسجد (المسجد الحرام) فقال: جلس إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ونحن في هذا المكان: هممت ألا أدع فيها (الكعبة) صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين . (أي الصحابة من الأنصار والمهاجرين) فقال شيبة: ما أنت بفاعل . قال عمر: لِمَ؟ فقال شيبة: لم يفعله صاحباك . فقال عمر: هما المرآن يقتدى بهما . [البخاري] . فقد امتنع عمر رضي الله عنه عن التصرف في مال الكعبة رغم الحاجة إليه، اقتداءً بما فعله الرسول ﷺ وأبو بكر، وامتنع عن مخالفتهما رغم ما في ذلك من فائدة مادية للمسلمين، ورغم عدم وجود نهي عن أخذ هذا المال .

- الأسوة الحسنة:

عن يعلى بن أمية قال: طفت مع عمر بن الخطاب، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر، أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفته مع رسول الله ﷺ؟ فقال يعلى: بلى . فقال عمر: فابعد عنه، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة . [أحمد] .

- السنة هي النجاة:

عن أبي بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار أبداً، وإن اقتصاداً في سبيل سنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة .

- **إياك والاجتهاد في البدعة:**

عن ابن مسعود ﷺ قال: الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدع . [الحاكم] . ووجه حذيفة ﷺ وصية للقراء، قال فيها: يا معشر القراء، استقيموا ففقد سَبَقْتُم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيداً . [فتح الباري] .

- **البدعة تمحو السنة:**

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن . [الطبراني] .

- **السنة كافية:**

قال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، لأني أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أزيغ . وقال ابن مسعود – رضي الله عنه –: ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق . وقال أيضاً: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . [ابن ماجه] . وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: عليكم بالاستقامة والأثر (أي اتباع القرآن والسنة) وإياكم والبدع . وقيل: من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة . وقال عمر بن عبد العزيز : : سن النبي ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمالا لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها، ولا تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .

- **الفتنة:**

وصاحب البدعة يخشى عليه من الفتنة، كما قال مالك لمن سأله: من أين أُحرم؟ قال: من ذي الحُليفة حيث أحرم النبي ﷺ . فقال: أريد أن أحرم من المسجد . فقال مالك: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة . قال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها . فقال مالك: وأي فتنة أعظم من أن ترى

أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها النبي ﷺ قال تعالى: (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [النور: ٦٣] .

آثار البدعة

يعاني صاحب البدعة من آثار كثيرة منها:

- الذلة وغضب الله:

حيث يُلقى عليه الذل في الدنيا، ويصب عليه غضب الله . قال تعالى في حق اليهود الذين أحدثوا في أمر دينهم: (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**) [الأعراف: ١٥٤] . فقد لعن الله اليهود وأذلهم، لأنهم ابتدعوا في دينهم، وعبدوا العجل، وحُكْم الله عليهم بالغضب والذلة سوف يجري على غيرهم ممن يفعل فعلهم من إحداث بدعة أو افتراء على الله – تعالى – وعلى دينه .

- اللعنة:

لأنه ترك سنة النبي ﷺ، واتبع البدعة ولذلك عده الرسول ﷺ من الستة الذين لعنهم الله حيث قال ﷺ: " ستة لعنتهم، ولعنهم الله وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله، ويعز من أذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي " [الحاكم] .

- إحباط العمل:

لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له، موافقاً لهدي النبي ﷺ . وهذه هي شروط العمل حتى يصبح صالحاً مقبولا عند الله، قال تعالى: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**) [الكهف: ١١] .

ومن شروط العمل الصالح كما قرر العلماء: أن يوافق هدي النبي ﷺ، يقول النبي ﷺ، " لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً، ولا صرفاً ولا عدلا " [ابن ماجه] .

- الفرقة بين المسلمين:

لأنها بمثابة شرع جديد مخالف للدين الحق، مع أنها في ظاهرها دين وشرع من الله، فعند ذلك يختلف الناس في الحكم عليها، وينشأ عن ذلك العداوة والبغضاء بين المسلمين، واختلافهم في أمر دينهم، ومن ثم ضعفهم نتيجة تناحرهم، وعندئذ يتمكن الأعداء من القضاء على شوكة الإسلام، واستباحة حرماته .

- سخط الله:

لأنه ترك ما منحه الله له من هدى الإسلام الواضح إلى هوى نفسه، ومن هنا يترع الله منه العصمة والسداد، ويوكله إلى نفسه، ويصبح مكروهاً من الله تعالى ومن الناس، روي أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى غضيف ابن الحارث رضي الله عنه وأخبره أنه قد أمر الخطباء برفع الأيدي على المنبر أثناء الدعاء، وعلى إلقاء الدروس الدينية بعد صلاة الصبح وصلاة العصر . فقال غضيف: أما إنهما أمثل بدعتكم عندي ولست مجيبك إليهما . فقال عبد الملك: لمَ؟ فقال غضيف: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما أحدث قوم بدعة إلا رفع من السنة مثلها " [أحمد] .

- حرمان الشفاعة:

البدعة تمنع صاحبها من الفوز بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، كذلك تمنعه من الفوز بالجنة، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا (**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**) ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح: (**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) فيقال لي: إنهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم " [متفق عليه] . فهؤلاء المحرومون من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت أعظم جرائمهم أنهم أحدثوا في الدين بعد سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وزادوا على سنته، وخالفوا أمره، فهم بذلك ارتدوا على أعقابهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فاستحقوا من الله الإبعاد .

أسباب الابتداع

إذا عرفنا أسباب الابتداع استطعنا أن نقضي على البدع بالقضاء على أسبابها .

وأساس البدعة الزيادة في الدين وإدخال ما ليس فيه قولاً وفعلاً، أو النقص منه بنفي بعـــضه أو إهماله وتركه، وهذا يرجع إلى:

- القول في الدين بغير علم، وتصدر الجهال لأمور الفتوى والتعليم .
- الجهل بالسنة وعدم معرفة مكانتها وفضلها، وترك الأخذ بها .
- اتباع الهوى، والبعد عن القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها من مصادر التشريع .
- اتباع المتشابه من الآيات والأحاديث بما يوافق هوى المبتدع .

كيف نقضي على البدعة؟

من الوسائل التي تعين على الوقاية من البدع ما يلي:

- التفقه في الدين .
- الرجوع إلى القرآن والسنة وأقوال العلماء الثقات عند أخذ علوم الدين .
- الاقتداء بالعلماء المخلصين، والتجرد من الهوى، ومراقبة الله تعالى .
- الابتعاد عن أصحاب البدع الذين يسيئون إلى الدين بأقوالهم وأفعالهم .
- دوام ذكر الله – تعالى – والخوف منه .
- الاعتراف بالخطأ وعدم الإصرار عليه، وعدم المجادلة بالباطل .
- ترْك ما كان عليه الآباء والأجداد من بدع وخرافات إن وُجدتْ . . كل ذلـــك ســـوف يقضي على البدع .

وصايا

١- تعرف على السنة وانشرها، قال ﷺ: " بلغوا عني ولو آية " [البخاري] . وقال ﷺ: " نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره " [البخاري] .

٢- طَبِّق السنة في سلوكك وتعاملاتك مع الآخرين .

٣- اترك التعصب لرأيك، وليكن همك الوصول إلى الحق .

٤- حارب وصد كل من يحاول الترويـــج للبدع والفكر الذي يتعارض مع تعاليم الإسلام .

٥- احترس من الخروج عن السنة مهما كانت الأسباب .

٦- احترس من بدع أهل الكتاب، قال ﷺ: " لتتبعن سنن من كان قـــبلكم شـــبراً بـــشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم " . قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: " فمن؟ " [البخاري] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة إحذر

احذر الطمع

إعداد: منصور عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الطمع صفة ذميمة، ورذيلة قبيحة، يتصف بها كثير من الناس، ولذا قال رسول الله ﷺ: " لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب " [متفق عليه] . والإنسان الطماع مكروه من الناس، بعيد عن قلوبهم، فلا يلقى منهم إلا الكراهية والبغض .

وإذا كانت النفس البشرية فطرت على الطمع وحب المال، فيجب أن يعالج المسلم نفسه من ذلك، ويحذر من تلك الرذيلة، ويتخلق بخلق القناعة والرضا، ويعلم أن في ذلك الفوز في الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ: " طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع به " [الترمذي] .

وقال ﷺ: : أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه " [مسلم] .

تعريف الطمع

الطمع في اللغة:

يقال: طَمِعَ في الشيء، وطمع به طمعاً: حَرِص عليه ورجاه . ويقال: رجل طامع، وطمِعٌ، وطَمُعٌ من قومٍ طَمِعين . وأطمعه غيره . والمَطمَعُ: ما طُمِعَ فيه . والمطمعة: ما طُمِعَ من أجله . ويقال: طَمُعَ الرجل فلانٌ: بضم الميم، أي صار كثير الطمع . والطمع ضد اليأس، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم . والطمع أيضاً: رِزقُ الجند . وأطماع الجند: أرزاقهم .

الطمع شرعاً:

هو أن يجشع الإنسان في شيء، ويحرص على أخذه، ويشتهيه، ويرغب فيه رغبة شديدة . وهو كذلك التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، وهو عكس الرضا والقناعة .

وطمع الإنسان في أعمال الخير والزيادة منها طمع محمود وليس مذموماً، فالمؤمن لا يشبع من خيرٍ قط، فقد يطمع الإنسان – مثلا – في غفران الله – عز وجل –، ويطمع في دخول جنته، فلا

يعد هذا طمعاً مذموماً، إنما هو طمع محمود مستحب، ورد في العديد من آيـات القـرآن الكـريم والأحاديث النبوية، فمن ذلك قول الله تعالى: (**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الـدِّينِ**) [الشعراء: ٨٢] .

وقوله تعالى: (**وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَـوْمِ الصَّالِحِينَ**) [المائدة: ٨٤] . ومنه قول النبي ﷺ: " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة مـا طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد " [مسلم] .

فالطمع هنا محمود، فلا قناعة في فعل الخير والأعمال الصالحة، فالمسلم يحرص دائماً على المزيد من ذلك، قال تعالى: (**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**) [البقرة: ١٩٧] .

فليس هذا هو الطمع الذي نحن بصدده، وإنما الطمع الذي نحذره هو الحرص والجشع وحـب المال والسلطة وغير ذلك من متاع الدنيا الذي يتكالب عليه الطالبون، ويلهث وراءه الطمَّاعون .

أشكال الطمع

الطمع المذموم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، كلها تندرج تحت الطمع في متـاع الـدنيا الزائل، فمنه الطمع في المال، والطمع في السلطة إلى غير ذلك، وأحقره الطمع في الأكـل أو كثـرة الطعام .

١ - طمع المال:

وأبرز مثال على الطمع في المال قارون، فقد كان قارون من بني إسرائيل، وقد رزقه الله مـالاً كثيراً، ففرح به، وطمع في المزيد، وبخل به على قومه، وأخذ يتباهى ويفتخر به على الناس، فخسـف الله به وبداره وبماله الأرض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . ومن الطمع في المال ما يحكى أن رجلا من قبيلة زبيد، جاء إلى مكة، وكان معه بضاعة، فاشـتراها منـه العاص بن وائل السهمي، وطمع في المال، فحبس عن الرجل حقه، طمعاً فيه، فصعد الزبيدي جبـل أبي قبيس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعاً صوته حتى سمع أهل مكة بذلك، فمشى في ذلـك الزبير بن عبد المطلب حتى أخذ للزبيدي حقه، وكان هذا قبل النبوة في أيام الجاهلية .

٢ - طمع السلطة:

ومن أنواع الطمع أيضاً الطمع في السلطة أو الجاه؛ والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى، فقيصر الروم منعه عن الدخول في الإسلام طمعه في الملك، فبعد أن تبين له الحق، وعلم صدق نبوة النبي ﷺ كاد أن يسلم، ولكنه وجد أن من حوله يتآمرون، فادعى أنه كان يختبر قوة تمسكهم بدينهم ولن يسلم، وذلك خوفاً وطمعاً في الملك والسلطان .

٣- طمع في النساء:

ومن أمثلة الطمع في النساء طمع أشعب، فقد كان أشعب طماعاً في كل شيء، في المال، والأكل، والجاه، والنساء أيضاً، ولذلك قيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت عروساً بالمدينة تزف إلا كنستُ بيتي ورششته طمعاً أن تزف إليَّ .

٤- الطمع في الأكل:

وأخس أنواع الطمع؛ الطمع في الأكل، وفي نهم الطعام والاستحواذ عليه، والأدب العربي مليء بأخبار الطفيليين، الذين اشتهر عنهم الطمع في الطعام .

ولعل أشعب كان شيخهم في ذلك، ومما يحكى عنن طمعه أنه اجتمع عليه يوماً غلمان المدينة يعاتبونه، وكان مَزَّاحاً ظريفاً، فآذوه، فقال لهم: إن في دار بني فلان عرساً، فانطلقوا إليه فهو أنفع لكم، فانطلقوا وتركوه .

فلما مضوا، قال: لعل الذي قلتُ من ذلك حق! فمضى في أثرهم نحو الموضع، فلم يجد شيئاً، فظفر به الغلمان هناك، فآذوه .

آثار الطمع

للطمع آثار وخيمة في الدنيا، عواقب سيئة في الآخرة، فيهلك به صاحبه في الدنيا والآخرة .

١- من أشد مساوئ الطمع في الدنيا أنه يُلْهي صاحبه عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران، ولذلك قال عيسى عليه السلام : في المال ثلاث آفات: أن يأخذه من غير حلِّه . فقيل: إن أخذه من حله؟ فقال: يضعه في غير حقه . فقيل: إن وضعه في حقه؟ فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى . وهذا هو الداء العضال، فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكير في جلاله، وذلك يستدعي قلباً فارغاً .

أما الطماع فيمسي ويصبح متفكراً في خصومة الناس من أجل المال وزيادة الأرباح، وكيفية حفظ المال . . إلخ فقلبه مشغول بذلك كله .

٢- ومن عواقب الطمع في الدنيا أنه يُعمي الإنسان عن إدراك الحق، حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون، ويتخيل المستحيل من فرط طمعه وحرصه . قال الشعبي: حُكي أن رجلاً صاد طائراً، فقال له الطائر: ما تريد أن تصنع بي؟ قال الرجل: أذبحك وآكلك . فقال الطائر: والله ما أشفيِ من قرم (شهوة أكل اللحم)، ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي، أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل . فقال: هات الأولى . فقال: لا تلهفن على ما فاتك . فتركه، فلما صار الطائر على الشجرة، قال الرجل: هات الثانية . فقال: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون . ثم طار، فصار على الجبل وقال له: يا شقي، لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا . فعضَّ الرجل على شفتيه وتلهف، وقال: هات الثالثة . فقال: أنت قد نسيت اثنتين، فكيف أخبرك بالثالثة، ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فاتك، ولا تصدق بما لا يكون أن يكون، إن لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا، فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا؟ ثم طار وذهب .

فهذا الرجل قد عماه طمعه حتى خيل إليه أن المستحيل يمكن أن يكون واقعاً .

٣- ومن عواقب الطمع في الدنيا ذهاب العلم، فقد قال عبد الله بن سلام لكعب: ما يذهب العلوم من قلوب العلماء إذا وعوها وعقلوها؟ قال كعب: الطمع وشره النفس وطلب الحوائج .

وقال رجلٌ للفضيل بن عياض: فسِّرْ لي قول كعب . فقال الفضيل: يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره فشره النفس في هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء، ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة، فإذا قضاها خرم أنفك وقادك حيث شاء، واستمكن منك وخضعت له، فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به، وعدته إذا مرض، ولم تسلم عليه لله – عز وجل –، ولم تعده لله، فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك .

٤- ومن آثار الطمع أنه يورث صاحبه الذل والهوان، فالإنسان الطماع لا يخلو من ذل، ويفوته بسبب طمعه عز النفس، فإن من كثر طمعه وحرصه، كثرت حاجته إلى الناس، فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق، ويلزمه المداهنة، وذلك يهلك دينه .

ففي القناعة الحرية والعز، وفي الطمع الذل والاحتياج .

ولذلك قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واحسن إلى من شئت تكن أميره .

٥- ومن عواقب الطمع الوخيمة أنه يحمل صاحبه على استعجال الرزق، فيطلبه بطرق غير مشروعة، فيقع في الحرام، ولولا طمعه لجاءه رزقه كاملا من طريق الحلال، ومثال ذلك أن الإمام علي – كرم الله وجهه – دخل المسجد يوماً، وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك عَليَّ بغلتي . فأخذ الرجل لجامها ومضى . وترك البغلة، فخرج علي رضي الله عنه وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاماً، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين، فقال علي – رضي الله عنه –: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قُدِّر له .

أرأيت كيف أن طمع الرجل جعله يسلك طريق الحرام ويترك الحلال، ولم يأخذ من الرزق إلا ما قدره الله له، وبدلا من أن يأخذه ويأخذ أجراً، أخذه وأخذ معه الذنب والوزر، وكل ذلك بسبب طمعه وقلة صبره .

٦- وقد يكون الطمع سبباً في الحرمان، فيكون الحرمان عاقبة من عواقب الطمع ومساوئه .

ومثال ذلك ما حكى من أنه حدثت مجاعة في إحدى البلاد، كان فيها رجلٌ غني، احتكر القمح في المخازن حتى يعلو سعره، فلما اشتد الغلاء، ونفد القمح من البلاد، وبلغ ثمنه مبلغاً فاحشاً، فتح مخازنه، وفي ظنه أنه صار أغنى أهل الأرض، فوجد أن السوس قد أكل القمح كله، ولم يبق منه إلا النخالة، فكان طمعه سبب حرمانه وسوء حاله .

٧- وقد يكون هلاك الإنسان من آثار طمعه، ونتيجة جشعه؛ يروى أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب له في رحلة، فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلى قرية، فقال عيسى عليه السلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية . وقام عيسى عليه السلام يصلي، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فأكل رغيفاً وهو في الطريق، فلما انتهى عيسى عليه السلام من الصلاة، قال للرجل: أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كانا إلا رغيفين . فسارا معاً حتى مرا بظباء ترعى، فدعا عيسى عليه السلام ظبياً منها، فذبحه، ثم أكلا منه، ثم قال عيسى للظبي: قم بإذن الله . فقام الظبي . فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟

قال: ما كانا إلا رغيفين . فمضيا، فمرا بنهر عظيم، فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزه . فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟

قال: ما كانا إلا اثنين . فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب . . فقال عيسى عليه السلام : واحد لي، وواحد لك، وواحد لصاحب الرغيف الثالث . فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث . فقال عيسى عليه السلام : هي لك كلها . وفارقه وانصرف . فأقام الرجل بجانبها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة رجال، فقتلوه، وأخذوا الذهب . فقال اثنان منهم للثالث: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام . فذهب، فقال أحدهما للآخر: نقتل هذا إذا جاء ونقتسم بيننا . فقال الآخر: نعم . وقال الذي ذهب في نفسه: أجعل في الطعام سماً فأقتلهما وآخذ الذهب وحدي . ففعل، فلما عاد بالطعام المسموم قتلاه، ثم أكلا، فماتا . وعاد عيسى عليه السلام ، فرأى الجميع صرعى بجانب الذهب، فأشار إليهم وإلى الذهب، وقال لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها، فاحذروها .

٨- وعواقب الطمع في الآخرة أشد بكثير من عواقب الدنيا، فالطماع في الدنيا يخسر الناس، ويقل رزقه بطمعه، ويُحرم العلم . . وغير ذلك، ولكنه في الآخرة يخسر الخسران المبين، فيحرم جنة الله ونعيمه الخالد، ويكون مصيره النار، وبئس المصير .

وقد أكد الله عز وجل – أن الطماع في متاع الدنيا يوفيه الله حقه فيها، ولكن ليس له في الآخرة إلا النار، قال تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [هود: ١٥ – ١٦] .

ويكون ندم الطماع الذي كتر المال وبخل به وأخذه من الحلال والحرام شديداً، ولكنه ندم حيث لا نيفع الندم، فليس لهم هناك إلا النار، فلا شفيع لهم ولا حميم، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**) [التوبة: ٣٤ – ٣٥] .

التحذير من الطمع

حذر الإسلام من الطمع وعواقبه، وجاء ذلك التحذير في كثير من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء والصالحين، ومن ذلك قول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ**

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المناقفون: ٩] . فمن اختار ماله وولده على ما عند الله، فقد خسر خسراناً مبيناً .

كما حذر الله – سبحانه – من الطمع في الدنيا، فقال تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [هود: ١٥ – ١٦] .

والطمع المذموم من سمات الكفار والمشركين، فعندما تحدث الله – عز وجل – عن طمع المشركين، قال سبحانه: (**وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ**) [المدثر: ١٤ – ١٥] .

فهذه الآيات نزلت في المشرك الوليد بن المغيرة ومن على شاكلته من المشركين الذين أنعم الله عليهم بنعمة المال والولد، ولكنهم كفروا بالله وكذبوا نبيه، وساقهم طمعهم إلى تمني زيادة هذه النعم رغم كفرهم وعنادهم . فأنى لهم ذلك؟ فشكر النعمة والقناعة هو السبيل إلى الزيادة، أما الطمع مع الكفر والجحود فهو سبيل الفقر وسلب النعمة، وهذا ما حدث مع الوليد وغيره من الكافرين . قال تعالى عن كفار قريش: (**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**) [المعارج: ٣٨] . فهذا طمع مذموم لأنه في غير محله، فهم رغم كفرهم وشركهم بالله – عز وجل – يطمعون في الجنة، بل إنهم يعتقدون أن ذلك حقٌ لهم دون غيرهم من البشر، فإذا هم لم يدخلوا الجنة فمن يدخلها؟ أيدخلها العبيد ويبعد عنها السادة والأشراف؟ كان هذا هو ظنهم، وذلك هو طمعهم، ولكن هيهات . . هيهات . . فالجنة لمن آمن بالله ورسوله ولو كان عبداً حبشياً، والنار لمن كفر وعصى ولو كان سيداً قرشياً .

وقد ذم الله سبحانه الطمع وجعله مرضاً من أمراض القلب، وسمة من سمات المنافقين أصحاب القلوب المريضة، فقال تعالى: (**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً**) [الأحزاب: ٣٢] . فهذا هو طمع المنافقين، أصحاب القلوب المريضة، الذين كانوا أشد على الإسلام من اليهود والمشركين، لأنهم آمنوا بألسنتهم و لم تؤمن قلوبهم، وأظهروا المودة وأخفوا العداوة والبغضاء، فحاربوا الإسلام من الداخل، فحذر الله – سبحانه وتعالى – منهم، ومن أطماعهم وأمراض قلوبهم، التي لا تمنعهم من الطمع في أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، فأي مرض أشد من ذلك يجب التحذير منه والبعد عنه؟!

وكما حذر الله – عز وجل – من الطمع، فقد حذر منه النبي ﷺ في العديد من الأحاديث، فمن ذلك قوله ﷺ: " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأكثر إفساداً فيها من حب المال والشرف في

دين الرجل المسلم " [الترمذي] . وقال ﷺ: " هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا (أي: تصدق بماله في وجوه الخير) وقليل ما هم " [أحمد] . وقال ﷺ: " أهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له (أي: لا عقل له يمنعه مما لا ينبغي)، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع (أي لا يظهر طمعه) وإن دَقَّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنظير الفحاش (السيء الخلق) " [مسلم] . وقال ﷺ: " بئس العبدُ عبدٌ طَمَعٌ يقوده، بئس العبد عبدٌ هوىً يضله، بئس العبدُ عبدٌ رَغَبٌ يذله " [الترمذي] . وقال النبي ﷺ لأصحابه يوماً: " استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمعٍ يهدي إلى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع " [أحمد] .

وقد جاء التحذير من الطمع في أقوال الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم من السلف الصالح – رحمهم الله –، فمن ذلك قول الحسن: والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله . وقيل: إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما، وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً . وقال سميط بن عجلان: إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين، يقادون بها إلى النار . وقال عمر – رضي الله عنه –: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم .

وقال ابن مسعود: ما من يومٍ إلا وملك ينادي: يا ابن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –: يا بني، إذا طلبت الغنى، فاطلبه في القناعة فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه . وقال علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع . وقال أيضاً: ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع .

وقال فيلسوف: العبيد ثلاثة: عبد رق، وعبد شهوة، وعبد طمع . وقال بعض الحكماء: من أراد أن يعيش حراً أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع . ودخل الحسن البصري مكة فرأى رجلا من أولاد فاطمة (أحفادها) قد أسند ظهره إلى الكعبة وهو يعظ الناس، فسأله الحسن: ما ملاك الدين؟ فقال: الورع . فقال الحسن: وما فساده؟ فقال: الطمع . فقال له الحسن: مثلك يصلح أن يعظ الناس.

وقال الشاعر يحذر من الطمع:

لا تخضعن لمخلوقٍ على طمع

فإن ذلك وهن منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه

فإن ذلك بين الكاف والنون

واستغنَ بالله عن دنيا الملوك كما

استغنى الملوك بدنياهم على الدينِ

فالطمع قد يكون سبباً في فساد الدين .

علاج الطمع

قدم الإسلام منهجاً متكاملا لعلاج الطمع، ووصفاً طبياً لو سار عليه الإنسان لعالج نفسه من هذا المرض .

ومن أهم أدوية علاج الطمع أن يتخلق المسلم بخلق القناعة والرضا، ويكون ذلك عندما يتيقن المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لن يكون له من الدنيا إلا ما قدر الله له، وأنه محاسب على كل ما يحصل عليه من الدنيا، محاسب على ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ كما يعلم أنه ليس مما يجمع إلا قدر بسيط، قال رسول الله ﷺ: " يقول ابن آدم: مالي مالي . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟ " [مسلم] .

ومن علاج الطمع أن يكون حب المال غير ساكن في القلب .

وفي ذلك قال العلاء بن زياد : : تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة، فقلت: أعوذ بالله من شَرِّكِ .

فقالت: إن شئت أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار . وذلك لأن الدراهم والدنانير هم الدنيا كلها، إذ يتوصل بها إلى جميع أصنافها، فمن صبر عن الدينار والدرهم صبر عن الدنيا، وشفى من الطمع .

وعلى المسلم أن يعلم أن الطمع في المال وكثرته ليس هو الطريق إلى الغنى، إنما القناعة هي الغنى، ولذا قال ﷺ: " ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس " [متفق عليه] .

وقال ﷺ: " إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله وأجملوا في الطلب " [الحاكم] .

ومن أهم الطرق إلى التخلق بالقناعة وعلاج مرض الطمع أن لا يسأل الإنسان الناس شيئاً، ولا يطمع فيما في أيديهم، ولذا قال ﷺ: " كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك، تكن مؤمناً " [ابن ماجه] .

ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابياً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، عظني وأوجز . فقال: " إذا صليت فصلِّ صلاة مودع . ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأَجْمِعِ اليأس عما في أيدي الناس " [ابن ماجه] .

ومن الوسائل التي تعين الإنسان على علاج الطمع قصر الأمل في الدنيا، والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون المسلم واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال: (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**) [هود: ٦] .

وذلك لأن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء .

ومن أهم الأدوية لعلاج الطمع أن ينظر المسلم دائماً إلى من هو دونه في الدنيا، ولا ينظر إلى من هو فوقه . فإن الشيطان أبداً يصرف نظر الإنسان في الدنيا إلى من هو فوقه، فيقول: لِمَ تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس؟ ويصرف نظره في الدين إلى من دونه، فيقول: و لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله؟ والناس كلهم مشغولون بالتنعم فَلِمَ تريد أن تتميز عنهم؟

ولذا قال أبو ذر الغفاري – رضي الله عنه –: أوصاني خليلي – صلوات الله عليه – أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي (أي في الدنيا) . [أحمد] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال ﷺ: " إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضل عليه " [متفق عليه] .

ومن علاج الطمع أيضاً أن ينظر المسلم في أحوال الأنبياء والأولياء، وسمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين، ويستمع أحاديثهم، ويأخذ منهم العبرة والعظة والقدوة الحسنة، ثم يتأمل حياة الطماعين المتكالبين على الدنيا، وأراذل الناس والحمقى من الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل،

ثم يخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله، حتى يهون عليه بذلك الصبر على القناعة باليسير، فإنه إن تزين في الملبس والمأكل والمشرب والمركب ففي اليهود من هو أعلى زينة منه، وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء .

بهذه الأمور جميعاً يقدر المسلم على علاج الطمع واكتساب خلق القناعة والرضا .

وصايا

* لا تجعل حب المال والطمع فيه يلهيك عن ذكر الله – عز وجل – .

* اعلم أن المال مال الله وأنت خليفة فيه .

* اجعل من المال الذي – أعطاه الله لك – سبيلا وطريقاً إلى رضاه .

* احرص على أداء زكاة مالك، وزكاة الفطر، ففي ذلك شفاء لقلبك من الطمع في المال .

* تصدق من مالك كثيراً في السر والعلن، فإنك إذا قدمت مالك أمامك – إلى الآخرة – سرك اللحاق به .

* املك قلوب الناس وخُذْ حبهم لك بالسخاء، فالكرم طريق سهل إلى حب الناس، كما أن الطمع طريق إلى بعد الناس عنك وكرههم لك .

* أقرض الناس ما وسعك ذلك، واعلم أن أجر القرض أفضل من أجر الصدقة . فالصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر . [ابن ماجه] .

* كن قنوعاً، فالقناعة كتر لا يفنى، ولا يكن همك جمع المال وكتره .

* تحر الحلال في جمع المال، فلا تجمعه من حرام، أو من طرق غير مشروعة، أو تتعامل فيه بالربا أو غير ذلك . . وإنما اجمعه بالعمل الحلال والجد والاجتهاد .

* لا تجعل الطمع يقودك إلى البخل بالمال على أهلك ونفسك، فعالج نفسك، وأنفق على أهلك، واعلم أن ما تنفقه على أهلك تأخذ به من الله أجراً عظيماً .

* لا تسأل الناس الزيادة طالما أن عندك ما يكفيك، وإن كان عليك ديْن فسارع بقضائه ولا تماطل فيه طالما قدرت على أدائه .

* كن أميناً على مال غيرك، فلا تطمع فيه، فمن استأمنك كن معه أميناً، حافظاً لماله، حريصاً على أدائه له متى طلبه .

* لا تطمع في الأموال العامة، ولا تهدرها، فهي في خدمتك وخدمة غيرك من إخوانك .

* اجعل أموالك في خدمة العلم، واستثمرها في عمل مفيد نافع للمسلمين، ولا تتاجر بها فيما يخدع الناس من مشروعات وهمية أو مشاريع ضارة أكثر منها مفيدة .

* كن سمحاً في البيع والشراء، فلا تطمع في سلع غيرك، ولا تكن جشعاً إذا كنت بائعاً .

* اعلم أن عظمة الإنسان ليست في كثرة ماله أو سلطانه، كما أن صحة الإنسان خير له مـــن المال، فاحمد الله على الصحة، وابعد عن الطمع في جمع المال أو الجاه .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة احذر

احذر الزنى

إعداد: أشرف قدح



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الزنى من أكثر الرذائل خطورة، ومن أشد الكبائر جزاءً في الدنيا وفي الآخرة، حذرنا الله سبحانه وتعالى منه، فقال تعالى: (**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**) [الإسراء: ٣٢] . والزنى من أكبر الكبائر، وأعظم الجرائم؛ لهذا جعل الله عقوبته من أغلظ العقوبات في الدنيا والآخرة . سأل عبد الله بن مسعود ﵁ رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ فقال النبي ﷺ: " أن تجعل لله نداً (شريكاً) وهو خلقك " . قال: ثم أي؟ فقال ﷺ: " أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك " . فقال: ثم أي؟ فقال ﷺ: " أن تزني بحليلة جارك " [متفق عليه] .

وآثار الزنى تنعكس على المجتمع، حيث يفسد المجتمع، وتنهدم الأسر، ولذلك حرص الإسلام على الوقوف بحزم أمام شتى الرذائل؛ فأكد على مكارم الأخلاق، فقال ﷺ: " بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق " [البخاري] .

تعريف الزنى

الزنى لغة:

الزنى مأخوذ من مادة (ز ن ى) وهي تدل على الوطء المحرم .

والزنى يمد ويقصر، فنقول: زنى الرجل يَزني زِنٍي وزِنَاءً .

والزنى: البغاء، يقال: امرأة تزني مزاناة أي تباغي .

أما إذا قيل: زناه تزنية، فمعناه نسبه إلى الزنى . أي قذفه به .

الزنى شرعاً:

الزنى: هو أن يجامع الرجل امرأة دون أن يتزوجها زواجاً شرعياً .

وهو من أكبر الكبائر، إذ أنه في المرتبة الثالثة، بعد الشرك بالله، والقتل .

حكم الزنى

لما كان الزنى من أكبر المحرمات، لأنه انتهاك لحرمة الله وحرمة المؤمن، فقد أغلظ الله لصاحبها العقوبة، وشدد في الجزاء . قال تعالى: **(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** [النور: ٢ – ٣] .

وللزاني عقاب في الدنيا، هذا بالإضافة إلى ما ينتظره من عذاب الآخرة، إن لم يتب ويستغفر لذنبه .

عقوبة الزنى

١- إذا كان الزاني غير متزوج وثبت عليه الزنى بإقراره واعترافه، أو بشهادة الشهود وبالشروط التي وضعها الشرع؛ فإن عليه (حد البكر)، وهو أن يُجلد مائة جلدة، وينفى من بلده لمدة عام كامل .

جاء رجل من الأعراب ومعه رجل آخر لرسول الله ﷺ فقال الأعرابي: يا رسول الله ألا قضيت لي بكتاب الله، ثم أضاف: يا رسول الله، إن ابني كان أجيراً عند هذا الرجل، فزنى ابني بامرأة الرجل، وإني أُخبرت أن على ابني الرجم، فافتديتُ ابني بمائة شاة ووليدة . فسألتُ أهل العلم فأخبروني أن على ابني مائة جلدة وتغريب عام، وعلى امرأة الرجل الرجم . فقال النبي ﷺ: " والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله . الوليدة والغنم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة جلد مائة وتغريب عام " .

ثم التفت النبي ﷺ إلى أحد أصحابه، وقال له: " اغدُ أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها " فذهب إليها فاعترفت، فأمر الرسول ﷺ برجمها . [متفق عليه] .

٢- أما المتزوج – أو المتزوجة – الذي يزني فعقابه الرجم بالحجارة حتى الموت . جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو بالمسجد، فناداه، وقال له: يا رسول الله! إني زنيت . فتركه النبي ﷺ ولم يلتفت إليه، فكرر الرجل ما قاله أربع مرات والرسول ﷺ يُعرض عنه، فلما شهد على نفسه بالزنى أربع مرات، قال له النبي ﷺ: " أبِكَ جنون؟ " فقال الرجل: لا . ثم قال النبي ﷺ: " هل أحصنتَ؟ "

أي: هل أنت متزوج . فقال الرجل: نعم . فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال لهم: " اذهبوا بـه، فارجموه " [متفق عليه] .

٣- إذا كانت الزانية حاملا لا يقام الحد عليها حتى تلد . جاءت امـرأة إلى رسـول الله ﷺ وأقرَّت بالزنى، وقالت له: يا رسول الله طَهِّرني . فقال ﷺ لها: ويحك، ارجعـي، فاسـتغفري الله، وتوبي إليه " . فقالت المرأة: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك . فلاحظ أن بطنها كبيرة فقال: " وما ذاك؟ " ، فأخبرته أنها حبلى من من الزنى، فقال لها: " أنت؟ " ، فقالت المـرأة: نعـم . فأمرها بالانصراف، حتى تضع ما في بطنها، وأرسلها إلى رجل من الأنصار ليكفلها حـتى تـضع . وذات يوم، جاء الرجل الذي كان كفل المرأة، وقال للنبي ﷺ: قد وضعت المرأة، فقام رجـل مـن الأنصار، وقال: إليَّ إرضاعه يا نبي الله . فأمر النبي ﷺ برجمها فرجمت . [مسلم] .

شروط تطبيق حد الزنى

١ - **العقل:** فلو كان الزاني مجنوناً، فإنه لا يقام عليه الحد .

٢ - **البلوغ:** فلو كان الزاني صغيراً لم يبلغ الحُلُم، فإنه لا يُحَد، ولكن يؤدب بالضرب والحبس . قال رسول الله ﷺ: " رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل " [أحمد والحاكم] .

٣ - **الاختيار:** فلو كان الزاني مكرهاً فلا حد عليه، قال أهل العلم: لا حد على مكرهـة .

ثبوت الزنى

ويثبت الزنى بطريقتين:

١ - إقرار الزاني:

٢ - توفر الشهود:

جاء رجل إلى الرسول ﷺ، فأخبره أنه زنى بامرأة، وذكر اسمها للنبي ﷺ، فأرسل النبي ﷺ إلى المرأة، فلما حضرت، سألها عما قال الرجل فأنكرت، فأقام النبي ﷺ الحد على الرجـل، وتـرك المرأة؛ لأنها لم تقر، و لم يشهد عليها شهود . [أحمد وأبو داود] .

شهادة الزاني:

من ثبتت عليه جريمة الزنى، وعوقب بسببها فلا تجوز له شهادة، قـال رسـول الله ﷺ: " لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا زانٍ ولا زانية " [أبو داود] .

آثار الزنى

الزنى إفساد للحياة، والزنى يؤدي إلى العديد من صور الفساد في المجتمعات، ومن أوجه الفساد التي يسببها انتشار الزنى في أي مجتمع:

١- اختلاط الأنساب؛ فلا يعرف الإنسان أن الولد الذي ولدته الزانية منه أم من غيره، فـلا يحرص عليه ولا يعتبره ابناً له؛ فلا يقوم بتربيته؛ وذلك يؤدي إلى ضياع الأولاد .

٢- انتشار الفتن والمقاتلة بين الرجال بسبب الزواني، والإقبال على الزنى .

٣- عدم احترام المجتمع للمرأة الزانية، وهذا يؤدي إلى إهدار كرامتها، فلا تتمتع بالألفة والمحبة، والمودة والرحمة التي تتمتع بها المرأة العفيفة .

٤- انتشار الزنى يقضي على الأسرة ويهدر كرامة الإنسان، إذ لا يبقى اختصاص لرجل بامرأة معينة، ولا يكون للمرأة الزانية زوج، بل عدة رفاق وخلان، وبذلك لا يصبح هناك فرق بين الزنـاة وبين بعض البهائم التي لا تعرف نظام الزوجية .

٥- لم يخلق الله المرأة لقضاء شهوة الرجل فقط، ولكن لتكون شريكة لـه في تربيـة الأولاد، ومعينة له في حياته، وانتشار الزنى يقضي على هذه الميزات .

أمراض الزنى

وجَّه النبي ﷺ إنذاراً شديداً أكد فيه أن انتشار الزنى في مجتمع ما يؤدي إلى انتشار أمراض لم تكن معروفة عند من سبق، قال رسول الله ﷺ: " يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن – وأعوذ بالله أن تدركوهن –: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجـاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . . " [ابن ماجه] .

والواقع المعاصر يؤكد ذلك؛ فمرض مثل الإيدز لم يظهر إلا في مجتمعات ينتشر فيها الزنى، ومن المؤكد علمياً أن الزنى هو السبب المباشر لهذا المرض، وقد اكتشفت عدة أمراض، كان الزاني هو السبب المباشر لها، ومن هذه الأمراض:

أ- السيلان:

يعتبر مرض السيلان أكثر الأمراض التناسلية انتشاراً، وهو أحد الأمراض الناتجة عن الزنى .

وتبدأ الشكوى بالسيلان عند الرجال بحرقان في نهاية مجرى البول، ويعقب ذلك نزول صديد من مجرى البول، والشعور بألم شديد عند التبول، وإذا لم يتم العلاج بسرعة ينتشر الالتهاب في كل مجرى البول ليصل إلى البروستاتا والمثانة والخصية، وقد يحدث انسداد لهذه القنوات الدقيقة، فيؤدي ذلك إلى العقم .

أما عند النساء، فإن أكثر من (٨٠ %) من المصابات لا يشعرن بأعراض مرضية، حتى تظهر مضاعفات المرض فجأة .

ونحو (٢٠ %) من المصابات بالمرض تظهر عليهن أعراض المرض، وهي عبارة عن حرقان في البول أو آلام في أسفل البطن .

ب- الزهري:

مرض ينتقل بمجرد اللمس عن طريق ممارسة الجنس .

وهذا المرض لا يترك جزءاً من أجزاء الجسم إلا ويترك فيه آثاره، ولا جهازاً من أجهزة الجسم إلا ويجعله عاجزاً عن أداء عمله، ويصحب مرض الزهري أعراض مثل: وجود دوائر حمراء أو وردية على أنحاء الجسم، وكذلك التقرحات .

ولعل أخطر ما في هذا المرض قضاؤه على الذرية؛ حيث إنه ينتقل بالوراثة إلى الجنين فيصيبه، وربما أفقده حياته .

والزهري قد يؤدي إلى تضخم الكبد واضطراب في وظائفه، ويؤدي كذلك إلى إصابة اللسان بالتهاب مزمن، وقد يؤدي إلى حدوث شلل في بعض أجزاء الجسم .

جـ- فقدان المناعة " الإيدز " :

يعتبر مرض " الإيدز " أي فقدان المناعة من أقوى الأمراض الفتاكة؛ لذلك يُسمى (طاعون العصر)، وقد كان أول اكتشاف لفيروس " الإيدز " في عام ١٩٨١ م .

واعتبر العلماء هذا المرض أخطر مرض ظهر على الأرض حتى الآن، بل واعتبروه أخطر من مرض السرطان، وذلك لأن السرطان ليس مرضاً معدياً، بينما " الإيدز " ينتقل بالعدوى .

" وللإيدز " أعراض تظهر كلها في وقت واحد، وتنتهي بالقضاء على المناعة الطبيعية للجسم ضد الأمراض .

وقد ظهرت أعراض " الإيدز " في بادئ الأمر على الشواذ جنسياً في أمريكا، ثم مدمني المخدرات .

ومن أهم هذه الأعراض: تورم الغدد، ونقصان الوزن، وضعف الجسم بصفة عامة، بالإضافة إلى ضيق وصعوبة التنفس، وتَنتهي بموت المريض .

وقد ذكرت الإحصائيات أنه بحلول نهاية عام ١٩٩٧ م كان عدد من أصيب بفيروس " الإيدز " (٤٢) مليون شخص .

وبلغ عدد الوفيات لمرض " الإيدز " في العالم منذ ظهوره وحتى الآن حوالي (١١،٧) مليون شخص .

ويصيب " الإيدز " يومياً (١٤) ألف شخص في العالم .

آثار الزنى في الآخرة

بالإضافة إلى ما سبق من آثار الزنى الدنيوية، فإن للزنى آثاراً في الآخرة:

فالزاني الذي لم يتب، و لم يطهر من هذا الإثم بإقامة الحد عليه، مثل هذا الزاني من الذين ينتظرهم عذاب الله يوم القيامة، ويحشر مع الذين يدعون مع الله إلهاً آخر، ومع الذين يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً**) [الفرقان: ٦٨ – ٦٩] .

القرآن يحذر من الزنى:

الزنى من أكبر الكبائر لما ينتج عنه من مفاسد وأضرار . قال تعالى: (**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً**) [الفرقان: ٦٨ – ٦٩] .

في هاتين الآيتين الكريمتين بيان لمرتبة الزنى بين الرذائل؛ فأكبر الكبائر هو الشرك بالله، ثم يليه القتل بغير الحق، ويأتي الزنى في المرتبة الثالثة من حيث بشاعة الجرم .

مفاسد الزنى:

قال تعالى: (**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**) [الإسراء: ٣٢] .

وقال تعالى: (**وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً**) [النساء: ٢٢] .

لقد وصف الله تعالى في هاتين الآيتين الزنى بثلاث صفات هي:

١- أنه فاحشة: لما يحدثه من فساد الأنساب واختلاطها مما يؤدي لخراب العالم، حيث لا يقبل الشباب على الزواج والإنجاب .

٢- أنه ساء سبيلا: لأنه يقضي على إنسانية الإنسان، ويجعله شبيهاً بالبهائم في تكالبها على قضاء شهواتها دون تمييز .

٣- أنه مقتٌ: حيث إن الفطرة السليمة ترفض الزنى، وتمقت وتكره فاعل هذه الجريمة المنكرة.

الرسول ﷺ يحذر من الزنى:

ذكر النبي ﷺ أن الزنى إذا ظهر وفشا فإن هذا يكون إنذاراً بخراب العالم، وعلامة من علامات قيام الساعة . قال ﷺ: " من أشراط الساعة: أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويُشرَب الخمر، ويظهر الزنى . . " [متفق عليه] .

الحيوانات تستقبح الزنى:

كان الصحابي عمر بن ميمون في رحلة لليمن، وهناك بين الشعاب والجبال رأى جماعة من القرود في منظر عجيب، يصفه لنا فيقول: رأيت في الجاهلية قرداً زنى بقردة، فاجتمع القرود عليهما، فرجموهما حتى ماتا . [البخاري] .

وفي رواية: أن القردة كانت جالسة، وزوجها نائم على رجلها، فأتى قرد غريب، فغمزهـــا، فسحبت قدمها من تحت رأس زوجها، وتبعت القرد الغريب، فلما استيقظ الزوج وشم زوجته أدرك خيانتها، فصرخ، فتجمعت القردة، ورجمت الخائنة والقرد الغريب . [أحمد] .

ومن هذا الحديث العجيب يتضح لنا أن الفطرة السليمة تستقبح الزنى، حـــتى عنـــد بعــض الحيوانات .

نظرة الإسلام للجنس

الدافع الجنسي فطرة وغريزة طبيعية، وضعها الله في الكائنات حـــتى تُقبـــل علـــى التـــزاوج والإنجاب، وبذلك تستمر الحياة وتتوالى الأجيال .

ولقد وضع الإسلام ضوابط لتنظيم الحياة الجنسية، فشرع الزواج لمن يقدر من الشباب علـــى تكاليف الزواج، وأمر الرسول ﷺ من لم يقدر على الزواج بأن يصوم، إلى أن يقدر علـــى تحمـــل مسئولية الزواج، فقال ﷺ: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يـــستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء (أي وقاية وحماية) " [متفق عليه] .

والإسلام جعل من ممارسة الجنس في إطار الحياة الزوجية عبـــادة، فقـــال ﷺ: " وفي بُـــضع أحدكم أجر " . فقالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟! فقال ﷺ: " أرأيتم لـــو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " [مسلم] .

أشكال العلاقات الجنسية

هناك أشكال عديدة للعلاقة بين الرجل والمرأة، منها ما يقبله الشرع، ومنها ما يرفضه الشرع، ويعتبره من صور الزنى، ومن الأشكال غير المقبولة:

١ - تعدد الأزواج:

حيث يكون للمرأة عدة أزواج، وهذا الشكل يؤدي إلى الفوضى فلا يعرف الطفل أباه، فتتحطم العلاقات الأسرية، وتتفكك الروابط الإنسانية .

٢ - البغاء:

حيث تؤجر المرأة نفسها لمن يدفع من الرجال في مقابل أن يقضي معها شهوته .

٣ - الشيوعية الجنسية:

وهو أن يكون كل الرجال في مجتمع ما أزواجاً لكل النساء في نفس المجتمع، فيجامع الرجل أية امرأة تعجبه ويعجبها، وهذا الشكل لم يتواجد مطلقاً في أي مجتمع . والأشكال السابقة ينطبق عليها وصف الزنى .

زنى الجوارح

حدد النبي ﷺ أنواع أخرى من زنى الأعضاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لكل بني آدم حظ من الزنى: فالعينان تزنيان، وزناهما النظر . واليدان تزنيان، وزناهما البطش . والرجلان تزنيان، وزناهما المشي . والفم يزني، وزناه القُبَل . والقلب يهوى ويتمنى . والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " [أحمد] .

والمقصود من هذا الحديث أن كل عضو يساهم في وقوع الإنسان في هذه الرذيلة البغيضة، فهذا العضو يكون مداناً ومتهماً في ارتكاب هذه الجريمة، وهذا حث من النبي ﷺ على حفظ هذه الأعضاء من الوقوع في الزنى .

الزواج الإسلامي

هناك أشكال مقبولة للعلاقات الجنسية، وهي التي نظمها الشرع في إطار كريم محترم يحفظ للأفراد كرامتهم، ويحفظ للأسرة تماسكها، وهي أشكال الزواج التي أقرها الشرع وهي:

١ - وحدة الزوج والزوجة:

حيث يتزوج الرجل امرأة واحدة، وهذا هو الزواج السائد .

٢ - وحدة الزوج مع تعدد الزوجات:

بحيث لا تزيد زوجاته عن أربع، وهذا الزواج صورة من صور الزواج التي أباحها الإســـلام في ظروف، وبشروط معينة أهمها العدل بين الزوجات .

كيف نحذر الزنى؟

أمرنا الإسلام بأوامر وتعاليم إذا نفذناها تجنبنا الوقوع في الزنى، ومن هذه التعاليم التي يجب أن يراعيها المسلم ليسلَم من هذه الرذيلة، ما يلي:

١ - غض البصر:

قال الله تعالى: (**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُـــمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**) [النـــور: ٣٠ – ٣١] .

فالنظر إلى الحرمات هو الذي يؤدي إلى الزنى، فإذا التزم المسلم بغض بصره كان هـــذا أهـــم خطوات البُعد عن الزنى .

وذلك لأن النظر هو الذي يثير الشهوة، وهو أصل الفتنة . ولذلك أمرنا الرسول ﷺ بصرف النظر إذا ما وقع فجأة على ما هو محرَّم، وهو المعروف بنظر الفجأة . فعن جرير بن عبـــد الله رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فأمره أن يصرف بصره . [مسلم وأبو داود] .

وورد في الحديث القدسي – الذي يرويه رسول الله ﷺ عن رب العـــزة: " النظـــرة ســـهم مسموم من سهام إبليس، من تركها مخافتي، أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه " [أحمد والطبراني] .

وإذا كان غض البصر له الحظ الوافر عند الحديث عن الرجال، فإن للنساء نفس القـــدر مـــن اهتمام الإسلام، فقد روي أن الرسول ﷺ كان جالساً مع زوجتيه أم سلمة، وميمونـــة رضي الله عنهما ذات يوم، فأقبل الصحابي الجليل ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان أعمى لا يرى، فلما استأذن في الدخول على رسول الله ﷺ، التفت الرسول إلى زوجتيه، وأمرهما بالدخول بعيداً عن المكان الذي سيأتي إليه ابـــن أم مكتوم، فقال لهما ﷺ: " احتجبا منه " . فقالت أم سلمة: يا رسول الله! أليس هـــو أعمـــى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟

فلفت النبي ﷺ انتباههما إلى أن غض البصر لا يقتصر على الرجل فقط . فقال ﷺ: " أفعمياوان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟ " [الترمذي] .

٢ - تجنب الخلوة بامرأة أجنبية:

قال النبي ﷺ: " ما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " [الترمذي] .

فقد نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة، حتى ولو كان الرجل من أقارب المرأة، إلا أن يكون معها أحد محارمها – كالزوج أو الأخ – قال رسول الله ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم؛ فإن ثالثهما الشيطان " [أحمد] .

والعلة في ذلك أن وجود المرأة قد يكون سبباً في وقوع الرجل في الزنى، ولذلك قال رسول الله ﷺ: " ما تركتُ بعدي في الناس فتنة أضرَّ على الرجال من النساء " [الترمذي] .

٣ - تجنب اختلاط الرجال بالنساء:

أغلق الإسلام أي باب قد يؤدي إلى الوقوع في الزنى، ومن ذلك أنه حث المسلمين على عدم اختلاط الرجال بالنساء، لما قد يؤدي إليه هذا الاختلاط من تبادل النظرات والحديث والمزاح، وقد يمتد الأمر إلى المصافحة والخلوة، وقد يؤدي كل ذلك إلى الوقوع في الزنى، لذلك أغلق الشرع هذا الباب، حتى لو كان هذا الاختلاط في أمر من أمور العبادة؛ فلم يفرض صلاة الجمعة على المرأة، وأعفاها من صلاة الجماعة، فقال ﷺ: " خير مساجد النساء في قعر بيوتهن " [أحمد] .

كما جعل صفوف النساء – إذا ذهبن لصلاة الجماعة – آخر الصفوف، خلف صفوف الرجال .

٤ - عدم التبرج وإظهار الزينة:

إن إظهار المرأة لجسدها وزينتها أمر يخالف ما أمرنا به الله تعالى؛ حيث قال: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**) [الأحزاب: ٥٩] .

والمرأة التي لا تلتزم بأوامر الله تكون شيطانة تروج للفساد، وتفتن الرجال، وتجر المجتمع إلى الانحلال، مما يعود بالضرر على الفرد والمجتمع، فعلى المرأة أن تنقاد لأمر الله، فتنفذ ما أمرها به، حتى تحافظ على نفسها ومجتمعها .

٥ - تجنب تعطر المرأة في الأماكن العامة:

قال ﷺ: " كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس، فهي كذا وكذا " يعني: زانية . [الترمذي] .

فهذا الحديث الشريف يؤكد أن تعطر المرأة من أبواب الزنى، لأنه يثير أحاسيس الرجال، ويلفت انتباههم، لا سيما وأن في الحديث إشارة إلى المرأة التي تتعطر وهي تعلم أنها ستمر بمجالس الرجال؛ لتثير انتباههم إليها .

وقد حدد الشرع صفات عطر الرجل وصفات عطر المرأة، فقال ﷺ: " طِيبُ الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه " [الترمذي] .

٦- تجنب خضوع المرأة في الكلام:

أمر الله – سبحانه – نساء النبي ﷺ – بصفة خاصة – لفضلهن، ولأنهن أمهات المسلمين، بعدم الخضوع في القول، فقال تعالى: (**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**) [الأحزاب: ٣٢] . إلا أن هذا الأمر عام للنساء جميعاً، فقد أمرهن الله بألا يتكلمن أمام الرجال الأجانب كلاماً فيه نعومة ولين وترخيم صوت، حتى لا يكون هذا الصوت الناعم الرخيم باباً لطمع هؤلاء الرجال في تلك المرأة، فأغلق الإسلام بذلك باباً من الأبواب التي تؤدي للوقوع في الزنى .

٧- حفظ العورة:

جاء أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسأله عن إظهار العورة، فقال ﷺ: " احفظ عورتك (استرها) إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك " . فقال الصحابي للنبي ﷺ: فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟ فقال النبي ﷺ: " إن استطعتَ أن لا يرينَّها (عورتك) أحد فلا يرينها " . فقال الصحابي: فإذا كان أحدنا خالياً، فقال النبي ﷺ: " الله أحق أن يستحيا منه من الناس " [أحمد] . وحدود العورة بالنسبة للرجل من سُرَّته وحتى ركبتيه، أما بالنسبة للمرأة فجسمها كله عورة عدا الوجه والكفين، على رأي بعض الفقهاء .

٨- النظر للعورة:

نهى الإسلام عن نظر الرجل إلى عورة الرجل، كما نهى عن نظر المرأة إلى عورة المرأة، قال الرسول ﷺ: " لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد (لا يختلي)، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد " [الترمذي].

العلاج من الزنى

إذا وقع الإنسان في هذه الرذيلة البغيضة فعليه باتباع طرق العلاج التالية:

أولاً: فيما يتعلق بالفرد:

١ - المسارعة بالتوبة إلى الله:

فعلى من ارتكب هذه الكبيرة أن يسارع بالتوبة النصوح، وتتمثل في الإقلاع عن ارتكاب هذا الذنب، والندم على ما فعله في الماضي، وتجديد النية على عدم الوقوع في هذا الذنب مرة أخرى في المستقبل، مع الإكثار من الاستغفار على ما مضى من الذنوب، والإكثار من ذكر الله، فهو خير عاصم من الرجوع عن التوبة .

٢ - الوقاية:

تجنب كل ما يؤدي إلى الوقوع في هذه الرذيلة مرة أخرى، ويكون ذلك باتباع طرق الوقاية وهي: (غض البصر – تجنب الخلوة بامرأة أجنبية – تجنب الاختلاط – الإبتعاد عن أصدقاء السوء – عدم التبرج وإظهار الزينة – عدم تعطر المرأة في الأماكن العامة – عدم خضوع المرأة في الكلام – حفظ العورة) .

وفوق كل هذا يجب التحلي بخلق العفة ليكون ملازماً للإنسان .

ثانياً: بالنسبة للمجتمع:

الحرص على تطبيق حدود الله، فإذا التزم المجتمع بتطبيق حد الزنى على من يقع في هذه الرذيلة، فيُجلد غير المتزوج، ويرجم المتزوج الزاني حتى الموت، فسوف تكون نتيجة ذلك خوف كل من تسول له نفسه فعل هذه الرذيلة .

والدليل على ذلك أن هذه الرذيلة لم تكن شائعة على عهد الرسول ﷺ، وكان رجم الزناة يتم علانية أمام الناس، فكان هذا خير تحذير لمن يفكر في الزنى .

خير وصية

جاء شاب للرسول ﷺ وقال له: يا رسول الله ائذن لي بالزنى . فغضب الصحابة، ولكن النبي ﷺ قال له: " أتحبه لأمك؟ " ، فقال الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك . فقال النبي ﷺ: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " . ثم قال: " أتحبه لابنتك؟ " ، فقال الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك . فقال النبي ﷺ: " ولا الناس يحبونه لبناتهم " . ثم قال: " أفتحبه لأختك؟ " ، فقال الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك . فقال النبي ﷺ: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم " . ثم قال: " أفتحبه لعمتك؟ " ، فقال الشاب: لا والله، جعلني الله فداءك . فقال النبي ﷺ: " ولا الناس يحبونه لعماتهم " . ثم قال ﷺ: " أفتحبه لخالتك؟ " فقال الشاب: لا والله . جعلني الله فداءك . فقال النبي ﷺ: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم " . ثم وضع النبي ﷺ يده على الشاب، ودعا له قائلا: " اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه " [أحمد] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر الخيانة

إعداد: أحمد حسن عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الخيانة خلق ذميم، ورذيلة خسيسة، تنفر منها النفوس السليمة، وأصحاب الضمائر اليقظــة . وتزداد الخيانة سوءاً إذا اقترنت بالغدر، فعندئذ يصبح الخائن أضل من البهيمة، قال تعالى: (**إِنَّ شَــرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُــلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ، فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، وَإِمَّا تَخَــافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِــبُّ الْخَــائِنِينَ**) [الأنفــال: ٥٥ – ٥٨] . وكذلك الرسول ﷺ لا يحب الخائنين ولا أهل الغدر، قال ﷺ: " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا ديــن لمن لا عهد له " [أحمد] .

والمسلم ينبغي أن يكون حريصاً على أداء الأمانات والالتزام بالعهود والمواثيق؛ إرضــاء لله – تعالى – وحباً للخير والفضيلة، وتمسكاً بصفات الأمناء الذين يفوزون بجنة الله يوم القيامة .

تعريف الخيانة

الخيانة في اللغة:

الخيانة مأخوذة من مادة (خ و ن) التي تدل على التَّنقيص، يقال: خانه يخونــه خونــاً، أي نقصان الوفاء . ونقيض الخيانة الأمانة، يقال: خنت فلاناً، وخنت أمانة فلان . وخان الشيء خونــاً وخيانة ومخانة: نقصه . والخوَّان: من كان كثير الخيانة مصرّاً عليها . والخائنة: اسم بمعنى الخيانة .

الخيانة في الشرع:

الخيانة هي التفريط في الأمانة أو إنقاصها بعدم أدائها كاملة . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) [الأنفال: ٢٧] . والخيانــة: الغــدر وإخفاء الشيء، ومنه قوله تعالى: (**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ**) [غافر: ١٩] . والغدر والخيانــة لفظــان يشتركان في معنى واحد وهو: عدم الوفاء بالعهد وعدم أداء الأمانة .

صور الخيانة

تتنوع الخيانة بتنوع الأمانات والعهود، فكل نوع من الأمانة يقابله نوع من الخيانة لمن لا يؤديها، وكل عهد وميثاق يقابله غدر من نوعه لمن لا يوفي بتلك العهود والمواثيق، ولذلك يقول ابن مسعود في تعدد الأمانات: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها وأشد ذلك الودائع . [أحمد] .

ويمكن تناول أنواع الخيانة وصورها كما يلي:

١ - نقض العهد:

وهذا النوع من الغدر يكون عندما يبرم إنسان عهداً مع غيره ثم ينقض هذا العهد دون إعلام الطرف الآخر، ويأتي بأفعال تتعارض مع العهد المبرم، وقد حكى الله تعالى لنا نموذجاً من هذه العهود المنقوضة لبني إسرائيل، فقال تعالى: (**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**) [الزخرف: ٤٩ – ٥٠] .

ولذلك حذر الله – تعالى – نبيه ﷺ من غدر اليهود، فقال تعالى: (**وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ**) [المائدة: ١٣] . فاليهود لم يكفُّوا عن محاولة خيانة الرسول ﷺ، وكانت لهم مواقف خيانة وغدر عديدة، بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم معه في المدينة، وصدق الله القائل في حقهم: (**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) [البقرة: ١٠٠] . وقد حذرنا النبي ﷺ من نقض العهود والغدر، فقال ﷺ: " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاسْتَوْفَى منه العمل و لم يَوَفِّهِ أجره " [البخاري] .

٢ - خيانة الحديث:

وهذا النوع يأتي عندما تحدِّث أخاك المسلم بحديث كذب وهو يظن أنك تصدق له القول فيطمئن لك، قال ﷺ: " كَبُرَت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب " [أحمد] .

٣ - خيانة النصيحة:

ومن هذا النوع أن يطلب منك أخوك المسلم النصيحة، فتشير إليه بأمر يحمل له الضرر . قال ﷺ يبين هذا النوع: " من أشار إلى أخيه يعلم أن الرشد في غيره؛ فقد خانه " [أبو داود] .

٤ - خيانة الدعاء:

وتحدث هذه الخيانة عندما يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم، قال ﷺ: " ثـلاث لا يحل لأحد أن يفعلهم: لا يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم، فإن فعل فقد خانهم . . . " [أبو داود] .

٥ - خيانة الله ورسوله:

وهذا النوع من الخيانة والغدر يحدث عندما يعاهد أحد الناس الله – سبحانه وتعالى – ثم ينقض هذا العهد ولا يوفي به، وقد قص الله تعالى نموذجاً من هذا النوع من الغدر، فقال تعالى: (**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**) [التوبة: ٧٥ – ٧٧] . ومن هذا النوع من الخيانة خيانة المرأة اليهودية لرسول الله ﷺ عندما وضعت له سماً في الشاة، فقال ﷺ: " هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ " . قالوا: نعم . فقال ﷺ: " ما حملكم على ذلك؟ " قالوا: إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرك " [البخاري] .

٦ - خيانة الحياة الزوجية:

وتحدث هذه الخيانة عندما يتوجه الرجل إلى المرأة بشيء يخالف ما اتفقا عليه، أو عندما يحدث في الحياة الزوجية ما يؤدي إلى فسادها . وعلى الجانب الآخر حذر النبي ﷺ الرجال من الرجوع من سفرهم ليلا دون أن يخبروا زوجاتهم؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يتلمس عثراتهم . [مسلم] .

٧ - خيانة التصويت في الانتخابات:

صوت الإنسان أمانة فلا يعطيه إلا لمن يستحق ويرى فيه الشخص المناسب، أما إذا أعطى الإنسان صوته لمن لا يستحق، فقد خان أمانة التصويت في انتخاب من ينوب عنه، ويُسَيِّر دَفَّة أموره، ويستحق هذا الخائن تجاوزات من انتخبه وجوره وظلمه . كذلك خيانة التصويت في الانتخابات تكون بتزويرها، والدفع بشخص آخر غير الذي انتخبه الناس من أجل مصلحة دنيوية، وقد قال تعالى: (**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**) [البقرة: ٢٨٣] .

٨ - خيانة العمل:

أداء العمل على الوجه الأكمل أمر ضروري والتقصير في أدائه خيانة له، يترتب عليها مساوئ عديدة تقع على رأس العامل والعمل وصاحب العمل . وإتقان العمل علامة أو سمة للأمم المتحضرة، وقد حثنا النبي ﷺ عليه، فقال: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنـه " [البيهقـي] . وخيانة العمل والتقصير فيه يجعل الأجر المترتب عليه حراماً ولا فائدة فيه .

٩ - خيانة الدولة:

وتكون بالتجسس عليها لمصلحة أعدائها، وتسريب الأسرار العسكرية والسياسة وغيرها . وقد ورد في السنة ما يدل على جواز قتل الجاسوس إذا كان مستأمناً أو ذمياً . قال سلمة بن الأكوع: أتى النبي ﷺ عين (جاسوس) وهو في سفر، فجلس عند بعض أصحابه يتحدث، ثم انسل، فقال الـنبي ﷺ: " اطلبوه فاقتلوه " فسبقتهم إليه فقتلته، فنفلني سلبه . [أحمد] .

١٠ - خيانة النفس:

وخيانة النفس تكون بعصيان الله تعالى، وتعريض الإنسان نفسه لعقاب الله . ومن أمثلة هـذه الخيانة: ما روي أن عدداً من الصحابة كانوا يجامعون زوجاتهم في ليالي رمضان قبل أن يرخـصه الله لنا، فوصف الله تعالى فعلهم بقوله: (**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَـيْكُمْ وَعَفَـا عَنْكُمْ**) [البقرة: ١٨٧] . ثم رخص الله للمؤمنين أن يجامعوا زوجاتهم في ليالي شهر رمـضان، وأن يأكلوا ويشربوا حتى يطلع الفجر . قال تعالى: (**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُـوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**) [البقرة: ١٨٧] .

١١ - خيانة الأمراء:

فالحاكم ينبغي عليه ألا يغدر أو يخون؛ لأن خيانته يتعدى ضررها إلى خلق كثير؛ ولأنه غـير مضطر إلى الغدر . قال ﷺ: " لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره . ألا ولا غادر أعظـم غدراً من أمير عامة " [مسلم] . ولذلك كان النبي ﷺ يوصي أمراء الجيوش ألا يغدروا، فقد روي أن النبي ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ثم يقول: " اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله، ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً " [مسلم] .

١٢ - خيانة العين:

وتكون بالغمز، أو النظرة التي تحمل الغدر، أو العين التي تخفي وتضمر الشر، وكل هذه العيون وكل هذه النظرات لا تخفى على الله، كما قال تعالى: (**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الـصُّدُورُ**) [

غافر: ١٩] . وكل الناس قد يقع في هذا النوع من الخيانة إلا الأنبياء؛ فقد روي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد واختبأ يوم فتح مكة عند عثمان بن عفان، فجاء به عثمان حتى أوقفه أمام النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع النبي ﷺ رأسه ونظر إليه ورفض أن يبايعه، فلما أصر عثمان، وأعاد على النبي ﷺ ما قال، بايع النبي عبد الله بن أبي سرح على الإسلام، ثم أقبل على الصحابة، وقال لهم: " أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففتُ يدي عن بيعته فيقتله؟ " . فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأتَ إلينا بعينك، فقال ﷺ: " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين " [أبو داود] .

حكم الخيانة

إن الخيانة من الرذائل التي حرمها الله تعالى، ونبيه ﷺ، وأجمع على حرمتها العلماء . ومن أدلة تحريمها من القرآن قول الله تعالى: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**) [التحريم: ١٠] . فقد كانت امرأة نوح عليه السلام تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومها بضيوفه، ولذلك استحقتا من الله تعالى العقاب وهو النار وبئس المصير . ونهى الله — تعالى — عن نقض الأيمان، وهو صورة من صور الخيانة، فقال تعالى: (**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**) [النحل: ٩١] . كما حذرنا الله من مخالفة أمره، وعدم طاعة الرسول ﷺ، وعدم أداء الأمانة؛ وكلها من صور الخيانة؛ فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) [الأنفال: ٢٧] . وخيانة الله هي تعطيل فرائضه، وتعدي حدوده، وانتهاك حرماته، وخيانة الرسول ﷺ هي ترك سنته، ومخالفة أمره . وعلى كل حال، فإن التخلي عن التكاليف الشرعية نوع من الخيانة لله ورسوله .

ونهى النبي ﷺ عن أن يخون المسلم أخاه المسلم، قال ﷺ: " المسلم أخو المسلم؛ لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله " [الترمذي] . ونفى ﷺ الإيمان عن من يخون الأمانة ويغدر . قال ﷺ: " لا إيمان لمن لا أمانة له " [الطبراني] . وبشر النبي ﷺ بعدم دول الجنة للخائن ودخوله النار . قال ﷺ: " لا يدخل الجنة بخيل ولا خب (المخادع أو الغشاش) ولا خائن ولا سيئ الملكة " [أحمد] . ووصف النبي ﷺ الخائن والمخادع بأنه من أهل النار الذين ارتكبوا ما حرم الله عليهم؛ فقال ﷺ:

" وأهل النار خمسة " . وعدَّ منهم: " والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دقَّ إلا خانه " [مسلم] . وقد أجمع العلماء على حرمة الخيانة، وأن مرتكبها يستوجب غضب الله عليه ودخوله النار .

آثار الخيانة

للخيانة آثار وخيمة مترتبة عليها، ومن هذه الآثار:

١ - الطرد من رحمة الله:

الخائن ملعون مطرود من رحمة الله التي وسعت كل شيء . قال تعلى: (**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**) [المائدة: ١٣] . فقد عاهد اليهود الله – تعالى – على ميثاق يتضمن شرطاً وجزاءً، فشرط العقد والميثاق: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان برسل الله كلهم دون تفرقة بينهم، والإنفاق من الأموال في الصدقات . . وكان جزاء الله لهم على هذه الشروط: تكفير السيئات، وجنة تجري من تحتها الأنهار . قال تعالى يبين لنا هذا الميثاق: (**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**) [المائدة: ١٢] .

ولكن اليهود بعد هذا الميثاق مع الله وبعد هذا الجزاء نقضوا العهد، وغدروا وخانوا الله – تعالى – ورسله، فكان عقابهم لعنة لا تفارقهم وتبدو على سيماهم، وقسوة تبدو في ملامحهم، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية . قال تعالى: (**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**) [المائدة: ١٣] .

٢ - الذل والهوان:

الخائن ذليل في مجتمع الأمناء، مقهور ومغلوب من أهل الإيمان . قال تعالى: (**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) [الأنفال: ٧١] . فالخائنون يشتركون مع المشركين في أنهم خانوا الله تعالى و لم يؤمنوا به واتخذوا آلهة وأنداداً له، فكان جزاؤهم تمكن المؤمنين منهم، ونصر الله تعالى للمؤمنين عليهم، وكذلك على كل من يحاول خيانة الله تعالى ورسوله والمؤمنين .

٣ - الضلال والتخبط:

الخائن الذي يغدر بالآخرين بكيده يتخلَّى الله عنه، ولا يهديه إلى صراطه المستقيم . قال تعالى: (**وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**) [يوسف: ٥٢] .

٤ - التعزير أو القتل:

إذا كانت الخيانة من مجتمع كامل له قائد، فإن من واجب إمام المسلمين أن يحارب هذا المجتمع . قال تعالى: (**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**) [التوبة: ١٢] . فالذين ينكثون عهودهم مع أهل الإيمان، ويطعنون في دين المسلمين، هم بذلك أصبحوا أئمة في الكفر، لا أيمان لهم ولا عهود، وعندئذ يستحقون عقاب المؤمنين بالقتال حتى يرجعوا إلى الهدى؛ لأن هناك من لا يرجع إلى حظيرة الإيمان إلا حينما يرى قوة أهل الحق، فعندئذ يعلم أن من وراء أهل الإيمان قوة الله، فيقوده هذا إلى التوبة والهدى .

يروى أن كعب بن الأشرف – وهو يهودي من يهود المدينة – ذهب إلى المشركين، وأخذ يمدحهم – وخاصة الذين شهدوا بدراً – وظل يهجو ويذم الرسول ﷺ ويسب نساء الصحابة في أشعاره . وأمام هذه الخيانة أمر النبي ﷺ بقتله . فقام بهذه المهمة محمد بن مسلمة وعباد بن بشر وأبو نائلة رضي الله عنهم . ولما علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب دَبَّ الرعب في قلوبهم، وعلموا أن الرسول ﷺ لن يتوانى في استخدام القوة حين يرى أن النصح لا يجدي نفعاً لمن يريد العبث بالأمن وإثارة الاضطرابات وعدم احترام المواثيق والعهود، فلم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم كعب بن الأشرف، بل لزموا الهدوء، وتظاهروا بالوفاء بالعهود .

٥ - التشبه بالحيوانات:

فأهل الغدر والخيانة هم أشر الخلق، لأنهم يكفرون بالله، ويخونون عهودهم، حتى إن الدواب أشرف منزلة وأعلى مكانة عند الله منهم . قال تعالى: (**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ**) [الأنفال: ٥٥ – ٥٦] . فالمقصود من الآية هم اليهود، وكل من فعل مثلهم . فالنبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة عقد مع اليهود معاهدة، ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، وكان أهم بنود هذه المعاهدة:

- أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .
- أن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم .
- أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

- أن النصر للمظلوم .

- أن اليهود يتفقون مع المؤمنين في نصرهم في حالة الحرب .

- ألا تجارِ قريشاً ولا من نصرها .

- أن بينهم النصر على من دهم (هاجم) يثرب . .

وكان النبي ﷺ حريصاً على تنفيذ هذه المعاهدة و لم يأتِ من النبي ﷺ أو من المسلمين ما يخالف حرفاً من نصوصها، ولكن اليهود أهل الخيانة، نكثوا العهود، وأخذوا في نقض هذه المعاهدة، وتمثلت خيانتهم وغدرهم في تفريق جماعة المسلمين وانتهاك حرماتهم .

أما تفريق جماعة المسلمين فقد اجتمع ذات يوم نفر من الصحابة من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه، فاغتاظ لذلك شيخ يهودي، وكان معه شاب فأمره أن يجلس مع الصحابة ويذكر يوم بُعاث – وهو يوم حرب كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية – وما كان فيه، ففعل ذلك الشاب، فتكلم الصحابة من الأوس والخزرج وتنازعوا وتفاخروا، حتى قال أحد الصحابة للآخر: إن شئتم رددناها (يعني الحرب) . وغضب الفريقان حتى هموا بجمع السلاح للقتال . فلما علم بذلك رسول الله ﷺ خرج إليهم في جماعة من المهاجرين، ثم قال لهم: " يا معشر المسلمين، الله الله، أبِدَعْوَى الجاهلية وأنا بين أظْهُرِكُم، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم؟ " فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم اليهود، فتصالحوا . [سيرة ابن هشام] .

وأما انتهاك اليهود لحرمة النساء فقد كان من خيانة اليهود أن تعرض أحدهم (من بني قينقاع) لامرأة دخلت السوق، وأراد منها أن تكشف وجهها، فأبت، فجاء رجل وعقد طرف ثوبها وهي غافلة في ظهرها، فلما قامت انكشفت عورتها، فضحك اليهود منها فصاحت المرأة، فجاء رجل مسلم فقتل اليهودي الخائن، فقتل اليهود المسلم الغيور، وعلم النبي ﷺ بغدر اليهود، وما فعلوه مع المرأة المسلمة والرجل المسلم، فحاصر ﷺ اليهود حتى أخرجهم من المدينة . [سيرة ابن هشام] .

٦- لا تقبل شهادته:

لا تقبل شهادة الخائن؛ لأن الخائن لا يجد حرجاً في الشهادة زوراً والادعاء كذباً على طرف من الأطراف . قال ﷺ: " لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة " [أبو داود] .

٧- البلاء والضنك والفتن:

أهل الخيانة أكثر عرضة من غيرهم للفتن والبلايا، وهم أيضاً شرار الخلق الذين تنتهي بهم الحياة الدنيا، وتقوم عليهم القيامة . قال ﷺ: " خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكـــون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون " [متفق عليه] .

وحلول البلاء بالمؤمنين مقرون بالخيانة والتخلي عن أداء الأمانات . قال ﷺ: " إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء " . وعد من هذه الخصال: " وإذا كانت الأمانـــة مغنمـــاً " [الترمذي] . وانتشار جرائم القتل دليل على الخيانة والغدر، قال ﷺ: " ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم " [الحاكم] .

٨ - الفضيحة في الآخرة:

أهل الغدر والخيانة ترفع لهم راية يوم القيامة أمام الناس . قال ﷺ: " لكل غادر لواء يُنْـــصَب يوم القيامة بغدرته " [البخاري] .

٩ - العذاب في جهنم:

الخائن الذي لا يؤدي الأمانة يتعرض لعذاب الله يوم القيامة، قال ابن مسعود – رضي الله عنه -: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة . قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال: أدِّ أمانتك . فيقول: أي رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا بـــه إلى الهاويـــة، فينطلق به إلى الهاوية (النار)، وتمثل له أمانته كهيأتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج نزلت عن منكبيه فهو يهوي في إثرها أبد الآبدين . [أحمد] .

١٠ - الانتقام:

كثيراً ما يقع الانتقام على الخائن، والانتقام يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة، فكم نسمع عن جرائم قتل وقعت نتيجة خيانة الزوجة لزوجها، أو الزوج لزوجته، أو خيانة الصديق لـــصديقه أو غير ذلك من الحوادث التي تملأ الصحف اليومية، هذا فضلا عن العذاب الموعود به كـــل خـــائن في الآخرة .

التحذير من الخيانة

الخيانة والغدر من الصفات السيئة والأخلاق الذميمة التي حذر منها الله تعالى في كتابه، كما حذر منها النبي ﷺ، وأجمع الناس على قبح هاتين الرذيلتين .

أولاً: تحذير القرآن من الخيانة:

تناول القرآن الكريم في العديد من الآيات الخيانة في موضع الذم والتحذير، ومن ذلك:

* بيَّن الله تعالى أن الذي يغدر وينقض عهده وخاصة عهده مع الله بعدم فعل ما أمر الله به أو ترك ما نهى عنه، فمثل هذا الرجل ينتظر له سوء العاقبة واللعنة من الله، قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**) [الرعد: ٢٥] . وكذلك يعدُّ أهل الغدر والخيانة من أهل الخسران سواء كان ذلك الخسران في الدنيا أم الآخرة . قال تعالى: (**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**) [البقرة: ٢٧] .

* بين الله تعالى أنه يكره أهل الخيانة ولا يحبهم، بل وطلب من النبي ﷺ أن يبغضهم ولا يدافع عنهم، فقال تعالى: (**وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**) [النساء: ١٠٧] . وقال تعالى ناهياً نبيه ﷺ عن أن يدافع عن الخائنين أو يواليهم: (**وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً**) [النساء: ١٠٥] .

* بين الله – تعالى – أن الذي يغدر في عهده ويخون في أداء الأمانة يضر نفسه، لأن غدره قد يعود عليه بالشر، قال تعالى: (**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**) [الفتح: ١٠] .

* شبَّه الله من ينقض العهد ويغدر فيه بالمرأة التي تهدم ما صنعته من الغزل بعد أن تعبت في صنعه . فقال تعالى: (**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً**) [النحل: ٩٢] .

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من الخيانة:

* المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد في تماسكه وتعاون أفراده، فإذا وجد في المجتمع من يحاول إفساده أو بث روح الفرقة بنقض العهود أو خيانة المسلمين فإن الله تعالى لن يقبل لهؤلاء الخائنين الذين نقضوا العهود عملا . قال ﷺ: " ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً (أي نقض عهده) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبَلُ الله منه صرفاً ولا عدلا، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبَلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ " [البخاري] .

* بيَّن النبي ﷺ مدى الجرم الذي يرتكبه الخائن لجاره، فقال ﷺ: " ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم؟! " [مسلم] . ومعنى فما ظنكم: أي ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في ذلك المقام، فسوف لا يُبْقى للخائن من حسناته شيئاً إن أمكنه ذلك .

* بيَّن النبي ﷺ لنا في نموذج من الأمم السابقة كيف تكون عاقبة الخائنين . فقال ﷺ عن النصارى الذين طلبوا من الله المائدة: " أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانونا وادخروا، ورفعوا لغد، فمسخوا قردة وخنازير " [الترمذي] .

* بيَّن النبي ﷺ كيف تستجير الأمانة بالله من الخائنين، فقال ﷺ: " ثلاث متعلقات بالعرش، الرحم تقول: اللهم إني بك فلا أُقطَع . والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أُخان . والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أُكفَر " [البزار] .

* وكما رهَّب النبي ﷺ من الغدر والخيانة، فإنه ﷺ رغَّب في أداء الأمانة حتى يضمن لصاحبها أن يشفع له في دخول الجنة . فقال ﷺ: " اضمنوا لي ستاً؛ أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم " [أحمد] .

* وأداء الأمانات لأصحابها والوفاء بالعهود من سمات المؤمن مع المسلم وغيره، ولذلك حذرنا النبي ﷺ من خيانة الأمانة ونقض العهد حتى مع غير المسلمين، فقال ﷺ: " من قتل نفساً معاهدة بغير حقها؛ لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة، ليوجد من مسيرة مائة عام " [ابن حبان] .

* بيَّن النبي ﷺ أن الخيانة والغدر من سمات المنافقين، وينبغي علينا أن نتخلى عن تلك السمات السيئة، ونتحلى بضدها فقال ﷺ: " ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان " [مسلم] .

* بيَّن النبي ﷺ أن من أشراط الساعة أن يتهم الناسُ الأمينَ بالخيانة، وأن يؤتمن الخائن، فقال ﷺ: " من أشراط الساعة: الفحش والتفحش وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن " [الطبراني] .

* ولما كانت الخيانة والغدر صفات ذميمة، فإنه يتعذر أن تجتمع في قلب المؤمن مع الأمانة والوفاء، فقال ﷺ: " لا تجتمع الخيانة والأمانة جميعاً " [أحمد] .

* وكان النبي ﷺ يبغض أهل الخيانة والغدر ويدعو عليهم، فقد روى أن رسول الله ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان – وهم أحياء من العرب – فزعموا أنهم قد أسلموا، فاستمدوه (طلبوه منه قُرَّاء يعلمونهم القرآن وأحكام الإسلام) على قومهم، فأمدهم النبي ﷺ يومئذٍ بسبعين من الأنصار فانطلقوا بهم حتى إذا أتوا بئر معونة غدروا بهم فقتلوهم، فظل النبي ﷺ يدعو عليهم ويقنت شهراً في صلاة الصبح . [أحمد] .

* وضح النبي ﷺ أن الله – تعالى – مع الشريكين إذا تعاونا على البر والتقوى؛ يسدد خطاهما، ويمدهما بعونه ما لم يخن أحدهما الآخر، قال ﷺ: " إن الله يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما " [أبو داود] . وبين النبي ﷺ كيف يكون سلوك المؤمن مع من خانه أو غدر به، فقال ﷺ: " أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك " [أبو داود] .

* كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الخيانة فيقول: " اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة " [أبو داود] .

أسباب الخيانة

الخيانة لا يلجأ إليها إلا كل مريض نفسي، ضعيف الإيمان، ضعيف الثقة بالله وبالنفس وبالناس، وهي رذيلة لا يعرفها الإنسان السوي العاقل الذي يدرك خطورتها وآثارها السيئة المترتبة عليها، ومهما كانت الظروف والإغراءات التي تدفع إلى الخيانة، فإنه لا يلجأ إليها .

قد يبرر الخائن خيانته بالمغريات التي لاحت له أثناء ارتكابه الخيانة، وضعف مقاومته لها، لكن ذلك لن يغنيه عن الإثم، فيوسف عليه السلام رغم كثرة الإغراءات لم يخن الرجل الذي أكرمه ورباه، بل حافظ على كرامته وشرفه، وآثر دخول السجن على خيانته .

علاج الخيانة

المسلم الذي يرى في نفسه ميلاً نحو الغدر والخيانة، ينبغي عليه أن يعالج نفسه بالآتي:

أن يبحث عن الأسباب التي تجعله يجنح إلى الخيانة والغدر، وعلى رأس هذه الأسباب البحث عن المال والجاه؛ فالخائن قد يريد أن يكسب مالاً يحصِّل به جاهاً، فيلجأ إلى الخيانة؛ كأن يبيع

الأسرار للأعداء، ولذلك رغَّب الله – تعالى – في الزهد في الدنيا والنظر للآخرة . فينبغي أن نقنع بما آتانا الله من الرزق، ونبحث عن الحلال . وقد يركن الخائن إلى تلك الرذائل لضعف همته عن الوفاء بما عاهد عليه، فعلى المسلم أنه ينمي في نفسه قوة الإرادة والعزيمة . والخائن يريد السلامة في نفسه وماله، ولذلك ينبغي على المسلم أن يثق في حفظ الله له، ويحسن التوكل عليه، ويجعل شعاره في الحياة قول رسول الله ﷺ لابن عباس: " وإذا استعنت فاستعن بالله " [الترمذي] .

وصايا

- احفظ الأمانة وأدِّها إلى أصحابها كما هي غير منقوصة .

- أعظم الأمانات أمانة الله، فارعها وقم بها حق قيام .

- تذكر عهدك مع الله بالإيمان والعمل الصالح وإياك والغدر .

- أسرار بلدك أمانة، فإياك وخيانة بلدك بإفشاء أسرارها .

- الحديث أمانة، فإياك والمزايدة عليه أو إشاعة الفتنة به بين الناس . والكلمة أمانة، فاحرص على أن يكون كلامك مفيداً، يدل على الخير فهو دليلك إلى الجنة .

- العين والأذن واليد وسائر الجوارح أمانة من الله فأحسن استعمالها . والبيع والشراء عهد وأمانة، فإياك والغش .

- احذر الغدر بكل صوره عملاً بقول النبي ﷺ: " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " [أحمد] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة إحذر

احذر الغيبة والنميمة

إعداد: حسن سعودي





تمهيد

الغيبة والنميمة من أقبح الذنوب، وقد حذرنا القرآن من الغيبة، وشبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه الميت . قال تعالى: (**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**) [الحجرات: ١٢] . وأخبر النبي ﷺ أن المغتاب والنمام من المفلسين يوم القيامة، وقد سأل النبي صلى الله عليه وأصحابه فقال: " أتدرون من المفلس؟ " . قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال ﷺ لهم: " المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار " [مسلم] .

والعاقل هو الذي يتخلى عن هاتين الرذيلتين حتى يفوز برضا الله – تعالى – وحب الناس .

تعريف الغيبة

أولا: الغيبة في اللغة:

الغيبة اسم من الاغتياب، وهي مأخوذة من مادة (غ ي ب) التي تدل على ستر الشيء عن العيون . والغيبة هي الوقيعة في الناس، وسميت كذلك لأنها لا تقال إلا في غَيْبة . واغتاب الرجل صاحبه اغتياباً إذا وقع فيه، وهو أن يتكلم عن إنسان في غيبته – وإن كان فيه – بما يمسه بسوء، أو بما يغمه إذا سمعه، فإن كان صدقاً فهو غيبة، وإن كان كذباً فهو بهتان .

ثانياً: الغيبة في الشرع:

الغيبة هي أن تذكر إنساناً في غيبته بما يكره، سواء ذكرته بما يعيبه في بدنه أو نسبه أو خلقه أو فعله أو دينه أو دنياه، حتى لو ذكرته بما يكره أن يقال عنه في ثوبه . وقد سأل النبي ﷺ أصحابه ذات يوم عن الغيبة، فقال لهم: " أتدرون ما الغيبة؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم . فقال ﷺ: " ذكرك أخاك بما يكره " . قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: " إن كان فيه ما تقول، فقد

اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته " [مسلم] . وبهته: أي كذبت عليه وافتريت . والغيبة تكون بالقول، وتكون بالفعل، كالحركة والإشارة .

وقد تكون بتصديق الغيبة فهي في حق المستمع غيبة أيضاً .

تعريف النميمة:

أولا: النميمة في اللغة:

النميمة اسم من نمَّ الحديث يَنمُّه وينُمُّه نماً: أي أظهره . وسمى النمام بذلك لأنه لا يبقى الكلام في جوفه . وقيل: إن النمام هو الذي ينقل الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإشاعة والإفساد . وقيل: النمام في كلام العرب: الذي لا يمسك الأحاديث ولا يحفظها . ويقال للنمام: القتات . يقال: قتَّ الحديث إذا زوَّره وهيأه وسواه . وقيل: النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون فينم عليهم . والقتات: الذي يتسمَّع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينمّ .

والعسَّاس: الذي يسأل عن الأخبار ثم ينمها وينقلها .

ثانياً: النميمة في الشرع:

هي نقل كلام الناس بعضهم عن بعض بغرض الإفساد، ونشر الفتنة والخلاف والكراهية بينهم، سواء أكان ذلك بالقول أو الكتابة او الإشارة أو غير ذلك .

الغيبة والإفك والبهتان:

قال الحسن: وذكر الغير غيبة أو بهتان أو إفك، وكل ذلك في كتاب الله تعالى، فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك .

فالغيبة: هي أن تقول عن أخيك في غيبته ما هو فيه مما يكره . قال معاوية بن قرة: لو مر رجل أقطع، فقلت: أقطَع، كانت غيبة .

والإفك: أن تقول في أخيك في غيبته ما بلغك عنه مما يكره أن يعرف عنه .

البهتان: أن تقول في أخيك في غيبته ما ليس فيه . وكل هذه أشكال من الغيبة مرفوضة ومحرمة .

أشكال الغيبة والنميمة

١ - الغيبة باللسان:

وهذا النوع أكثر الأنواع انتشاراً بين الناس، لا يسلم منه إلا القليل من الناس، وذلك كقولك: فلان لص أو خائن .

٢ - الغيبة بالإشارة:

وهي أن يرى إنسان شخصاً آخر فيشير بيده على أنه قصير أو أعمى أو مجنون أو غير ذلـــك . دخلت امرأة على النبي ﷺ وكانت معه عائشة رضي الله عنها فلما انصرفت المرأة أشارت عائشة بيدها أنها قصيرة . فقال ﷺ: " اغتبتيها " [أحمد] .

٣ - الغيبة بالمحاكاة والتقليد:

وذلك كأن يمشي الشخص متشبهاً بشخص آخر كان يمشي متعارجاً أو كمن يمشي كشخص آخر مفقوء العين، وهذا أشد أنواع الغيبة؛ لأنه أعظم في التصوير والتفهيم؛ ولأن فيه ســـخرية مـــن الآخرين .

٤ - الغيبة بالكتابة:

فالقلم كما يقولون: أحد اللسانين؛ فمن كتب كلاماً يغتاب فيه آخر فقد اغتابه، وهو من أشد أنواع الغيبة .

٥ - الإصغاء إلى الغيبة:

الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب والرضا من أنواع الغيبة، فإن إظهار التعجب يزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيندفع فيها، كأنه يستخرج الغيبة منه بهذه الطريقة، فيقول: عجيبة! ما علمت أنـــه كذلك، فإن كل ذلك تصديق للمغتاب، والتصديق بالغيبة غيبة .

٦ - الغيبة القلبية:

قد يتحدث الشخص مع نفسه عن مساوئ الآخرين، ويسيء الظن بهم، وهذه غيبة قلبية نهـــى الله تعالى عنها، فليس للإنسان أن يعتقد في غيره سوءاً إلا إذا انكشف له بدلائل لا تقبل الـــشك أو التأويل، فعند ذلك لا يمكنه إلا أن يعتقد ما علمه وشاهده . وأما ما لم يشاهده بعينه أو يسمعه بأذنه، ثم وقع في قلبه، فإنما ألقاه الشيطان في قلبه .

حكم الغيبة

اعتبر العلماء أن الغيبة من كبائر الذنوب، وقالوا: من اغتاب شخصاً فعليه أن يتوب إلى الله – عز وجل – فلا يجوز للمسلم أن يغتاب أخاه، وأن يذكره بما يكره؛ لقوله تعالى: **(وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)** [الحجرات: ١٢] . فقد شبه الله الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، مثلما لا يعلم الحي بغيبة من اغتابه . قال ابن عباس رضي الله عنه إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيحة في النفوس . وقال ﷺ في خطبة الوداع: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " [متفق عليه] . وقال ﷺ أيضاً: " كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله " [مسلم] .

الغيبة والظن

أمرنا الله تعالى أن نتجنب كثيراً من الظن، لأن الظن يحتمل أن يكون إثماً، فلا يظن المسلم بالمسلم سوءاً . قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)** [الحجرات: ١٢] . ذكر الإمام القرطبي في تفسير قصة في نزول هذه الآية، فقال: إنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما، فضم سلمان رضي الله عنه إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المترل فغلبته عيناه فنام، و لم يهيئ لهما شيئاً، فجاءا فلم يجدا طعاماً وإداماً . فقالا له: انطلق، فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاماً وإداماً . فذهب، فقال له النبي ﷺ: " اذهب إلى أسامة بن زيد، فقال له: إن كان عندك فضل من طعام فليعطك " . وكان أسامة رضي الله عنه خازن النبي ﷺ فذهب إليه، فقال أسامة: ما عندي شيء . فرجع إليهما فأخبرهما . فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل .

ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئاً، فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سُمحية (بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء) لغار ماؤها . ثم انطلقا يتحسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبي ﷺ فقال: " ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما " فقالا: يا نبي الله! والله ما أكلنا في يومنا هذا لحماً ولا غيره . فقال ﷺ: " ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة " .

سماع الغيبة

إذا كانت الغيبة حرام في حق المتكلم، فإنه يحرم كذلك في حق المستمع إلى الغيبة الساكت عليها رضاً بها مع قدرته على دفعها . قال رسول الله ﷺ: " من ردَّ عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة " [الترمذي] .

فيجب على من استمع إلى من يغتاب أن ينهاه، فإن لم يستطع، فعليه أن ينكر ذلك بقلبه، ولا يرضى عنه، وأن يترك المكان الذي تقع فيه الغيبة؛ إن تمكن من تركه، وإلا كان بذلك شريكاً لمن يغتاب في الإثم .

حكم النميمة

النميمة جريمة في حق المسلم، وهي حرام؛ لأنها تهدف إلى إحداث الفتنة بين المسلم وأخيه المسلم . قال تعالى: (**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**) [القلم: ١٠ – ١٢] .

وقد نهى النبي ﷺ عن النميمة . فقال ﷺ: " لا يدخل الجنة نمام " [متفق عليه] .

ويعاقب النمام من الله بقدر ما يحدثه من جرائم؛ لأنه المتسبب، فالذي ينقل كلمة – مثلا – فتكون سبباً في الفصل بين زوجين أو تشتيت شمل أسرة مستقرة، أو إيجاد البغضاء بين الوالد وأولاده، أو بين الأخ وأخيه، أو بين الجار وجاره . فإن قائل هذه الكلمة يناله عقاب من الله بقدر ما وقع من فساد .

آثار الغيبة والنميمة

يترتب على الغيبة ولنميمة آثار ضارة تصيب النمام والمغتاب، وتصيب من وقعت عليه الغيبة والنميمة:

أولا: الآثار التي تقع على الآخرين:

١ - الإساءة إلى سمعتهم:

من وقعت عليه غيبة، سوف تسوء سمعته، لأن المغتاب أو النمام قد نشر عيوبه، ومن ثم يتناقل الناس ما نقله المغتاب والنمام، وينتشر أمره بين الناس .

٢ - تعطيل المصالح:

قد تتعطل مصالح الآخرين بسبب الغيبة والنميمة، فقد يتقدم شخص للعمل في وظيفة معينـــة، فيغتابه مغتاب عند صاحب العمل، فيرفض تعيينه في الوظيفة لسبب ما قيل عنه .

ثانياً: الآثار التي تقع على المغتاب أو النمام:

١ - التعرض لعذاب الله تعالى:

في ليلة الإسراء رأى النبي ﷺ قوماً يأكلون الجيف، فقال لجبريل عليه السلام من هؤلاء يا جبريل؟ " فقال جبريل: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس . [أحمد] .

٢ - نفور الناس وابتعادهم عنه:

من يغتاب الناس يخسر حب الناس ومودتهم له، فيبتعدون عنه خشية أن ينقل ما لــيس فــيهم كما فعل مع الآخرين، ، فترى الناس ينفرون منه، فيعيش في عزلة لا يجد من يمدَّ له يد العــون عنــد الحاجة .

٣ - عدم دخول الجنة:

أخبرنا النبي ﷺ بأن النمام لا يدخل الجنة، فقال ﷺ: " لا يدخل الجنة نمام " [متفق عليه].

التحذير من الغيبة

أولا: تحذير القرآن من الغيبة:

١ - الآثار الضارة التي تقع نتيجة الغيبة تسبب الكثير من الأذى، ولذلك نهى الله تعالى المسلمين عنها، فقال: (**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيه مَيْتــاً فَكَرِهْتُمُــوهُ**) [الحجرات: ١٢] . وقال: (**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِــكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**) [الإسراء: ٣٦] .

٢- أخبرنا الله تعالى أن كل كلمة يقولها الإنسان يحاسب عليها، فهناك من الملائكة من يكتبها، إما لصالح الإنسان، وإما عليه . فقال تعالى: (**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) [قّ: ١٨] .

٣- توعد الله – عز وجل – المغتاب بالعذاب الأليم في نار جهنم يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويوم يحاسب كل إنسان عما تكلم به لسانه، فقال تعالى: (**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**) [الهمزة: ١] . والهُمَزة: هو الذي يغتاب الناس ويُبَغِّض الآخرين منهم .

٤- أمرنا الله تعالى بألا نطيع كل مغتاب نمام يمشي بالنميمة بين الناس ليوقع بينهم، فيمنع الخير وينشر العداوة والإثم، حتى وإن كان هذا النمام ذا سلطة أو ذا مال، فقال تعالى: (**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ، أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**) [القلم: ١٠ – ١٦] .

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من الغيبة:

١- كان النبي ﷺ حريصاً على أن يعرف أصحابه معنى الإيمان الحقيقي وثماره الطيبة، فليس الإيمان مجرد النطق به، وإنما هو تطبيق ذلك في كل أمور الحياة، فقال ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت " [متفق عليه] .

٢- نبَّه النبي ﷺ إلى خطورة الكلمة، وإلى الآثار التي قد تترتب عليها، فقال ﷺ: " وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في جهنم " [البخاري] .

٣- بشر النبي ﷺ مَنْ يحفظ لسانه وفرجه بالجنة، بشرط ألا يرتكب بهما شيئاً يغضب الله، فقال ﷺ: " من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه، دخل الجنة " [الترمذي] .

٤- وضع النبي ﷺ دستوراً للمسلمين، بين فيه ما يحرم من المسلم على المسلم، فقال ﷺ: " كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله " [مسلم] .

٥- صوَّر لنا النبي ﷺ عاقبة من يغتاب في الآخرة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: " لما عُرِج بي مررت على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون (يجرحون) وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم " [أبو داود] .

٦- شبه النبي ﷺ ريح من يغتاب بالريح المنتنة، فقد كان بعض الصحابة مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال ﷺ: " أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين " [أحمد] .

ومرَّ رسول الله ﷺ بقبرين، فقال: " إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى، إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله " [البخاري] .

وروي أن النبي ﷺ قال: " ليس منا ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة، ولا أنا منه، ثم تلا رسول الله ﷺ: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) [الأحزاب: ٥٨] " [الطبراني] . وقال ﷺ لأصحابه: " ألا أخبركم بخياركم؟ " قالوا: بلى . فقال ﷺ: " الذين إذا رءوا ذُكِر الله تعالى " . ثم قال ﷺ: " ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء والعنت " [أحمد] . وقال ﷺ: " المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " [الترمذي] . وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قول الله تعالى: (**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**) [الحجرات: ١٢] . فقال: إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة، لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذلك الغيبة حرام في الدين، وقبيحة في النفوس .

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: إياكم وذكر الناس فإنه داء، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء .

وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حياً .

وقال أحد الصالحين: أدركت السلف وهم لا يرون العبادة في الصلاة ولا في الصوم فحسب، ولكن في الكف عن أعراض الناس .

وقال أحد الحكماء: لا تأمن من كذَّاب لك، أن يكذب عليك، ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك . وقيل: من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب . وقال الخليفة المأمون: النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها، ولا جماعة إلا بددتها، ثم لا بد لمن عُرِف بالنميمة أن يُجتنب ويُخاف من معرفته، ولا يوثق بمكانه .

وقال الحسن: ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت .

وقال عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه –: من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها . وسأل رجل أحد الحكماء فقال له: أخبرني عن السماء وما أثقل منها؟ وعن الأرض وما أوسع منها؟ وعن الصخر وما أقسى منه؟ وعن النار وما أحر منها؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه؟ وعن البحر وما أغنى منه؟ وعن اليتيم وما أذل منه؟ فقال الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تقض أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحَجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم .

النمام القاتل

باع رجل عبداً، وقال للمشتري: ليس به عيب إلا أنه نمام . فقبل المشتري أن يشتريه على هذا العيب، واستصغره ولم يعتبره عيباً يستدعي الإعراض عن شرائه، فمكث الغلام عنده أياماً، وذات يوم، قال العبد لزوجة سيده: إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتزوج بأخرى . ونصحها بأن تأخذ الموسى فتحلق به شعرة من قفا زوجها أثناء نومه، ليسحره لها فيحبها، ولا يتزوج بغيرها، ثم ذهب إلى سيده، وقال له: إن امرأتك قد اتخذت خليلا، وقد قررت أن تقتلك بالموسى أثناء نومك . ونصحه بأن يأخذ حذره وألا ينام، فمثل الزوج أنه نائم، فجاءت زوجته ومعها الموسى لتأخذ من شعر زوجها، فصدق الرجل العبد، وظن أنها تريد قتله، فقام ونزع الموسى من يدها، وقتلها به، وعلمت قبيلة الزوجة بما فعله الزوج فقتلوه .

ما يباح من الغيبة

تباح الغيبة لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو سبب من أسباب ستة هي:

١ - التظلم:

فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو له قدرة على إنصافه من الظالم، فيقول: فلان ظلمني أو أخذ مالي أو شتمني . ودليل ذلك قول هند عندما شكت أبا

سفيان إلى النبي ﷺ فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولـدي إلا مـا أخذت منه وهو لا يعلم . فقال ﷺ: " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف " [متفق عليه] .

٢ - تغيير المنكر:

يجوز رد العاصي المجاهر بالمعصية إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فـلان يعمل كذا، فأرجعه أو امنعه . ويدخل في هذا الباب من الغيبة المباحة ما يكتبـه الـصحفيون مـن مقالات في النقد والتقييم لكثير من الأشخاص، بشرط أن يكون المقصود هو الوصول إلى إزالة المنكر وإلا كان حراماً .

٣ - الاستفتاء:

وذلك بأن تقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو عمي أو جاري أو صهري، وفعل كذا وكذا، فماذا يحل لي أن أفعل معه، وماذا يحرم عليّ؟ فهذا جائز للحاجة، والأحوط أن تقـول: مـا حكـم الشرع فيمن فعل أبوه معه كذا أو فعلت زوجته كذا؟ بدون أن يعين الشخص إذا كان الغرض يحصل بدون تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز .

٤ - التحذير للمسلمين:

وذلك عند الاغترار بإنسان معين يترتب على الاغترار به ضرر للمسلمين . فالتحـذير مـن الجرائم ضرورة وواجب . وذلك مثل أن تنصح إنساناً حتى لا يخالط رجلاً معيناً بـسبب أن هـذا الرجل مضلل، أو داع إلى الفجور والفحشاء فهذ ا جائز . ومن ذلك النصيحة لمن استشارك وطلب رأيك في زواج أو غيره . ومنها: إذا رأيت متفقهاً يتردد إلى مبتدع فاسق ببدعته ليأخذ العلم منـه، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله . ومنها: أن يكون إنساناً متولياً أمراً مـن أمور المسلمين، ولكنه لا يحسن عمله، بل يسيء فيه ويظلم المسلمين أو يأخذ الرشوة أو يقدم السفهاء على الصالحين والعلماء، ويستطيع أي إنسان مسلم أن يذكر أمره لمن هو أعلى منه، ليعزله أو يؤدبـه ويلزمه جانب الإنصاف، فإن ذلك يكون واجباً عليه لرفع الظلم عن المسلمين، ويراعى في هذا الباب أن تكون النية خالصة للنصيحة وحدها .

٥ - غيبة المجاهر بفسقه:

وذلك كمن يجاهر بشرب الخمر، حتى في رمضان، ويقدمه للضيوف، وكمن ينشر في صحيفته أو مجلته صور العاريات في مناظر مخزية مخجلة، أو ينشر قصصاً للجنس لإثارة الـشباب والفتيـات

والمراهقين، ويدفع الناس بالإثارة إلى الجريمة، وكمن يصادر أموال الناس ظلماً، أو يسفك الدماء ظلماً أو يحارب المؤمنين . ولكن إذا ذكرنا عيبه فيجب ألا نزيد على العيب الذي يعلن به، فمن شرب الخمر جهراً يحل لنا أن تقول عنه: إنه شارب خمر، ولا يجوز أن نزيد على ذلك . . إلخ .

٦ - التعريف بإنسان:

إذا كان هذا الإنسان معروفاً عند الناس باسم أو لقب أو وصف معين، بحيث لا يعرف إلا به، فيجوز أن نقول: حضر الأعرج، أو الأعمى، وغير ذلك بشرط ألا نقصد تنقيصهم بما نقول وإلا حرم . وقد جمع ابن أبي شريف هذه الستة في بيتين من الشعر فقال:

الذم ليس بغيبة في ستة

متظلم ومعرف ومحذر

ولمظهر فسقاً ومستفت ومن

طلب الإعانة في إزالة منكر

أسباب الغيبة والنميمة

لعلاج الغيبة والنميمة يجب أن تعلم أولا الأسباب الباعثة لهما وهي:

١ - الحقد والغضب وهما من البواعث العظيمة للغيبة .

٢ - موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء ومساعدقم على الكلام، لأنه لو أنكر عليهم ذكرهم للأعراض فإنهم سوف يستثقلونه وينفرون منه .

٣ - أن يستشعر من إنسان ما أنه سيقصده ويتطاول بلسانه عليه أو يقبح حاله، فيبادر هو بتقبيح حاله، ليسقط أثر شهادته ضده .

٤ - أن ينسب إلى شخص ما شيء فيريد أن يبرئ نفسه منه، وذلك بأن يذكر الذي فعله ويذمه .

٥ - التصنع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل وفهمه ضعيف، ليثبت فضل نفسه وعلمه .

٦- الحسد، فربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنـــه، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالعيب فيه .

٧- اللعب والهزل وضياع الوقت بالضحك، فيذكر عيوب غيره مما يضحك الناس على سبيل المحاكاة .

٨- السخرية والاستهزاء احتقاراً للغير .

٩- استنكار ما يفعله الغير، فيقول – مثلا –: ما أعجب ما رأيت من فلان، كيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل؟!

١٠- الغضب لله تعالى، فإنه قد يغضب على منكر ارتكبه إنسان فيظهر غضبه، ويذكر اسمـــه، وكان الواجب أن يُظهر غضبه دون ذكر اسمه أو يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر .

فقد مر رجل على قوم في حياة النبي ﷺ، فسلم عليهم، فردوا عليه السلام ، فلما جـــاوزهم قـــال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله تعالى . فقال أهل المجلس: بئس ما قلت، والله لننبئنه . ثم قالوا: يا فلان – لرجل منهم – قم فأدركه وأخبره بما قال، فأدركه رسولهم، فأخبره، فأتى الرجل رسول الله صلى الله عيه وسلم وحكى له ما قاله الرجل عنه، وسأله أن يدعوه له، فدعاه وسأله فقال: قد قلـــت ذلك . فقال ﷺ: " لِم تبغضه؟ " فقال: أنا جاره، وأنا به خابر، والله ما رأيته يصلي صلاة قـــط إلا هذه المكتوبة . قال: فاسأله يا رسول الله: هل رآني أخرتها عن وقتها، أو أســـأت الوضـــوء لهـــا، أو الركوع، أو السجود فيها؟ فقال: لا، ثم قال: والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الـــشهر الـــذي يصومه البر والفاجر . قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه، أو نقصت فيه حقه شيئاً؟ فسأله عنه، فقال: لا، ثم قال: والله ما رأيته قط يعطي سائلا ولا مسكيناً، ولا رأيته ينفق شيئاً من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر . قال: فاسأله يا رسول الله، هل رآني نقـــصت فيها أو ماكست (راجعت) فيها طالبها الذي يسألها؟ فقال: لا . فقال ﷺ للرجل: " قم فلعله خير منك " [أحمد] .

علاج الغيبة والنميمة

لكي يعالج المسلم مرضى الغيبة والنميمة عليه الآتي:

١- أن يعلم المغتاب أنه يتعرض لسخط الله تعالى بغيبته، ويعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه جزاء ما استباحه من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، وتعرض لمقت الله عز وجل ودخل النار .

روي أن رجلا قال للحسن البصري: بلغني أنك تغتابني؟ فقال: ما بلــغ قَــدْرُك عنــدي أني أُحَكِّمك في حسناتي .

وروي أن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال ﷺ: " طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس " [البزار] .

٢- أن ينظر في السبب الذي دفعه إلى الغيبة، فإن علاج المرض يكــون باجتناب أسبابه .

٣- أن يعالج الغضب بأن يقول: إني إذا أمضيت غضبي على شخص فلعل الله تعــالى يُمــضي غضبه عليّ بسبب الغيبة أو النميمة . وقد روي عنه ﷺ أنه قال: " إن لجهنم باباً لا يدخل فيــه إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى " [النسائي] . وروي عنه ﷺ أنه قال: " من كظم غيظاً، وهــو يقدر على أن يمضيه، دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيِّره أي الحــور شــاء " [الترمذي] .

٤- لا تتره نفسك بنسبة النقص إلى الغير، واستغن عن ذكر الغير .

٥- ابتعد عن التباهي ولا تُزَكِ نفسك، وتدعي الفضل لنفسك، وتقدح في غيرك، بل ينبغي أن تعلم أنك بما اغتبت به غيرك أبطلت فضلك عند الله .

٦- تذكر أن الغيبة لأجل الحسد هي جمع بين عذابين، فالأول: احتراق القلب بالحسد مع بقاء نعمة المحسود، والعذاب الثاني: انتشار فضل المحسود، كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

٧- تذكر ثواب من يردُّ عن عرض أخيه . قال النبي ﷺ: " من حمى مؤمناً من منافق يعيبــه، بعث الله له ملكاً يحمي لحمه من النار " [أحمد] . وقال ﷺ: من نصر أخاه المسلم بظهر الغيــب، نصره الله في الدنيا والآخرة " [البيهقي] .

وقال ﷺ: " من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة " [الترمذي] .

وقال ﷺ: " من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار " [أحمد] .

٨- تذكر الله دائماً ولا تذكر الناس بشرٍّ، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: علـــيكم بذكر الله تعالى، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء .

وصايا

إلى كل من حُملت إليه الغيبة أو النميمة، عليه الآتي:

١- ألا يصَدِّقَ النمام والمغتاب؛ لأن كلا منهما فاسق ومردود الشهادة . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**) [الحجرات: ٦] .

٢- أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله . قال تعالى: (**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) [لقمان: ١٧] .

٣- ألا تظن بأخيك الغائب السوء . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**) [الحجرات: ١٢] .

٥- ألا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث للتحقق، اتباعاً لقوله تعالى: (**وَلا تَجَسَّسُوا**) [الحجرات: ١٢] .

٦- ألا ترضى لنفسك ما نهيت المغتاب والنمام عنه، وذلك بأن تحكي نميمته . فتكون بذلك نماماً ومغتاباً .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة احذر

احذر البخل

إعداد: السيد صقر



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

حب المال طبع في النفوس البشرية، فالناس يتمسكون بأموالهم ويبخلون بها . ولكن البخل طبع مذموم، لا يحبه الله تعالى، ولا رسوله ﷺ، ولا يحبه الناس . فالبخيل بعيد من الله، بعيد من النـــاس، بعيد من الجنة، قريب من النار . والبخل يزداد ويقوى مع كثرة المتطلبات والنفقات، وبسبب الخوف مما قد يحدث في المستقبل . والبخل له آثار سيئة في الدنيا والآخرة، ويكفي أن البخل نداء الشيطان . قال تعالى: (**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) [البقـــرة: ٢٦٨] .

ولقد حث الله – تعالى – المسلم على النفقة، ووعد من لا يبخل بالفوز، وبشره بالجنة، فقال: (**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِـــكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [التغابن: ١٦] .

تعريف البخل

البخل في اللغة:

البخل: هو الإمساك والمنع، وهو ضد الكرم والجود .

والشَّح هو البخل .

والشُّح (بالضم) هو البخل الشديد الذي يكون مع الحرص، فالشُح هو أشد البخل . وهـــو أبلغ في المنع من البخل .

والمَبخلة: الشيء الذي يحمل على البخل ويشجع عليه، ويتسبب فيه، مثل الخوف من الفقـــر، وجمع المال للأولاد، وغير ذلك .

البخل في الشرع:

البخيل في الشرع هو الذي يمنع ما يجب عليه، وعكسه الجواد الكريم الذي يعطي ما يجب عليه . كإخراج الزكاة والنفقة الواجبة، فالبخل شرعاً: منع الواجب .

وليس البخل منع ما لا يجب . وليس الكرم الإعطاء في غير موضع العطاء .

فكل من استحق بالعطاء أجراً ومدحاً فهو الكريم الجواد، وكل من استحق بالمنع ذماً وعقابـــاً فهو البخيل، وكذلك فكل من استحق بالعطاء ذماً أو عقاباً فليس بكريم ولكنه مـــسرف، ومـــن لم يستحق بالمنع ذماً ولا عقاباً، بل استحق به مدحاً وأجراً وثوابا، فهو ليس ببخيل شرعاً، ولكنه مـــن أهل الرشد .

أشكال البخل

للبخل أشكال كثيرة وصور عديدة، منها:

١ - البخل بالمال:

ويكون بمنع الزكاة والنفقة الواجبة، وبعدم إسعاف الآخرين عند النوائب، وبعد إكرام الضيف .

فكل هذه الأمور الواجبة يكون منعها من أشد أنواع البخل، قال النبي ﷺ: " بريء من الشح من أدى الزكاة، وقرى (أكرم) الضيف، وأعطى في النائبة " [السيوطي] . ومن البخل في الإنفاق أن ينفق أقل مما يجب عليه، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال لي النبي ﷺ: " أنفقـــي مـــا استطعتِ ولا تُحصي فيُحصي الله عليكِ، ولا تُوعي فيوعى الله عليك " [متفق عليه] . ومن البخل

في الإنفاق أيضاً: أن يختار المال الرديء السيئ، ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين أن ينفقوا من أفضل أموالهم وأطيبها وأنفسها عندهم، ونهاهم عن التصدق بحثالة المال ورديئه، فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) [البقرة: ٢٦٧] .

ولما نزلت (**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**) كان الصحابي الجليل أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه حديقة نخل أمام مسجد النبي ﷺ . وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية، قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: (**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**) وإن أحب أموالي إلي بَيْرَحاء (حديقة النخل) وإنها صدقة لله، أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: " بخ (كلمة فَخْر)، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ وإني أرى أن تجعلا في الأقربين " قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه " [متفق عليه] .

٢ - البخل بالجاه:

الجاه هو ما يكون للإنسان من منزلة عند غيره، يجعل الغير يلبي له رغبته من جلْبِ نفع أو دفع ضر، ويكون البخل بالجاه الامتناع عن الشفاعة والمشي مع الغير إلى سلطان أو حاكم، أو غيره ممن يكون للناس عندهم مطالب، لا يسهل لهم الحصول عليها؛ إلا بمساعدة أصحاب الجاه . وقد رغب الله تعالى في الشفاعة الحسنة، فقال تعالى: (**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا**) [النساء: ٨٥] . وكان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه فقال: " أشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب " [متفق عليه] .

٣ - البخل بالعلم:

ويكون بكتمانه بعد تعلمه، وعدم تعليمه للغير، وأشد ما يكون البخل عند السؤال، وقد توعد الله عز وجل ورسوله ﷺ من يكتم العلم بالعذاب يوم القيامة، وباللعنة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**) [البقرة: ١٥٩] . وقال ﷺ: " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " [الترمذي] .

وكما يكون البخل بالعلم بكتمانه، يكون أيضاً بالإجابة الناقصة عن السؤال، وترك ما يحتاج إليه السائل و لم يسأل عنه، وقد كان رسول الله ﷺ يجيب السائل عما يحتاج إليه، وإن لم يسأل عنه . فقد سئل عن المتوضئ بماء البحر، فأجاب الرسول ﷺ بأن البحر ماؤه طاهر ومطهر لغيره، فيجوز منه الوضوء، وأخبر زيادة على ذلك بأن ما مات في البحر من الأسماك ونحوها حلال أكله .

٤ - البخل بمنافع البدن:

منافع البدن كثيرة، وزكاتها واجبة . فمن منع منافع بدنه عن الناس فهو بخيل، ومن منعها عن نفسه كان شحيحاً أحمق . قال رسول الله ﷺ: " كل سُلامَى (مفصل) من الناس عليد صدقه، كلَّ يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو رفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط (تبعد) الأذى عن الطريق صدقة " [متفق عليه] .

٥ - البخل بالذكر:

وهو أقبح أنواع البخل . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**) [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] . وكل ذكر لله تعالى صدقة، فمن تركه فهو بخيل . قال رسول الله ﷺ للفقراء: " قد جعل الله لكم ما تَصَّدقون (تتصدقون به) إن بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلُّ تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونَهْيٌ عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة " [مسلم] .

٦- البخل بالصلاة على النبي ﷺ:

وذلك إذا ذكر رسول الله ﷺ فيجب على من ذُكر عنده أن يصلي عليه، قال ﷺ: " البخيل من ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليّ " [السيوطي] .

٧- البخل بالطعام:

ويكون بمنعه عن الجائع الذي لا يجد ما يأكله، وأشد ما يكون إذا كان الجائع جاراً وهو يعلم بجوعه، قال رسول الله ﷺ: " ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم " [الطبراني] .

وقد حذر الله من منع الطعام عن المسكين، فقال: (**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**) [الماعون: ١ – ٣] .

وأشد البخل هو أن يمنع البخيل الطعام والقوت عن نفسه وأهله الذين هم تحت مسئوليته . قال رسول الله ﷺ: " كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمّن يملك قوته " [مسلم] .

٨- البخل برد السلام:

من الناس من يبخل على أخيه المسلم، فلا يؤدي إليه حقوقه التي أمر بها الله عز وجل، ورسوله ﷺ، ومنها إلقاء السلام ورده، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وبذل النصيحة، وزيارة المريض، واتباع الجنائز، والتعزية في المصائب، والتهنئة في المسرات، فقد قال الله تعالى: (**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**) [النساء: ٨٦] .

وقال ﷺ: " أعجز الناس من عجز في الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام " [الطبراني] .

٩- البخل بالحب:

والحب يكون لله تعالى ولرسوله ﷺ أولا، ثم يكون أيضاً للصالحين والمؤمنين جميعاً . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) [المائدة: ٥٤] .

وقال ﷺ: " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم " [مسلم] .

١٠ - البخل بالرحمة:

الرحمة مطلوبة بين الناس، ومع ذلك فكثير من الناس يبخل بها، قال رسول الله ﷺ: " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " [متفق عليه] .

وقبّل النبي ﷺ الحسنَ بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس .

فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد، ما قبَّلت منهم أحداً .

فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: " مَن لا يرحم لا يُرحم " [متفق عليه] .

١١ - البخل في الدعاء:

ويكون بتركه . قال الله تعالى: (**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ**) [الفرقان: ٧٧] ويعبأ أي: يبالي .

كما يكون البخل بقلة الدعاء، والبخيل به محروم من خير كثير، قال ﷺ: " ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إيَّاها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم " .

فقال رجل من القوم: إذاً نكثر (أي من الدعاء)، فقال ﷺ: " الله أكثر " [الترمذي] .

حكم البخل

البخل في الإسلام محرم، لا يحبه الله تعالى، ولا رسوله ﷺ، وقد أجمع المسلمون على حرمة البخل . قال سبحانه: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً، الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**) [النساء: ٣٦ – ٣٧] .

فالبخلاء فيهم الخصال المانعة من الإحسان، وأولها البخل .

وأنكر سبحانه على البخلاء وعجب من شأنهم، فقال تعالى: (**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً**) [النساء: ٣٩] .

يقول علي – رضي الله عنه –: عجبت للبخيل: يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .

التحذير من البخل

- احذر الشجاع الأقرع

أخبر الله سبحانه أن الذين يبخلون بما آتاهم الله من مال، سيطوقون به في رقابهم يوم القيامة . فقال – عز وجل -: (**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) [آل عمران: ١٨٠] .

وقال رسول الله ﷺ: " من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مُثِّل (صُوِّر) له يوم القيامة شُجاعاً (الحية الذكر) أقرع له زبيبتان (نكتتان سوداوان فوق عينيه)، يُطَوِّقه يوم القيامة، يم يأخذ بلِهْزمتيه (شِدْقَيه) ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: (**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ**) [البخاري] .

- إياك والكنز:

أنذر الله – عز وجل – الكانزين للأموال بعذاب أليم، حينما يحمى على هذه الأموال في نـــار جهنم، ثم يكوى بها صاحبها في كل موضع في جسده، فقال تعالى: (**وَالَّـــذِينَ يَكْنِـــزُونَ الـــذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْـــوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**) [التوبة: ٣٤ – ٣٥] .

والكتر هو المال الذي جمعه صاحبه و لم يؤد زكاته، قال عبد الله بن عمر: ما ادِّي زكاته فليس بكتر، وإن كان تحت سبع أرضين، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كتر، وإن كان فوق الأرض .

- جزاء الكنّازين:

مر أبو ذر رضي الله عنه على نفر من قريش فقال: بشّر الكانزين بكيٍّ في ظهـــورهم يخـــرج مـــن جنوبهم، وبكي من قِبل (جهة) أقفائهم (مؤخرة الرأس) يخرج من جنوبهم .

ثم تنحى فقعد، فجاءه رجل منهم: فقال: ما هذا الذي قلتَه؟

قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعتهُ من نبيهم صلى الله عليه وسلم .

قال: ما تقول في العطاء (الهبة)؟

قال: خذه فإن فيه معونة . فإن كان ثمناً لدينك فدَعه (اتركه) . [مسلم] .

- وحوش مفترسة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " . . ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقهـــا حلبـــها يـــوم وردها، إلا إذا كان يومُ القيامة: بُطح لها بقاع (مكان مستو من الأرض) قرقر (أملس)، أوفر مـــا كانت لا يَفقِد منها فصيلا (جملا صغيراً) واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضّه بأفواهها، كلما مرَّ عليـــه أولاها رُد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار " قيل: يا رسول الله! فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي

منها حقها، إلا إذا كان يومُ القيامة بطح لها بقاع قرْقرٍ لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عَقْصَاء (ملتوية القرن) ولا جَلْحاء (لا قرن لها) ولا عَضْباء (مكسورة القرن)، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها (جمع ظلف، وهو الحافر) . كلَما مرّ عليه أولاها رُدَّ عليه أُخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار " [متفق عليه] .

- إياك وهذا الخسران:

عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: " هم الأخسرون ورب الكعبة " .

فقلت: يا رسول الله! فداك أبي وأمي من هم؟

قال: " هم الأكثرون أموالا، إلا من قال (أنفق) هكذا وهكذا (أمام ويمينه وشماله)، وقليل ما هم " [متفق عليه] .

- تصدق قبل أن تُردَّ:

قال ﷺ: " تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته، فيقول الذي أعطيها (عرضت عليه): لو جئتنا بها بالأمس قَبلْتُها، فأما الآن، فلا حاجة لي بها . فلا يجد من يقبلها " [متفق عليه] .

- إياك ومنع الفضل:

قال ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل، يقول الله له: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك " [متفق عليه] .

آثار البخل

للبخل آثار سيئة، وعواقب وخيمة في الدنيا والآخرة:

١ - البخل يسفك الدماء:

من أخطر آثار البخل السيئة، أن الشحيح يضحي بكل شيء، حتى بالأرواح والدماء، فيقتل ليحافظ على ما عنده، أو ليحصل على ما ليس عنده، قال ﷺ: " اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم . حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " [مسلم] .

٢ - البخل يجلب الفقر:

البخل يمنع الغيث والخير . قال رسول الله ﷺ: " ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين " [الطبراني] . والسنين: جمع سنة، وهي العام المقحط الذي لم تنبت فيه الأرض شيئاً سواء نزل المطر أو لم ينزل .

٣ - البخل من المهلكات:

قال رسول الله ﷺ: " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم " [مسلم] .

٤ - البخيل محروم:

فالذي يبخل بماله أو بشيء آخر، فإنه يبخل على نفسه، ويحرمها الأجر والثواب، قال تعالى: (**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**) [إبراهيم: ٧] .

٥ - البخيل مُهان:

وصف الله سبحانه البخيل المانع للخير بالمهانة، فقال: (**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**) [القلم: ١٠ – ١٢] .

والإهانة تكون بالبخل الذي يمنع من إعطاء اليتيم والمسكين حقهما، ويدفع إلى جمع المال من حلال أو حرام .

٦- عذاب النار:

أبشع الآثار المترتبة على البخل والشح ما يكون في الآخرة من العذاب . قال رسول الله ﷺ: " مانع الزكاة يوم القيامة في النار " [الطبراني] .

٧- البخل من النفاق:

وصف الله سبحانه المنافقين بالبخل، وأخبر أنهم يكرهون الإنفاق في سبيل الله، ويبخلون بالمال وغيره، فقال سبحانه: (**وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) [التوبة: ٨١] .

ولذلك لا يقدمون مختارين على عملية الإنفاق أبداً، وإنما ينفقون في حالة الاضطرار فقط، ولذلك فالله تعالى لا يقبل منهم نفقتهم وصدقتهم، كما قال تعالى: (**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**) [التوبة: ٥٤] .

٨- الشح ينافي الإيمان:

الشحيح ناقص الإيمان، لأنه لو كمل إيمانه لأنفق ابتغاء وجه ربه الأعلى، طاعة لأمر الله، وطمعاً في ثوابه وفضله، قال النبي ﷺ: " لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبدٍ أبداً، ولا يجتمع شح وإيمان في قلب عبدٍ أبداً " [الحاكم] .

٩- الشح شر:

البخل شر لقول الرسول ﷺ: " يا ابن آدم! إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك . ولا تلام على كفاف (ما يكفي الإنسان ولا يزيد عن حاجته) وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى " [مسلم] .

وقال ﷺ: " شر ما في الرجل: شح هالع (مفزع)، وجبن خالع (يخلع قلبه من شدة الخوف) [أبو الدرداء] .

١٠ - الرسول ﷺ يرفض البخل:

قسَّم ﷺ مالا يوماً، وأعطى بعض الناس أكثر من غيرهم .

فقال له عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -: والله يا رسول الله، غيرهم أحق منهم بهذا المال .

فقال ﷺ: " إنهم خيّروني أن يسألوني بالفحش أو يتبخّلوني (يجعلوني بخيلا) ولست بباخل " [مسلم] .

١١ - الاستعاذة من البخل:

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من البخل، فيقول: " اللهم إني أعوذ بك مـــن البخـــل " [البخاري] .

علاج البخل

على البخيل أن يتذكر المعاني الآتية:

- لا ينفعك إلا صدقتك:

قال رسول الله ﷺ: " يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت (أي أبقيت) " [مسلم] .

- إنما تبقى الصدقة:

كل مال أتى للإنسان زائل عنه، ولا يبقى له منه ما ينفعه، إلا ما جعله في ســـبيل الله تعـــالى، وأنفقه في ما يرضيه سبحانه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: " ما بقي منها؟ " قالت: ما بقي منها إلا كتفها . فقال ﷺ: " بقي كلها غير كتفها " [الترمذي] .

ومعناه: أنهم تصدقوا بها إلا كتفها، فأخبرهم ﷺ: أن ثواب الشاة بقي كاملا في الآخـــرة إلا كتفها .

وقال رسول الله ﷺ: " أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ "

قالوا: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه .

فقال ﷺ: " فإن ماله ما قدم (تصدق به) ومال وارثه ما أخر (أبقاه) " [البخاري] .

- لا نقص مع الصدقة:

وهذا من فضل الله تعالى، حيث يدخر لك صدقتك في الآخرة، ليثيبك بها بعد أن ينميها لك، كما قال النبي ﷺ: " ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب – ولا يقبـــل الله إلا الطيـــب – إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فَلُّوَه (مُهْره) أو فَصيله (ولد الناقة المفطوم) " [متفق عليه] .

ومع ذلك فإن مالك في الدنيا لا ينقص، بسبب ما تخرجه من صدقة وزكاة ونفقة .

عن رسول الله ﷺ: قال " ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مالُ عبـــدٍ من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مـــسألة إلا فـــتح الله عليه باب فقر .

وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل رحمه (أقاربه)، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل .

وعبد رزقه الله علماً، و لم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملـــت بعمـــل فلان، فهو ونيته، فأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالا، و لم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يـــصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل .

وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فـــلان (الـــذي يخبط في ماله) فهو ونيته، فوزرهما (إثمهما) سواء " [الترمذي] .

وصايا

- عَجِّل بالصدقة:

أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال ﷺ: " أن تصدَّق (تتصدق) وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت (الروح) الحلقوم قلتً: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان " [متفق عليه] .

وقال رسول الله ﷺ: " اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك (شيخوختك)، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك " [الترمذي] .

- عليك بالدعاء:

الدعاء سلاح المؤمن، فالمؤمن يلجأ إلى الله تعالى في كل أمره ويسأله ويستعين به، فلندع الله أن يجنبنا ذلك الخلق المذموم، كما كان يدعو رسول الله ﷺ ويقول: " اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العُمُر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر " [البخاري] .

- تخلص من أسباب البخل:

وأهمها حب المال، وطول الأمل، والخوف على الأولاد . وذلك بتقصير الأمل، وذكر الموت، ولا تخش الفقر على ولدك .

قال رسول الله صلى عليه وسلم: " الولد مبخلة مجبنة مجهلة " [الحاكم] .

واعلم أن الله – تعالى – خلق رزق ولدك قبل أن يولد، من وقت نفخ الروح فيه، وأن أفضل ما تورثه لولدك أدب حسن، وكم من ولد لم يرث من أبيه شيئاً، هو أحسن حالا ممن ورث الكثير . قال تعالى: (**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**) [النساء: ٩] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة احذر

احذر التدخين

إعداد: أحمد حسن عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

التدخين ظاهرة ضارة انتشرت في جميع المجتمعات، و لم يسلم منها إلا من رحم الله .

وتأتي خطورة التدخين من أمرين: أولهما أن المدخن يعلم تماماً أن التدخين ضار بـــصحته، ولا يستطيع مع ذلك الإقلاع عنه، والأمر الثاني أن ضرر التدخين يتعدى المدخن إلى من يجالسه ويجاوره، وهو ما يعرف بالتدخين السلبي، فكم طفلٍ صغير تدهورت صحته بسبب وجوده في مكان لا يكف فيه أبوه عن التدخين .

والإسلام يريد من أبنائه أن يكونوا أقوياء حتى يستطيعوا النهوض بالتكاليف الإيمانية، والدفاع عنها ضد الأعداء في ميادين الجهاد، ولذلك قال رسول الله ﷺ: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير " [مسلم] .

تعريف التدخين

التدخين في اللغة:

دخنت النار دخناً ودخوناً: أي ظهر دخانها . ودخنت النار: كثر دخانها .

ودخنت الشيء: صار لونه كلون الدخان .

ودخنت التبغ ونحوه: أحرقه متعاطياً إياه .

والدخان: ما يتصاعد عن الناس من دقائق الوقود غير المحترقة .

التدخين في الشرع:

التدخين يطلق على من استخدم نبات التبغ في لفائف تسمى السيجارة أو الغليون أو نحوها . وتدخين ذلك النبات يتم عن طريق استنشاقه، ثم إخراجه من الفم أو الأنف أو منهما جميعاً .

تاريخ التدخين

كانت عادة التدخين منتشرة في المكسيك قبل أكثر من ٥٠٠ عام قبل الميلاد . وقد لاحظ هذه الظاهرة المكتشف كريستوف كولومبس في بلاد أمريكا الوسطى عام ١٤٩٢ م، حيث رأى كولومبس وزملاؤه الهنود الحمر من سكان تلك البلاد يدخنون نبات التبغ على شكل لفائف من أوراقه بإشعال أحد طرفيها مع وضع الطرف الآخر في الفم .

وكانت تظهر على المدخنين مظاهر الارتياح واللذة، وكانوا يعتقدون أن عملية التدخين مصدراً للاستمتاع والتسلية، وأنها مشجعة على العمل ومريحة للأعصاب .

ثم انتقل التدخين إلى بلاد أسبانيا سنة ١٥١٨ م . عندما تم زراعة التبغ في أسبانيا، ثم انتقلت زراعة التبغ من أسبنيا إلى مستعمراتها المجاورة لها . فانتشرت زراعته في البرتغال، ثم في فرنسا سنة ١٥٥٩ م . وكان أول من تعاطاه من النساء ملكة فرنسا كاترين ديمدسيس، ثم تبعها جميع أفراد البلاط الملكي .

ثم انتقلت زراعة التبغ إلى انجلترا سنة ١٥٨٤ م . وكان أول من دخن في انجلترا السير ولتر ويلي .

ثم انتشرت زراعة التبغ في معظم دول أوربا مثل ألمانيا وإيطاليا وتركيا والنمسا وروسيا، ثم دخل التدخين إلى بلاد اليابان بواسطة البرتغاليين .

ثم دخل التدخين مصر سنة ١٦٠٣ م . عن طريق استيراده، ثم انتقل من مصر إلى الحجاز واليمن والشام وغيرها من البلاد الإسلامية .

وكان التبغ يستعمل إما مصنعاً أو عن طريق العاطوس، أو بإستخدام الغليون أو بشكل أنابيب ورقية طولها لا يزيد عن ١٠ سم تدعى (سيجارة) .

أقسام التدخين

يتم استخدام تدخين التبغ عن طريق عدة وسائل هي:

١ - السيجارة:

وهي لفافة من ورق شفاف يوضع فيها أوراق من نبات التبغ بعد تجفيفه وسحقه، ثم يتم إشعال هذه اللفائف من طرف، وامتصاص دخانها من طرف آخر، ثم بلعه وإخراجه بعد ذلك من الأنف أو الفم أو منهما معاً .

والسجائر الرفيعة والطويلة تنتج عنها كمية من النيكوتين أقل من السجائر القصيرة والغليظة .

ويوضع في نهاية السجائر فلتر يخفف من ضررها .

٢ - السيجار:

وهو عبارة عن أوراق التبغ نفسها، ويتكون السيجار من طبقات ثلاث هي: الحشو، والغطاء الداخلي، والغطاء الخارجي .

الحشو عبارة عن تبغ منزوع الساق . أما الغطاء الداخلي فهو عبارة عن أوراق من نفس تبغ الحشو ولكن مستوية، جيدة الاحتراق والتوهج، ذات رائحة جيدة . أما الغطاء الخارجي للسيجار فهو عبارة عن أوراق تبغ منزوع الساق، جيد اللون، خال من العيوب، جيد الاحتراق، عطري مرن .

والسيجار أقل انتشاراً من السجائر .

٣- الغليون (البايب):

وهو عبارة عن قالب بشكل معين يحتوي على تجويف يوضع فيه التبغ، ويتصل بالتجويف أنبوب يوضع في الفم، ويصنع الغليون من الخشب أو المعدن أو الفخار .

ويوضع في الغليون تبغاً مفروماً يصلح لاستعمال الغليون .

ويعد الغليون أقل انتشاراً من السجائر .

٤- النارجيلة (الشيشة):

وهي نوع من أنواع الغليون، ولكن تجويفه أكبر من تجويف الغليون، ويوضع في هذا التجويف ماء . ويخرج من هذا التجويف المملوء بالماء خرطوم يصل إلى الفم . ويعمل الماء في التجويف على تخفيف حدة التبغ .

٥- الجوزة:

وهي تشبه النارجيلة، لكنها أقل حجماً منها، ويمكن حملها في اليد، وغالباً ما يكون الذراع الواصل بين التجويف المائي والفم مصنوعاً من الغاب . . ويستخدم في الجوزة تبغاً لزجاً يسمى الدخان المعسل .

حكم الإسلام في التدخين

لقد حرم الإسلام على كل مسلم كل ضار، لكي يحفظ على المسلم نفسه ودينه وعقله وماله وعرضه .

والحكم على التدخين يتوقف على تحديد أصلين هما:

الأول: هل التدخين ضار؟

والثاني: هل كل ضار محرم في الإسلام؟

ولكي نعرف حكم الإسلام في التدخين يجب أن نجيب على هذين الأصلين .

أولا: هل التدخين ضار؟ نعم فالتدخين كما عرفنا ضار على صحة المسلم، ويحقق بالإضافة إلى الأضرار الصحية أَضراراً اقتصادية واجتماعية كبيرة، وهكذا ثبت الأصل الأول بالدليل القطعي أنه ضار .

ثانياً: هل كل ضار حرمه الإسلام؟

وللإجابة على هذا السؤال نستعرض بعض الآيات والأحاديث التي تثبت حرمة كل ضار وخبيث على المسلم .

قال تعالى: (**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**) [الأعراف: ١٥٧] . والدخان من الخبائث الضارة كما بينا .

وقال تعالى: (**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) [البقرة: ١٩٥] . والدخان يؤدي إلى الأمراض . ويؤدي إلى القتل .

وقال تعالى: (**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**) [الإسراء: ٢٦] . والتدخين إتلاف للمال وحرق له .

وقال رسول الله ﷺ: " من تحسى سماً فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً " [البخاري] . والتدخين مادة سامة .

وقال رسول الله ﷺ: " لا ضرر ولا ضرار " [مالك] . والتدخين ضرر وضرار .

وهكذا ثبت أن التدخين ضار، وأن كل ضار حرمه الإسلام، وبناءً على ما تقدم فقد أفتى كثير من العلماء بحرمة تناول الدخان بجميع أشكاله .

والعلماء الذين قالوا بإباحة التدخين أو كراهته من قديماً فلهم العذر؛ لأن الطب لم يكتشف أضرار التدخين على جسم الإنسان إلا في العصر الحديث . وقد استندوا إلى أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم .

أما الآن، بعد أن أكَّد العلم أن التدخين ضارٌّ جدّا بالصحة، فقد تأكدت حرمته .

آثار التدخين

لكي نتعرف على آثار التدخين فلا بد أولاً من معرفة مما يتكون التبغ باعتباره المادة الخام التي تستخدم في التدخين بكل صوره:

يتكون التبغ من عدة مكونات كيميائية هي:

١ - الماء:

ويشكل ما يزيد عن ٥ % من الوزن . وبالتحليل الكيميائي اكتشف أنه كلما زادت نسبة الماء في التبغ كلما زادت نسبة النيكوتين الضارة .

٢ - حمض الآزوت:

ونسبته لا تزيد عن ٥, % من وزن التبغ . ويتولد من حمض الآزوت الأمونياك وهي مادة ضارة .

٣ - الآزوت:

ويمثل ما يزيد عن ٣ % من وزن التبغ، ويوجد الآزوت في المواد الزلالية، وهي مواد تعطي عند الاحتراق غاز سيان هيدريك السام .

٤ - عناصر معدنية وشبه معدنية:

ونسبتها من ١٠ إلى ٢٥ % من التبغ، وهذه العناصر هي: البوتاسيوم والصوديوم والحديد والكالسيوم والكلور . وهذه العناصر هي رماد التبغ بعد حرقه .

٥ - مواد البكتينية:

وتمثل ما يزيد عن ٥ % من وزن التبغ، وينتج عن احتراق هذه المواد الكحول المثيلي .

٦ - مواد صمغية:

ونسبتها ١٥ %من وزن التبغ .

٧ - السيليلوز:

ويمثل ١٠ % من التبغ، ويتولد عنه بعد الاحتراق مواد قطرانية وكحول .

٨ - النيكوتين:

ونسبته ٣ %، وهي مادة سامة .

بالإضافة إلى ما سبق فإنه يوجد في التبغ كثير من العناصر الكيميائية بنسب متفاوتة .

وكل هذه العناصر التي يتكون منها التبغ تنقسم من الناحية الصحية إلى قسمين: مواد ضارة، ومواد غير ضارة .

وقد أوضحت بعض الدراسات أن هناك نسبة من التبغ يمكن أن نستخرج منها مواداً سكرية وأحماضاً أمينية وفيتامينات، ويمكن استخلاص البروتين والنشا من هذه المواد .

في حين أن العناصر الضارة أكثر من تلك النافعة وهذه العناصر هي:

- النيكوتين:

وهو مادة زيتية لا لون له، يذوب في الماء، ويصبح بني اللـــون إذا تعـــرض للـــهواء . ويعـــد النيكوتين من المواد المؤثرة في جسم الإنسان المدخن، لأن الرئتين تمتصان ما بين ٢،٥ – ٥ مجم مـــن كل سيجارة يدخنها المدخن .

ويسبب النيكوتين بعض الآثار الضارة في الفم والبلعوم كما يحدث النيكوتين ألمـــاً شـــديداً في البطن، وارتفاع درجة الحرارة والصداع، كما يؤدي إلى تنشيط حركة الأمعاء فيحـــدث الإســـهال، وكذلك يزيد في معدل نبض القلب، وانقباض العين . . إلى غير ذلك من آثار .

- أول أوكسيد الكربون:

وهو غاز عديم اللون والرائحة، ويؤدي غاز أول أوكسيد الكربون إلى الإصابة بالعديـــد مـــن الأمراض مثل: الإصابة بأمراض الدورة الدموية الحادة والمزمنة، وكذلك عدم أكسدة الدم التي تسبب التثاؤب، والغيبوبة، والإفراز اللعابي، وتعب العضلات، وسرعة نبض القلب، وارتفاع ضـــغط الـــدم الذي يؤدي بدوره إلى الإصابة بتصلب الشرايين والذبحة الصدرية وأمراض القلب الأخرى .

- القطران:

وهو عنصر خطير يسبب السرطان، ويزداد خطر السرطان إذا بدأ الفرد التـــدخين صـــغيراً أو الكثير التدخين .

- السيانيد:

وتحتوي كل سيجارة على ٢٤٠ ميكروجرام منه، وهو غاز سام يطرد الأوكسجين من الخلايا

.

- أمونيا:

وهو غاز مهيج للرئتين، مما يؤدي إلى الإصابة بالسعال، كما يؤدي الأمونيا إلى تضخم الغـــدة الدرقية الذي يسبب أمراضاً كثيرة .

آثار التدخين الصحية

أولا: التدخين والجهاز الهضمي:

يتسبب التدخين في كثير من الأمراض التي يتعرض لها الجهاز الهضمي ومن تلك الأمراض:

١ - أمراض الفم:

يؤدي التدخين إلى تغير رائحة الفم، وخروج راحة كريهة . كما يصاب اللسان بتضخم حليمات الذوق، مما يؤدي إلى الشعور بالغثيان والدوار . كما تكون قابلية الشم والذوق عند المدخن قليلة . كما يؤثر التدخين في أمراض اللثة . ويؤدي أيضاً إلى تغير لون الإنسان، والإصابة بمرض سرطان الفم .

٢ - أمراض المريء:

يسبب التدخين مرض السرطان في المريء، كما يؤثر التدخين على المريء فيحدث فيه نوبات من التشنج العضلي، مما يؤدي إلى ألم شديد .

٣ - أمراض المعدة:

يؤدي التدخين إلى عسر الهضم، كما يحدث التهاباً مزمناً في الغشاء المخاطي للمعدة، فتقل شهية المدخن، كما يؤدي التدخين إلى مرض القرحة الهضمية .

٤ - أمراض الأمعاء:

يسبب التدخين مرض الإمساك المزمن، كما يضيّق الشرايين المغذية للأمعاء، فيساعد على تصلبها، ويؤدي في النهاية إلى التريف الداخلي .

٥ - أمراض الكبد:

يصاب الكبد مع كثرة الإدمان بالضمور وسرطان الكبد، ومن ثم لا يقوم الكبد بمهمته، وهي التخلص من السموم التي تدخل مع الدم .

ثانياً: التدخين والجهاز التنفسي:

١ - أمراض الأنف والجيوب:

تتعرض الأنف بسبب التدخين إلى التهاب الغشاء المخاطي الأنفي، ومن ثم يؤدي إلى ضعف حاسة الشم، كما يؤدي التدخين إلى التهاب الجيوب الأنفية .

٢ - أمراض الحنجرة:

يتعرض الغشاء المخاطي للحنجرة إلى السرطان بسبب إدمان التدخين، كما تصاب الحنجرة بالتهاب الغشاء المخاطي المزمن .

٣ - أمراض الرئة:

وأهم ما تصاب به الرئة من وراء التدخين السرطان، وهو يؤدي إلى تكوين طبقة مخاطية في اتجاه الحنجرة .

كما يؤدي التدخين إلى تراكم الغبار والأوساخ في المجاري الهوائية .

ثالثاً: التدخين واللياقة البدنية:

يسبب التدخين في بداية تعاطيه بعض الأعراض مثل الصداع والسعال والغثيان وشحوب الوجه، ثم تختفي هذه الأعراض تدريجياً مع إدمان التدخين .

ثم يعمل التدخين بعد إدمانه على نقص اللياقة البدنية للجسم، فيشعر المدخن حينئذ بتعب لأقل مجهود يبذله عند ممارسة الرياضة .

رابعاً: التدخين والتركيز الذهني:

يؤدي التدخين إلى عدم القدرة على التركيز، لتأثير التدخين على الجهاز العضلي والجهاز العصبي . ولأن أول أكسيد الكربون في الدخان يفسد التوازن الكيميائي للدم، فيؤثر على خلايا المخ، مما يؤدي إلى شلل أو تقليل القدرة على التفكير . وفي النهاية تؤدي كل تلك الأعراض إلى قلة مستوى التحصيل العلمي، وإلى التخلف العقلي للأجنة عند الأمهات الحوامل .

خامساً: التدخين والدم:

يؤثر التدخين تأثيراً مباشراً على الدم؛ حيث يؤثر النيكوتين على نقى العظم (نخاعه) الذي ينتج الدم، فيؤدي إلى فقر الدم؛ مما يصيب المدخن بفقدان الشهية التي تسبب شحوب الجلد، وخمول الجسم والإرهاق والتعب بصفة عامة .

آثار التدخين على الآخرين

يساعد المدخن بتدخينه على تلوث البيئة، بإضافة غازات سامة إلى الهواء مثل: غاز السيانيد وأول أوكسيد الكربون .

وهذه الغازات السامة الموجودة في الهواء تساهم في إصابة غير المدخنين بالعديد من الأمراض .

ويضاف إلى ذلك ما يقتطعه المدخن من أموال لشراء السجائر وغيرها من طريق التدخين، مما يحرم أسرته من جزء من دخله، قد يساهم في ارتفاع مستوى معيشتهم . وأيضاً قد يكون المدخن سبباً في جذب عدد من غير المدخنين إلى التدخين، فالأبناء يقلدون الآباء، والمراهقون يتأثر بعضهم ببعض .

آثار التدخين على الوطن

يمثل التدخين عبئاً ثقيلا على الاقتصاد القومي للوطن، لما ينفق من ميزانيـــة في زراعـــة التبـــغ وتصنيعه والدعاية له، في الوقت الذي تخسر فيه البلاد صحة أبنائها المدخنين، مما قد يساعد في زيـــادة الدخل القومي لو كانوا غير مدخنين .

فعلى سبيل المثال تتكلف صناعة السجائر في مصر مبلغ (٤٢٨) مليون جنيه وذلـــك عـــام ١٩٨٠ م، وقدرت هذه الميزانية عام ١٩٨٥ م بحوالي مليار جنيه . ويضاف إلى تلك الأمـــوال، مـــا ينفق على العناية الطبية بالأمراض المرتبطة بالتدخين، وتقدر بحوالي (١١٣) مليون جنيه . وتخـــسر مصر حوالي (٥٢) مليون جنيه نتيجة التغيب عن العمل بسبب أمراض التدخين .

بالإضافة إلى خسائر في المباني والمنشآت نتيجة الحرائق الناتجة عن التدخين، والتي تبلغ ٤٠ % من الحرائق شديدة الاشتعال .

كيف يدمن المدخن؟

الإدمان يعني الالتزام بأخذ التدخين، والإنسان عادة يدمن الأشياء التي توفر له راحة الأعصاب والسعادة، أو تساعده على نسيان بعض الهموم .

وسبب إدمان التدخين هو مادة النيكوتين، التي تتصاعد مع دخان السيجارة إلى المخ، ويظـــل تأثير النيكوتين في المخ حتى بعد ٢٠ دقيقة، ثم يذهب تأثير مادة النيكوتين على المخ، فيحتاج المـــدمن إلى كمية أخرى . ويتم إدمان التدخين بعد تعاطيه لمدة طويلة .

أسباب التدخين:

ويمكن تحديد أسباب التدخين في العناصر الآتية:

١- رخص سعر السجائر، مما يجعلها في متناول الجميع .

٢- المتعة التي يجدها المدخن من سرعة وصول النيكوتين إلى المخ .

٣- كثرة الأصدقاء المدخنين الذين يتعامل معهم الإنسان .

٤- إظهار المدخن الصغير أنه أصبح رجلا قادراً على أن يصنع مثلما يصنع الكبار .

٥- ضعف الوعي، وعدم إدراك خطورة التدخين وما يسببه من أمراض .

علاج التدخين

أولا: إجراءات وقائية:

١- تنمية العزيمة والإرادة الصادقة للامتناع عن التدخين .

٢- وقف الدعاية والإعلان عن التدخين والمدخنين، وخاصة على شاشات التلفاز .

٣- توعية المدخن بأخطار التدخين، وما يسببه من آثار مدمرة للفرد وأسرته .

٤- سن القوانين التي تحرم التدخين في الأماكن العامة .

٥- عدم التدخين أمام الأطفال حتى لا يقتدي الأطفال بما يفعله الكبار .

ويضاف إلى كل تلك الإجراءات بث الروح الدينية، والتمسك بتعاليم الدين التي تحرم الخبائث مثل التدخين والإدمان .

٦- زيادة الضرائب المفروضة على الدخان .

٧- التقليل من نسبة القطران والنيكوتين في السجائر المنتجة .

ثانياً: العلاج الكيميائي:

لما كان سبب إدمان التدخين هو مادة النيكوتين، فقد بحث العلماء عن بدائل كيميائية تعــالج أعراض نقص النيكوتين في الجسم، والتي يشكو منها المدخنون عندما يتوقفون عن التدخين، ومن هذه البدائل:

١ - لبان النيكوتين:

وهي عبارة عن مادة اللبان المشبعة بالنيكوتين، وهذه المادة تؤدي إلى تركيز النيكوتين في الدم عند المضغ، فيحصل المدخن على نفس المتعة التي اعتاد الحصول عليها من التدخين .

ولكن يعيب لبان النيكوتين أنه غال الثمن، وطعمه غير مستساغ، ولا يخلو من مضار تؤدي إلى قرحة اللسان والفم، ولا ينصح به لمرضى قرحة المعدة .

٢ - نشوق النيكوتين:

وهو مادة خالية من أول أوكسيد الكربون، ويخلط ببعض المواد ذات الرائحة الطيبة حتى يكون مقبولا لدى المدخنين .

ومن مضار النشوق أنه قد يؤدي إلى سرطان الأنف مع كثرة استعماله .

٣ - لزقة النيكوتين:

وهي عبارة عن لزقة تبلغ مساحتها ٢٠ سم^2، مشبعة بالنيكوتين، وتوضع هذه اللزقة على الجلد، فيتسرب منها إلى الجسم نحو ١٤ ملليجرام نيكوتين، ويتم تغير اللزقة كل عشرة أيام .

وتعمل مادة النيكوتين المتسربة إلى الجلد على الحد من الرغبة في التدخين .

ومن عيب اللزقة أنه لا يجب استخدامها لمرضى القلب والأوعية الدموية .

٤ - بخاخة النيكوتين:

وهي بديل للنشوق، ولكن لا ينصح باستخدامها كبديل للدخان لفترة طويلة .

٥ - بخاخة حمض الليمونيك:

استخدام حمض الليمونيك في بخاخات كان من أهم طرق العلاج الكيميائية، لأنه يعطي نفس الشعور بنكهة الدخان، مما جعل معظم المدخنين يستحسنون حمض الليمونيك .

وصايا

على من يحاول الامتناع عن التدخين أن يتبع التعليمات والنصائح الآتية:

- ضع مبسماً خالياً في فمك إذا رغبت في التدخين .
- أكثر من الأصدقاء غير المدخنين، ولا تجالس المدخنين من أصدقائك فترة طويلة .
- تجنب الحفلات والأماكن التي يكثر فيها التدخين .
- استعمل معجون أسنان عند غسل أسنانك .
- شرب الماء بكثرة وخاصة في الصيف، فإن يقلل الرغبة في التدخين .
- خذ لباناً أو حلوى أو برتقالة إذا رغبت في التدخين .
- إذا ضعفت ودخنت سيجارة، فاكتفي بنصفها أو أقل من ذلك .
- أكل الجرجير يقلل من مادة النيكوتين في الجسم .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر العنف والعدوان

إعداد: شعبان قزامل





تمهيد

كرم الله – عز وجل – الإنسان، وأحسن صورته، ومنحه من بين المخلوقات عقلاً مفكراً، وأعطاه الحرية التي تمكنه من تغيير الواقع الذي يعيش فيه، وضبط ظواهر الطبيعة بمعرفة قوانينها، وفي سعي الإنسان الدائب نحو تحقيق تلك الأهداف، فإنه قد يضل الطريق، وتأمره نفسه بالسوء، فينحرف عن الطريق القويم، ويظهر في سلوكه العنف والعدوان تجاه الآخرين، فيأتي أفعالاً قبيحة لا يرضاها الله .

وقد وضع الله – تعالى – عقوبة قاسية للذين يعتدون على الغير فقال: (**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) [المائدة: ٣٣] . وحذر النبي ﷺ من العنف والعدوان، فقال ﷺ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " [متفق عليه] .

تعريف العنف والعدوان

العنف والعدوان في اللغة:

العنف: هو الشدة والقسوة . والعدوان: هو الاعتداء ومجاوزة الحد . يقال عدا عليه عدواناً: أي ظلمه وتجاوز الحد .

العنف والعدوان في الشرع:

العنف: هو عدم الرفق وفقدان التلطف، وهو التهديد باستخدام أو الاستخدام الفعلي للقـــوة ضد شخص أو مجموعة أشخاص أو مجتمع مما يؤدي إلى إصابة الآخرين . والعدوان: هو تجاوز حدود الشرع في المعاملة والخروج عن العدل فيها . والعدوان قد يكون بالقول كما يكون بالفعل . والعنف صورة من صور العدوان . والعدوان أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حالٍ . والعنف والعدوان يبدآن بالغضب والانفعال الداخلي، ثم التنفيس بفاحش القول، ثم استخدام اللسان واليد .

أنواع العدوان ومظاهره

للعنف والعدوان أنواع عديدة هي:

١ - العدوان على حدود الله:

ويكون بعدم الالتزام بأوامره، وعدم الانتهاء عن نواهيه . ويوكن بتحليل حرامه، وتحريم حلاله . ومن مظاهر هذا العدوان: الشرك بالله، وعدم أداء فروض الدين كالصلاة والزكاة والصيام والحـــج مع القدرة والاستطاعة، وعدم اجتناب ما نهى الله عنه: كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين، وشرب الخمر والمخدرات، وأكل الميتة، وأكل لحم الخترير .

٢ - العدوان على النفس:

ويكون باتباع هواها، والسير وراء شهواتها، والانسياق وراء ما تأمر به من سوء . ومن مظاهر العدوان على النفس: عدم التخلق بالأخلاق الإسلامية، وعدم التأدب بآداب الدين، وتحميل النفس بما لا تطيق بالإفراط في العمل والعبادة، أو بالتفريط فيهما، أو إيذاؤهما بالتخلص منـــها بالانتحـــار، أو بالإساءة إليها بشرب الخمر، والمخدرات، والتدخين . قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا لا تَـــأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**) [النساء: ٢٩] .

٣- العدوان على الناس:

ويكون بالإساءة إليهم بالقول أو بالفعل؛ ومن مظاهر هذا الاعتداء: الغيبة والنميمة والكذب والسب والسرقة والقذف والقتل . قال ﷺ: " إن شر الناس مترلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه " [البخاري] .

٤- العدوان على الحيوان:

ويكون بالإساءة إليه والإضرار به، ومن مظاهره: حبس الحيوان حتى الموت دون طعام أو شراب، وذبحه دون حاجة، وتحميله بما لا يطيق، وضربه وتعذيبه . وقد حرم الإسلام العدوان على الحيوان، وهانا عن تعذيبه أو لعنه وحذرنا من ذلك، وأمر بالرفق به، قال ﷺ: " بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فترل فيها، فشرب منها، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي؛ فترل البئر، فملأ خُفَّه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له " . قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً " قال ﷺ: " في كل كبدٍ رطبة أجر " [متفق عليه] .

وقال ﷺ: " عُذِّبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " [متفق عليه] .

٥- العدوان على البيئة:

العدوان على البيئة هو التعدي عليها وتخريبها وتدميرها، وتشويه جمالها بالهدم والقطع . ومن مظاهره: قطع الأشجار، والتلوث، والإسراف في الماء .

وقد حث الإسلام على العناية بالبيئة وأمرنا بالنظافة، وهانا عن العدوان عليها، فقال ﷺ: " وإماطة الأذى عن الطريق صدقة " [البخاري] .

وقال ﷺ: " بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره، فـشكر الله لـه فغفر له " [البخاري] .

وأنواع العدوان وأشكاله متداخلة، فالعدوان على النفس هو عدوان على حـدود الله – عـز وجل – والعدوان على الناس هو عدوان على حدود الله – عز وجل -، وكذلك العـدوان علـى الحيوان، وعلى البيئة .

مظاهر العنف والعدوان

١ - القتل:

القتل العمد جريمة كبرى، ومن السبع الموبقات التي يعاقب الله عليها في الدنيا والآخرة؛ لأنـه اعتداء على صنع الله في الأرض، وتهديد لأمن الجماعة وحياة المجتمع . قال تعالى: (**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**) [الإسراء: ٣٣] . ودلت جريمة ابن آدم " قابيل " على أن القتل اعتـداء على الإنسانية، قال سبحانه: (**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْـسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**) [المائدة: ٣٢] . وجزاء القاتـل في الـدنيا هـو القصاص، وفي الآخرة العذاب والغضب واللعنة، قال تعالى: (**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**) [النساء: ٩٣] .

فالقاتل يقتل، ولا يقتل غير القاتل، والرجل إذا قتل امرأة يقلت، والمرأة إذا قتلت الرجل تقتل .

وحددت السنة أيضاً عقوبة القتل العمد؛ فقال ﷺ: " العمد قوَد، إلا أن يعفو ولي المقتول " [ابن أبي شيبة] .

أي أن القتل العمد يوجب القوَد (أي القصاص) إلا عند العفو .

وقال ﷺ: " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة " [الجماعة] . وقال ﷺ: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول

في النار " . قيل: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال ﷺ: " إنه كان حريصاً على قتل صاحبه " [النسائي] .

٢ - إيقاع الأذى بالناس:

ومن مظاهر العنف والعدوان إيقاع الأذى بالناس، مثل الضرب والسب . يروى أن رجلا عضَّ يد رجل، فانتزع الرجل يده، فسقطت أسنان العاض، فطلب النصر من النبي ﷺ، فقال ﷺ: " ما تأمرني؟ تأمرني أن آمره أن يدع يده في فيك تقضمها كما يقضم الفحل؟ ادفع يدك حتى يعضها ثم انتزعها " [مسلم] . وأهدر النبي ﷺ أسنان الرجل .

٣ - شرب الخمر:

شارب الخمر يعتدي على حد من حدود الله – عز وجل – ويعتدي على نفسه، وعلى أسرته ومجتمعه؛ لأن الخمر تفقد الإنسان صوابه وعقله، وتضرُّ صحته وجسمه، وتهلك ماله، مما يدفعه إلى انتهاك المحرمات، فيضر بالآخرين .

ولشدة أضرار الخمر حرمها الله – عز وجل – في كتابه الكريم واصفاً إياها بالرجس . فقال سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) [المائدة: ٩٠] .

وحرمها النبي ﷺ فقال: " كل مسكر خمر، وكل خمر حرام " [مسلم] . وما يصدق على الخمر يصدق على جميع أنواع المخدرات .

وحد شارب الخمر هو الجلد . قال ﷺ: " من شرب الخمر فاجلدوه " [أبو داود والنسائي] .

وعن أنس قال: جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين . [البخاري] .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ في جلد شارب الخمر: جلد رسول الله ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌ سُنَّة، وهذا أحب إليّ . [مسلم] .

٤ - الزنى:

الزِّنى عدوان على المجتمع، وهو حرام وفاحشة عظيمة ومن الكبائر، قال تعالى: **(وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)** [الإسراء: ٣٢] . وقال سبحانه: **(وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً)** [الفرقان: ٦٨] .

وحَدُّ الزنا وعقوبته الجلد للبكر والرجم للمحصن . قال تعالى: **(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ)** [النور: ٢] .

٥ - السرقة:

السرقة عدوان على مال الغير، وأخذه خفية واستتاراً، وهي محرمة شرعاً بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . وحد السرقة قطع يد السارق . قال تعالى: **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [المائدة: ٣٨] . وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده " [البخاري] .

وعن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: قال النبي ﷺ: " تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً " [البخاري] .

وأكد النبي ﷺ على عدم التهاون في إقامة حد السرقة، وكراهية الشفاعة في الحد، فعن عائشة – رضي الله عنها –: أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِب رسول الله؟ فكلم أسامة رسول الله ﷺ فقال ﷺ له: "

أتشفع في حد من حدود الله؟ " ثم قام فخطب، فقال: " يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد . وإيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطع محمدٌ يدها " [متفق عليه] .

حكم العنف والعدوان

العنف والعدوان حرام بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة؛ لأنه من الكبائر المهلكات . قال رسول الله ﷺ: " اجتنبوا السبع الموبقات (المهلكات) " . قالوا: يا رسول الله: وما هُنَّ؟ قال: " الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " [البخاري] . وقال ﷺ: " من حمل علينا السلاح فليس منا " [متفق عليه] .

الدفاع الشرعي:

أولاً: الدفاع عن النفس:

يباح الدفاع الشرعي عن النفس، ولا مسئولية تقع على المدافع عن نفسه، من الناحيتين المدنية والجنائية، إلا إذا تجاوز حدود الدفاع المشروع، فيصبح عمله جريمة يسأل عنها، وعليه القصاص . قال ﷺ: " من قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد " [الترمذي] . وفي هذا الحديث دليل على جواز الدفاع عن الدين والنفس والمال والعرض؛ لأن الرسول ﷺ عندما جعل المدافع شهيداً دل على أن له القتل والقتال .

ثانياً: الدفاع عن الغير:

حكم الدفاع عن الغير هو الوجوب عند الاستطاعة؛ لأن أساس هذا الدفاع هو الحفاظ على المحرمات . ولولا التعاون لذهبت أموال الناس وأنفسهم، لأن قطاع الطرق مثلا إذا انفردوا بأخذ مال إنسان و لم يُعنه غيره، فإنهم سوف يأخذون أموال الكل واحداً بعد الآخر، ومن هنا وجب التعاون لرد العدوان . قال تعالى: (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) [الحجرات: ٩] . وقال ﷺ: " انصر أخاك ظالماً او مظلوماً " . قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: " تحجزه عن العدوان، فإن ذلك نصره " [البخاري] .

التدرج في دفع العدوان

إذا وقع عدوان أو عنف على الإنسان، فعليه أن يتدرج في دفعه، فيبتدئ بالأخف فالأخف، فإن أمكن دفع المعتدي بكلام واستغاثة الناس حَرُمَ عليه الضرب، وإن أمكن الدفع بضرب اليد حَرُمَ استخدام السوط، وإن أمكن الدفع بالسوط حَرُمَ استعمال العصا، وإن أمكن الدفع بقطع عضو حَرُمَ القتل، وإن لم يكن الدفع إلا بالقتل أبيح للمدافع القتل؛ لأنه من ضرورات الدفاع عن النفس . فإن شهر عليه سيفاً أبيح للمدافع أن يقتله؛ لأنه لا يقدر على الدفع إلا بالقتل، إذ لو استغاث بالناس لقتله قبل أن يلحقه الناس .

التحذير من العنف والعدوان

العدوان خلق ذميم، وسلوك سيئ، حذرنا منه الله – عز وجل – كما حذرنا منه النبي ﷺ .

أولا: تحذير القرآن من العنف والعدوان:

حذرنا الله – سبحانه وتعالى – من الاعتداء أو العدوان، ونهانا عنه، وجعله صفة من صفات الظالمين المعتدين، يجازون عليها بالخلود في النار . قال تعالى: (**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) [المائدة: ٨٧]، وقال: (**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**) [المائدة: ٢] .

فالأمر بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان هو ركن من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن الكريم؛ لأنه يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد عن أنفسهم .

وأكد الله – سبحانه وتعالى – تحذيره من العدوان – وخاصة العدوان على حدود الله – في آيات كثيرة . قال تعالى: (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) [البقرة: ٢٢٩] . وقال سبحانه: (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) [الأعراف: ٥٥] .

وقص علينا المولى – سبحانه – حياة الأمم السابقة التي لم يردعها رادع من دين أو ضمير، بل سعت في الأرض فساداً وعدواناً، فكان جزاؤها العذاب المبين؛ فقال تعالى: (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) [القصص: ٤] .

ونهانا الله – عز وجل – عن التناجي بالإثم والعدوان، فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) [المجادلة: ٩] .

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من العنف والعدوان:

حذرنا النبي ﷺ من العدوان بجميع أشكاله وصوره سواء كان عدواناً باللسان أم عدواناً باليد، قال ﷺ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه " [

البخاري] . وعن أبي موسى ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله! أي الإسلام أفضل؟ قال: " من سلم المسلمون من لسانه ويده " [البخاري] .

وبين النبي ﷺ حرمة الدماء والأعراض والأموال، فقال ﷺ في حجة الوداع: " إن الله – تبارك وتعالى – قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم – إلا بحقها – كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا . . ألا هل بلغت؟ (قالها ثلاث مرات) " قالوا: ألا نعم . [البخاري] .

وبين النبي ﷺ حالة الإنسان الدينية وهو يعتدي على الآخرين فقال ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نُهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن " [البخاري] .

وبايع النبي ﷺ الصحابة على عدم الاعتداء في أي صورة من صوره، فعن عُبادة بن الصامت ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: " تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه " [مسلم] .

ونهى النبي ﷺ عن كل ما يؤدي إلى العنف والعدوان، فقال ﷺ: " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ها هنا (وأشار إلى قلبه ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه " [مسلم] .

والنجش: أن يزيد الرجل في سلعة يُنادي عليها في السوق، ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يغرَّ غيره، وهذا حرام .

ولأن العدوان يأخذ أشكالا وصوراً عديدة، فإن النبي ﷺ قد حذرنا منه في أحاديث كثيرة، فلم يترك صورة من صور العدوان إلا نبهنا إليها .

- النهي عن العنف:

عن عائشة رضي الله عنها أن فرقة من اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السَّام (الموت) عليكم . فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم . فقال ﷺ: " مهلا يا عائشة، عليك بالرفق وإياكم والعنف والفحش " . فقالت عائشة: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال ﷺ: " أو لم تسمعي ما قلتُ؟ رددتُ عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ " [البخاري] .

- التحذير من العدوان في الصدقة:

العدوان في الصدقة هو إنقاصها، أو صرفها في غير مصارفها الشرعية . فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: " المعتدي في الصدقة كمانعها " [أبو داود والترمذي] .

والمعتدي في الصدقة قيل: هو الذي يعطي الصدقة في غير المصرف . وقيل: هو الساعي الذي يأخذ أكثر أو أجود من الواجب .

- التحذير من العدوان على الآخرين:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك " . قلت: ثم أي؟ قال: " أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك " . قلت: ثم أي؟ قال: " أن تزاني حليلة جارك " [البخاري] . فالذنب الأعظم هو الاعتداء على حق الألوهية لله تعالى .

- التحذير من العدوان في الدعاء:

نهانا النبي ﷺ عن العدوان في الدعاء، فقال ﷺ: " لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل " [مسلم] .

وسمع عبد الله بن مُغَفَّلٍ ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها . فقال: أي بُني! سَلِ الله الجنة وعُذ به من النار . فإني سمعت النبي ﷺ يقول: " سيكون قوم يعتـــدون في الدعاء " [ابن ماجه] .

- التحذير من العدوان في الوضوء:

العدوان في الوضوء يكون بعد إسباغه، وعدم التزام فرائضه وسننه، جاء أعرابي إلى الـــنبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه النبي ﷺ الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: " هكذا الوضوء، فمن زاد على هـــذا فقد أساء وتعدى وظلم " [النسائي وابن ماجه] .

- التحذير من العدوان على الحيوان:

حذرنا النبي ﷺ من العدوان على الحيوانات، فعن سهل بن الحنظلين رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: " اتقوا الله في هذه البهائم المُعجمة (الـــتي لا تنطـــق)، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة " [أبو داود] .

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله ذات يوم، فأسَرَّ إليّ حديثاً لا أُحدث به أحداً من الناس، وكان احب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً (حائطاً أو سوراً) . قـــال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه الـــنبي ﷺ فمسح ذِفرَاه (عظمة خلف الأذن)، فقال: " من رب هذا الجمل . لمن هذا الجمل؟ " فجاء فتى مـــن الأنصار، فقال: لي يا رسول الله . فقال ﷺ: " أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياهـــا . فإنه شكى إليّ أنك تُجيعه وتُدئبه (تتعبه) " [أبو داود] .

آثار العنف والعدوان

يترتب على العنف والعدوان بمختلف صوره وأنواعه آثار في الدنيا والآخرة، ومن هذه الآثار:

١ - غضب الله – تعالى -:

المعتدي لا يحب الله، بل يبغضه ويمقته، ويغضب عليه، قال تعالى: (**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) [المائدة: ٨٧] . وقال تعالى فيمن يرمي المحصنات المؤمنات بالإثم والعدوان: (**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) [النور: ٢٣] .

وقال: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) [الأحزاب: ٥٨] .

٢ - القصاص:

إذا وقع العنف والعدوان على أحد فله أن يرد عليهما بالمثل، وهذا هو القصاص، ولا يقوم به في حالة الجنايات والحدود إلا ولي الأمر أو من ينوب عنه، قال تعالى: (**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**) [البقرة: ١٩٤] . وقال سبحانه: (**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**) [المائدة: ٤٥] . وقال سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [البقرة: ١٧٨] .

٣- الطبع على القلب:

المعتدي يطبع الله على قلبه، فلا يرى الحق فيتبعه، ولا يميز الباطل فيجتنبه؛ لأنه اتبع هوى النفس وشهواتها . واستحب العمي على الهدى . قال تعالى: (**كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ**) [يونس: ٧٤] .

٤ - ضنك المعيشة:

الذي يسلك مسلك العدوان، ويعرض عن التقوى وعن ذكر الله، أوعده الله – عز وجل – بضنك المعيشة، قال تعالى: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) [طه: ١٢٤] .

٥ - كراهية الناس:

المعتدي على الناس لا يلقى منهم غير الصدود والكراهية؛ لأنه بعدوانه عليهم يسلبهم حقاً لهم، ويعرضهم للخطر والألم، فيتجنبونه ويبتعدون عنه .

٦ - الخوف والقلق:

العدوان يجر على صاحبه الخوف والرعب والقلق، فالذي يلجأ للعنف والعدوان دائماً محاصر بالوساوس والمخاوف والقلق، فلا يأمن لأحد حتى لو كان أقرب أصدقائه؛ لأنه بعدوانه على حدود الله، فقد ظلم نفسه . قال تعالى: (**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**) [الطلاق: ١] .

٧ - العذاب يوم القيامة:

الذي يتعدى حدود الله، ولا يتوب من ذلك له يوم القيامة النار وبئس المصير، قال تعالى: (**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ**) [ق: ٢٤ – ٢٥] .

أسباب العنف والعدوان

١ - البعد عن الدين:

كلما ابتعد الإنسان عن الدين، وضعف عنده الوازع الديني اقتربت منه نوازع الشر والعدوان، كذلك الفهم الخاطئ للدين يدفع إلى العنف والعدوان .

٢ - الغضب:

الغضب من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب الإثم والعدوان، وإيقاعه في الحماقات .

٣ - التهور والطيش:

التهور والطيش والعجلة وعدم التأني في الأمور يدفع الإنسان إلى العنف والعدوان؛ لأن العجلة من الشيطان، قال ﷺ: " التأني من الله والعجلة من الشيطان " [أبو يعلى] .

٤ - إدمان المخدرات وشرب الخمر:

إدمان المخدرات وشرب الخمر من العوامل الرئيسية للعنف والعدوان؛ لأن المدمن لا يكـــون واعياً لتصرفاته، ويكون فاقد التمييز .

كيف نتجنب العدوان؟

١ - التمسك بالدين والتقوى:

العدوان يضاد التقوى ويناقضها، والتقوى هي السبيل الأمثل لتجنب العدوان والقضاء عليــه، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَـــنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [المائدة: ٢] .

٢ - التقرب إلى الله:

قال رسول الله ﷺ: " إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . ومـــا تقـــرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بهـــا . وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه . وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُدي عن نفـــس المـــؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " [البخاري] .

٣ - ابتغاء الفضل والأجر من الله:

قال ﷺ في فضل من ترك العدوان والفواحش: " سبعة يُظلهم الله يوم القيامة في ظله يـــوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجـــل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها، قال: إني أخافُ الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه " [البخاري] .

٤ - تجنب أسباب العدوان:

تجنب العدوان يكون بتجنب الأسباب التي تؤدي إليـــه، كالغـــضب والانتقـــام والاعتـــداء والمنازعات والمشاجرات والأمراض النفسية والطمع والابتعاد عن الخمر والمخدرات وغيرها مما يؤدي إلى العدوان .

وصايا

- اعلم أن العدوان محرم شرعاً، فلا يجوز لك أن تعتدي على الغير سواء بالقول أم بالفعل .

- تجنب الأسباب التي تؤدي بك إلى العدوان . كالغــضب . قــال ﷺ: " لا تغــضب " . وكررها ثلاثة مرات . [البخاري] .

- اعلم أنه كما تدين تدان، وأن الأيام دول بين الناس، فلا يغرنك شبابك وقوتك وعقلــك، فتعتدي على الناس، حتى لا تذق من نفس الكأس حين تذهب عنك القوة، ويهرب منك الشباب .

- لا تعين أحداً على العدوان، واعلم أن نصرك لأخيك هو أن تردعه عن عدوانه ولا تعينــه عليه .

- قل كما علمنا رسول الله ﷺ: " أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أُظلم أو اعتــدي أو يُعتــدى عليّ أو أكتسب خطيئة محيطة أو ذنباً لا يغفر " [أحمد] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة احذر

احذر الكبر

إعداد: أحمد حسن عرابي



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الكبر مرض قلبي، يجعل المسلم معجباً بنفسه، محتقراً للآخرين، ومن ثم لا يقبل من أحد حقاً جاء به أو نصيحة تنفعه، ولذلك ذم الله تعالى الكبر، فقال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**) [النساء: ٣٦] .

ونهى الله تعالى عن كل مظاهر الكبر، فقال تعالى: (**وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً**) [الإسراء: ٣٧ – ٣٨] .

وقال رسول الله ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " . فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ فقال ﷺ: " إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق (رده) وغمط الناس (احتقارهم) " [مسلم] .

تعريف الكبر

الكبر في اللغة:

الكِبر: العظمة والتجبر . وتكبَّر: تعظَّم وامتنع عن قبول الحق معاندة . وتكابر: أرى من نفسه أنه كبير القدر أو السن . واستكبر: امتنع عن قبول الحق معاندة وتكبُّراً .

والمتكبر: اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه العظيم ذو الكبرياء أو المتعالي عن صفات الخلق .

والكبرياء: عظمة الله، ولا يوصف بها إلا الله تعالى .

الكبر في الشرع:

الكبر إعجاب الإنسان بنفسه، وذلك بأن يرى نفسه أكبر من غيره، والأقبح من ذلك أن يرى نفسه أعظم من طاعة ربه، ويتكبر على الله تعالى، ولا يقبل الحق والإذعان لله . والكبر على قسمين، كبر في النفس، بأن يرى نفسه عظيماً، فإن وجد أحداً من الناس، ورأى أنه أعظم منه واحتقره سمـــي متكبراً . وبذلك يكون الكبر خلقاً في نفس الإنسان باطناً، والتكبر من الأعمال الظاهرة التي تـــصدر من الجوارح . وهو يستدعي توفر ثلاثة أمور، هي:

١- إنسان متكبر .

٢- موجود يتكبر الإنسان عليه .

٣- سبب لهذا الكبر .

فلا يتصور أن يوجد إنسان متكبر بدون أن يوجد معه من يتكبر عليه . وأيضاً لا يعتبر الإنسان متكبراً بمجرد استعظامه لنفسه، فقد يستعظم الإنسان نفسه ويستعظم الآخرين أيضاً .

كما أنه لا يعتبر متكبراً بمجرد احتقاره لغيره، فقد يحتقر غيره ويحتقر نفسه أيضاً . ولكن الكبر الحقيقي يتحقق بأن يرى لنفسه منزلة أعظم من منزلة الآخرين .

أقسام الكبر

ينقسم الكبر إلى ثلاثة أقسام هي:

١ - الكبر على الله – عز وجل –:

ويكون برد حكم الله تعالى، وعدم قبوله والإذعان له، وهذا النوع من أقبح أنواع الكبر .

ومن أمثلة هذا النوع: تكبر الكافرين والمشركين على اختلاف الزمان والمكان، بداية من قـــوم نوح وانتهاء بمشركي مكة . لقد رفض قوم نوح دعوة نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ و لم يقبلوا الحق اســـتكباراً من عند أنفسهم . قال تعالى على لسان نوح: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً، فَلَمْ يَزِدْهُمْ**

دُعَائي إِلَّا فِرَاراً، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً) [نوح: ٥ – ٧] .

ومرت الأيام وجاءت عاد قوم هود عليه السلام وكانوا يشتهرون بقوة الأجسام، فقد كان أطول رجل منهم يبلغ مائة ذراع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً، ولذلك قالوا كما أخبر القرآن: **(وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)** [فصلت: ١٥] .

وكان نتيجة تكبرهم على الله تعالى أن أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً، استمرت تهب عليهم ثمانية أيام متتالية حتى هلكوا جميعاً . قال تعالى: **(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ)** [فصلت: ١٦] .

ثم جاء زمن قوم ثمود، الذي أرسل فيهم نبي الله صالح عليه السلام . ظل نبي الله صالح عليه السلام ينصح قومه بالإيمان بالله، وشكر نعمة الله عليهم بالتمكين في الأرض، قال تعالى على لسان صالح عليه السلام : **(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)** [الأعراف: ٧٤] .

ولكن قوم صالح استكبروا على أمر الله، ورفضوا الإذعان لدعوة صالح عليه السلام ودار بين الكافرين والمؤمنين هذا النقاش الذي سجله القرآن، قال تعالى: **(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)** [الأعراف: ٧٥] . وهذا سؤال تهديد واستنكار لإيمان المؤمنين، وسخرية من تصديق المؤمنين للرسالة .

ولكن إجابة المؤمنين كانت تدل على الثقة بالله، والاطمئنان إلى جنب الله تعالى، فرد عليهم المستكبرين: **(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)** [الأعراف: ٧٦] .

و لم يكتف المستكبرون بكفرهم، بل سخروا من نبي الله صالح عليه السلام واستعجلوا العذاب الذي توعدهم به . ومكثوا ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع جاءهم الصيحة فهلكوا جميعاً .

وأيضاً استكبر فرعون وملؤه عن الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ**) [المؤمنون: ٤٥ – ٤٦] .

ورفضوا الإيمان بحجة أن موسى وهارون عليهما السلام بشرين (**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**) [المؤمنون: ٤٧] .

ومرة أخرى يستكبروا عن الإيمان بالله، لتمسكهم بما كان عليه الأجداد من معتقدات باطلة، وخشية أن يكون لبني إسرائيل الملك . فقال فرعون لموسى عليه السلام : (**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**) [يونس: ٧٨] . وكان عقاب الله تعالى لفرعون المستكبر وقومه أن أغرقهم .

وفي سكرات الموت يعترف فرعون بقدر الله، ويحاول أن يؤمن بالله، خوفاً على نفسه، ونجاة من الغرق، فقال وهو يصارع الموت: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، واستكبر فرعون أن يقول آمنت بالله، فرفض الله تعالى ذلك الإيمان من المستكبر على الله، قال تعالى: (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**) [يونس: ٩٠ – ٩٢] .

وكان إبليس – لعنه الله – أول من تكبر على الله تعالى، ورفض أن يستجيب لأمر الله تعالى له بالسجود لآدم، فعندما خلق الله تعالى آدم أمر الملائكة بالسجود لآدم، فلبوا أمر الله تعالى، ورفض إبليس أن يسجد، فقال تعالى: (**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ**

كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [صّ: ٧٥ – ٧٦] . وكان جزاء تكبره على الله أن طرده الله تعالى من الجنة . قال تعالى: **(قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ)** [الأعراف: ١٨] .

ومرت الأيام، وأرسل الله نبينا محمداً ﷺ إلى الناس؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكنه اصطدم بكفار قريش المتكبرين، الذين أعلنوا بكل تكبر أنهم لن يؤمنوا بالله تعالى، ولن يطيعوه، فقالوا كما سجل القرآن: **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً)** [الفرقان: ٦٠] .

٢ - الكبر على الرسل:

يكون الكبر على الرسل بتكذيبهم، وعدم الإيمان بالله تعالى، بل وشن الحرب عليهم، ومن أمثلة هذا الكبر، ما فعله بنو إسرائيل، فقد تعودوا تكذيب وقتل الأنبياء لمجرد الاستكبار والعناد، ولذلك أخبر الله تعالى المؤمنين بفضائح بني إسرائيل مع الأنبياء، واستكبارهم، فقال تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)** [البقرة: ٨٧] .

لقد دفعهم الكبر إلى تكذيب الرسل مثل عيسى ومحمد ﷺ، كما دفعهم الكبر أيضاً إلى قتل الأنبياء مثلما فعلوا مع يحيى وزكريا عليهما السلام .

ولذلك بيّن النبي ﷺ جزاءهم، فقال ﷺ: " إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء، سلط الله عليهم بختنصر، وهو من المجوس، وكان مُلكه سبعمائة سنة، وهو قوله تعالى: **(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً)** فدخلوا بيت المقدس، وقتلوا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف، فاحتملوها على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة، حتى أودعوها أرض بابل،

فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام، ثم إن الله – عـز وجل – رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل، وأن يستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل، فاستنقذ مَنْ بقي من بـني إسرائيل من أيدي المجوس، واستنقذ ذلك الحلي الذي كان من بيت المقدس، وردّه الله إليه كما كـان أول مرة، فقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل، وهـو قولـه: (**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**)، فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عـادوا إلى المعاصي، فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر، وهو قوله: (**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً**) فغزاهم في البر والبحر، فـسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ حلي جميع بيت المقدس، واحتمله على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب، فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي، فيرده إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرسي بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس وبها يجمـع الله الأولـين والآخرين . . " [ابن جرير والطبري] .

ومن قبل بني إسرائيل كانت مدين تحارب نبي الله شعيباً والمؤمنين معه، فقد دعـاهم شـعيب عليه السلام إلى الإيمان بالله تعالى والعدل وعدم الإفساد في الأرض، ولكن الملأ مـن مـدين اسـتكبروا، وتوعدوا شعيباً والمؤمنين بالطرد من المدينة، قال تعالى: (**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْـتَكْبَرُوا مِـنْ قَوْمِـهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**) [الأعراف: ٨٨] .

ولكن الله تعالى لم يتخل عن نبيه والمؤمنين، فأرسل على مدين العذاب، وأخذتهم الرجفة جزاء كفرهم، قال تعالى: (**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَـمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ**) [الأعراف: ٩١ – ٩٢] .

وحذا مشركو الجزيرة العربية حذو المتكبرين من بني إسرائيل ومدين، واستكبروا علـــى نبينـــا محمد ﷺ ورفضوا أن يصدقوه حتى يأتي بالملائكة، فقالوا: **(لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً)** [الفرقان: ٢١] .

ثم قالوا مرة أخرى: **(وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِـــنَ الْقَـــرْيَتَيْنِ عَظِـــيمٍ)** [الزخرف: ٣١] . أي لو كان الله اختار رسولا، فلماذا لم يجعله واحداً عظيماً غنيّا من مكة كالوليد بن المغيرة، أو من الطائف كعروة بن مسعود الثقفي، فرد الله عليهم، فقال: **(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ)** [الزخرف: ٣٢] .

وقالت قريش لرسول الله ﷺ: كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ وأشاروا إلى فقراء المسلمين، فازدروهم بأعينهم لفقرهم، وتكبروا عن مجالستهم، فأنزل الله تعالى: **(وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَـــيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)** [الأنعام: ٥٢] .

ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم، إذ لم يروا الذين ازدروهم، فقالوا: **(مَا لَنَـــا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ)** [صّ: ٦٢] . يعنون عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد .

٣- الكبر على الناس:

ويكون بالعلم أو بالمال أو بالمناصب إلى غير ذلك، ومن أمثلة التكبر على الناس: تكبر قـــارون على قومه، فقد أعطاه الله مالا كثير حتى أن مفاتيح حزائن ذلك المال لا تستطيع اليد القوية أن تحملها إلا بصعوبة، قال تعالى: **(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُـــوزِ مَـــا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)** [القصص: ٧٦] .

وكان يجب على قارون مع هذه النعم أن يشكر الله تعالى، ويتواضع للناس .

وأخذ أولوا العلم ينصحون قارون بالابتعاد على التكبر، فقالوا له: (**لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) [القصص: ٧٦ – ٧٧] .

ولكن قارون رفض النصح وتكبر وعاند، فقال: (**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**) [القصص: ٧٨] . وإمعاناً في التكبر والإعجاب والمعاندة، خرج في كبر وإعجاب يستعرض ما معه من مال، قال تعالى: (**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**) [القصص: ٧٩ – ٨١] . وهكذا كانت نهاية التكبر، ولذلك يختم الله قصة قارون ببيان ثواب المتواضعين وجزاء المتكبرين، فيقول: (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) [القصص: ٨٣] .

ومن الكبر على الناس التفاخر بالأنساب، فعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: إن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ: " افتخر رجلان عند موسى عليه السلام ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم " [زوائد مسند أحمد] .

حكم الكبر

التكبر حرام كما دل على ذلك القرآن والسنة وإجماع الأمة . قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**) [النساء: ٣٦] . وقال تعالى: (**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) [الأعراف: ٣٦] .

وقال ﷺ: " العز إزاري، والكبرياء ردائي . فمن نازعني شيء منهما عذبته " [مسلم] . ومعنى ينازعني يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك .

وقال ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " [مسلم] .

وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها، فقال: أنتِ حرام على كل متكبر .

التحذير من الكبر

أولاً: تحذير القرآن من الكبر:

حذر الله تعالى عباده من الكبر في صوره المتعددة، ومن ذلك قول الله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**) [النساء: ٣٦] .

وقال تعالى: (**وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**) [النساء: ١٧٢ – ١٧٣] .

وقال تعالى: (**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) [الأعراف: ١٤٦] .

وقال تعالى: (**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**) [غافر: ٣٥] . وقال تعالى: (**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**) [النحل: ٢٣] . وقال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**) [غافر: ٦٠] .

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من الكبر:

حذرنا الرسول ﷺ من الكبر، فقال ﷺ: " ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ (الغليظ الجافي) جوَّاظ (الضخم المختال في مشيته) مستكبر " [البخاري] .

وقال ﷺ: " من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله الله في أعلى عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين " [أحمد وابن حبان] .

وقال ﷺ: " إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل وإن عليه العباءة " [الطبراني] .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال ﷺ: " كُل بيمينك " . فقال الرجل: لا أستطيع . فقال ﷺ: " لا استطعت " ما منعه إلا الكبر . فما رفعها إلى فيه . [مسلم] .

وقال ﷺ: " احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنكِ الجنة رحمتي أرحم بكِ من أشاء، وإنكِ النار عذابي أعذبُ بكِ من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها " [مسلم] .

وقال ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل متكبر " [مسلم] .

ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته، فقال له مالك: يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل لك . فقال: أو ما تعرفني؟ قال مالك: أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة

مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة . فأرخى الفتى رأسه، وكف عما كان عليه .

وقيل لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع .

وقال المسيح عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه، ثم لم يمت جباراً .

وقال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه -: لا يحقرن أحد أحداً من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير .

ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة، فدعاه الحسن، وقال له: ابن آدم معجب بشبابه، محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داو قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم .

ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه، وقال: أتدري من أنت؟ أما أمك فأشتريها بمائتي درهم . وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله .

ورأى رجل رجلا يختال في مشيته، فقال: جعلني الله مثلكَ في نفسك، ولا جعلني مثلكَ في نفسي .

وقال الأحنف: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر .

آثار الكبر

للكبر آثار في الدنيا والآخرة:

١ - الخسف:

قال ﷺ: " بينما رجل يمشي في حلة (ثوب) تعجبه نفسه، مرجل (ممشط) رأسه، يختـال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل (يغوص) في الأرض إلى يوم القيامة " [متفق عليه] .

٢ - الذلة بين الناس:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من تكبر قصمه الله، وقال: اخسأ، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير " [الطبراني] .

٣ - ذهاب الحكمة:

قال رسول الله ﷺ: " ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته " [الطبراني والبزار] .

٤ - البعد عن الجنة:

عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: " إن من أحبكم إليَّ يوم وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون " . قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟ قال: " المتكبرون " [الترمذي] . والمتشدق هو المتكلم بملء شدقيه تفاخماً وتعاظماً واستعلاء على غيره .

٥ - عذاب النار:

قال ﷺ: " ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو (المعجب بنفسه المتكبر) " [البزار] .

والتقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص على المروة، فتحدثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو بقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا (يعني عبد الله بن عمرو) زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله بوجهه في النار " [أحمد] .

ومر عبد الله بن سلام في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا، وقد أغناك الله عن هذا؟ قال: أردت أن أدفع الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر " [الطبراني] .

٦- الهوان في الآخرة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال " [النسائي والترمذي] .

أسباب الكبر

يحدث الكبر في النفس والتكبر على الآخرين لوجود أمراض قلبية: مثل العجب والحقد والحسد والرياء، فالإنسان إذا أعجب بنفسه أصبحت نفسه عنده عظيمة، والناس بعدها في العظمة . ويأتي بعد ذلك مرض الحقد الذي يجعل الإنسان يتكبر على غيره وإن كان مثله أو أعظم قدراً منه، ولذلك يدفع الحقد الإنسان إلى عدم التواضع، ثم إن الحقد يجعل الإنسان المتكبر يرد الحق إذا جاء ممن يتكبر عليه أنفة، ولا يقبل النصيحة . ومن أسباب التكبر أيضاً الحسد، لأنه يؤدي إلى البغض للمحسود، وجحد الحق منه، والامتاع عن قبول النصيحة والعلم، فالحاسد قد يكون أفضل منه . وأخيراً الرياء، الذي يدعو صاحبه إلى رد الحق حتى لا يقال عنه إنه جاهل، ولذلك يحاول المتكبر جاهداً التكبر على الناس، وعدم التواضع لهم والاستفادة من عملهم، ليرائي الناس .

علاج الكبر

لعلاج مرض الكبر في النفس لا بد من معرفة الإنسان لنفسه ولربه، فالإنسان إذا عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، وينبغي له التواضع للناس . ثم إذا عرف ربه حق المعرفة، وعرف أن الكبرياء لله تعالى لتواضع أيضاً، فالله تعالى أشار إلى بداية ونهاية الإنسان ليعرف قدره . فقال تعالى: (**قُتِلَ الْأِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**) [عبس: ١٧ – ٢٢] .

ثم توالت نعمة الله على الإنسان ليكرمه، فأحياه بعد الموت، وجعله ناطقاً بعد البكم، وبصيراً بعد العمى، وقوياً بعد الضعف، وعالماً بعد الجهل، وغنياً بعد الفقر . فالله عز وجل أنعم على الإنسان بتلك النعم، ليعرف عظمة الله ويتواضع له، ولا يتكبر على أحد .

ومن علاج الكبر أيضاً دراسة أحوال المتواضعين، والتشبه بهم، وعلى رأس المتواضعين رسول الله ﷺ، الذي كان ﷺ من أكثر الناس تواضعاً لله وللناس، فقد قال ﷺ: " طوبى لمن تواضع في غير مسكنة " [الطبراني والبزار] .

وقال ﷺ: " خيرني ربي بين أمرين: أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً، فلم أدر أيهما أختار، وكان صفيي من الملائكة جبريل، فرفعت رأسي إليه، فقال: تواضع لربك، فقلت: عبداً رسولا " [أبو يعلى والطبراني] .

ثم على مِنْ تكبر بالنَّسب أن يعرف أنه يأخذ فضل الآخرين، ثم يعرف أن أصله من التراب الذي يداس بالأقدام .

وإذا تكبر الإنسان بالجمال، فليعرف أن باطنه غير جميل، وأنه لو ترك نفسه و لم يتنظف لكان قذراً، ولضاع الجمال . ثم ليعرف أن الجمال سيزول، وإذا تكبر بالقوة فليتذكر الأمراض التي قد تصيبه فتجعله ضعيفاً عاجزاً .

أما إذا تكبر بالغنى والأموال، فليعرف أن المال عرض زائل يذهب ويجيء، فلو ضاع المال لعاد ذليلا .

أما إذا تكبر بالعلم، فليتذكر أن العلم حجة عليه، وأن معصية العالم أعظم عند الله من معـــصية الجاهل، ولقد ذم الله تعالى اليهود لأنهم لا يعملون بعلمهم . فقال تعالى: (**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّـــهِ وَاللَّـــهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) [الجمعة: ٥] .

وصايا

- لا تتكبر على الله تعالى، برد أمره أو الاستكبار عن عبادته .

- لا تتكبر على رسول الله، بعدم التصديق لسنته أو عدم تطبيقها .

- لا تتكبر على الناس بعلمك، فإن زكاة العلم أن تبذله للناس، وتعلمه لمن لا يعلمه .

- لا تتكبر على الناس بنسبك أو جمالك أو جاهك، فكل ذلك عرض زائل .

- تواضع للناس يحبك الناس، فإن من تواضع لله رفعه .

- تذكر سوء عاقبة الكبر حتى لا يتطرق إلى نفسك شيء منه .

- تذكر ثواب التواضع، وأحوال المتواضعين حتى تحشر معهم .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة إحذر

احذر الإدمان

إعداد: سمية رمضان عبد ربه





تمهيد

المخدرات والخمور من أعظم المواد التي أفسدت عقول الشباب . فهي مواد يغيب معها العقل، وينعدم معها الوعي، ويختل بها التوازن، ويسوء بها التفكير .

ولهذا المواد خطر مالي وجسماني واجتماعي وديني، ولذا حرمها الإسلام . فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً . فإنها تذهب بالمال والعقل، فنزلت: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) [المائدة: ٩٠] . [أحمد وأبو داود] .

ومن العجيب أن تشيع المخدرات والخمور في مجتمعاتنا المسلمة وبين شبابنا .

وانتشار ظاهرة الإدمان سبب مباشر في ضياع طاقة الأمة، ومصدر مجدها، وهم الشباب .

تعريف الإدمان

الإدمان هو حالة نفسية وأحياناً عضوية، تنتج من تفاعل الكائن الحي مع العقار، ومن خصائصها: الشعور برغبة ملحة في تعاطي العقار بصورة متصلة أو دورية، للشعور بآثاره النفسية أو لتجنب الآثار المزعجة التي تنتج من عدم توافرها . وقد يدمن المتعاطي أكثر من مادة واحدة في وقت واحد .

الإدمان النفسي:

هو حالة تنتج من تعاطي المادة المخدرة، وتسبب الشعور بالارتياح والإشباع، وتولد الدافع النفسي لتناول العقار بصورة متصلة، لتحقيق اللذة ولتجنب الشعور بالقلق .

الإدمان العضوي:

هو حالة تكيف الجسم وتعوده على المادة، بحيث تظهر على المتعاطي اضـــطرابات نفـــسية أو عضوية شديدة عند امتناعه عن تناول العقار فجأة .

تعريف المخدرات

المخدر في اللغة:

المخدر في اللغة: اسم فاعل من الفعل خدر ويشتق منه عدة معان منه الستر والفتور والكسل .

والمخدر هو مادة كيمائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم .

المخدر في الشرع:

هي المرقدات، وهي كل ما غيب العقل والحواس دون أن يصحب ذلك نشوة وسرور . أما إذا صاحب ذلك نشوة وسرور، فهو المُسْكِر .

حكم إدمان المخدرات

لقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه . قال تعـــالى: (**وَلَقَـــدْ كَرَّمْنَـــا بَنِـــي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْـــضِيلاً**) [الإسراء: ٧٠] .

ومن أبرز صور تكريم الله للإنسان أن وهبه العقل، وأعطاه التفكير السوي السليم، وأحل لـــه الطيبات، وحرم عليه الخبائث، فحرم الله كل ما يفسد جسم الإنسان وعقله، لكي يعيش الإنـــسان سعيداً، ويحيا كريماً كما أراد له ربه وخالقه .

وما دام العقل هو نعمة الله الكبرى، فواجب الإنسان أن يحافظ عليه بكل وسيلة مشروعة، وأن يعمله في إدراك فضائل الأمور، وأن يتفكر به في ملكوت السماوات والأرض، وفيما يعود عليه وعلى غيره بالسعادة والخير، فإذا فعل ذلك، فقد أدى جانباً من شكر الله على هذه النعمة .

*** كل ما خامر العقل فهو خمر:**

" الخمر كل خامر للعقل " قالها عمر بن الخطاب ﷺ من فوق منبر النبي ﷺ يحـــدد بهـــا مفهوم الخمر، حتى لا تكثر أسئلة السائلين ولا شبهات المشتبهين، فكل ما أخرج العقل عن طبيعتـــه المميزة المدركة، فهو خمر، حرمه الله ورسوله إلى يوم القيامة، ويدخل في حكم الخمر تلك المواد الـــتي تعرف بالمخدرات، مثل: الحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها، مما عرف أثرها عند متعاطيها، حيث تؤثر في حكم العقل على الأشياء والأحداث، فيرى من تعاطاها القريب بعيداً، والبعيد قريباً، ويسبح متعاطيها في بحر من الأوهام والأحلام .

والأصل في الإسلام أن كل ما يضر فأكله أو شربه حرام . وهذا مما يؤكد تحـــريم المخـــدرات تحريماً مطلقاً لا جدال فيه .

يقول سيد سابق عن المخدرات: إنها من أعظم الأخطار التي تهدد نوع البشر، ليس بما تورثـــه مباشرة من الأضرار السامة فحسب، بل بعواقبها الوخيمة أيضاً، وجلبها لمـــرض الـــسل . والخمـــر والمخدرات توهن البدن، وتجعله أقل مقاومة لكثير من الأمراض، وتؤثر في جميع أجهزتـــه وخاصـــة الكبد والجهاز العصبي، فهي علة الشقاء والعوز والبؤس، وجرثومة الإفلاس والمسكنة والـــذل، ومـــا نزلت تلك السموم بقوم إلا أودت بهم بدناً وروحاً وجسماً وعقلا . [فقه السنة] .

*** الخمر داء وليست دواء:**

قال ﷺ: " ما جعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها " [أحمد] .

ولقد أكد العديد من الأطباء أن الخمر تولد أمراضاً عديدة يموت بها كل عام عدد لا يحـــصى من الناس . وفكرة التداوي بالخمر فكرة شيطانية الغرض منها تمكن الخمر من النفس حتى الإدمان .

عقوبة مدمن الخمر

جلد النبي ﷺ شارب الخمر بالجريدة والنعال، ثم جلده أبو بكر أربعين . [البخاري] .

وقال عمر: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلـــهما كـــأخف الحدود . فجلد عمر ثمانين . وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان أن أناساً من أهل الـــيمن قـــدموا علـــى الرسول ﷺ فأعلمهم الصلاة والسنن والفرائض، ثم قالوا: يا رسول الله! إن لنا شراباً نـــصنعه مـــن القمح والشعير . فقال ﷺ: " الغُبَيْراء؟ " . قالوا: نعم، فقال ﷺ: " لا تطعموه " . ثم لما كان بعـــد ذلك بيومين ذكروهما له أيضاً . فقال ﷺ: " الغُبَيْراء؟ " . قالوا: نعم . فقال ﷺ: " لا تطعموه " . قيل: فإنهم لا يدعونها . قال ﷺ: " من لم يتركها فاضربوا عنقه " [أحمد] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعهـــا وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه " [أبو داود] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " من لقي الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن " [النسائي] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه: [الحاكم] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى علـــيهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث " [أحمد والنسائي والبزار والحاكم] .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: " من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة " [الجماعة إلا الترمذي] .

أنواع إدمان المخدرات

تتعدد أشكال الإدمان بتعدد أنواع المخدرات التي يتعاطها المدمن .

وفيما يلي: أنواع المخدرات، وطرق تعاطيها .

١ - المخدرات الطبيعية:

وتشمل الحشيش، والأفيون، والقات .

٢ - السموم البيضاء:

وتشمل المورفين، والهيروين، والكوكايين .

٣ - الأقراص المخدرة .

*** إدمان الحشيش:**

الحشيش في اللغة العربية يطلق على العشب أو النبات البري، وعُرف المخدر المستخرج من نبات القنب بالحشيش؛ لأن العرب عندما عرفوا نبات القنب الهندي عرفوه نباتاً برياً يسمى بالحشيش . وقيل أن كلمة حشيش مشتقة من الكلمة العبرية (شيش) ومعناها: فرح، كناية على ما يشعر به المتعاطي للحشيش من النشوة والفرح .

*** إدمان الأفيون:**

يعتبر الأفيون من أخطر أنواع الإدمان في العالم، وينتج الأفيون من العصارة الناتجة من تجـــريح ثمار الخشخاش قبل جفافه، وقد عرف الإنسان لأول مرة ثمار الخشخاش، ووجد أنه عنـــد تجـــريح النبات غير الناضج من ثماره يفرز سائلاً لزجاً أبيض، ثم يتجدد ذلك السائل ويصير داكن اللون .

وتتعدد وسائل تعاطي الأفيون، وأكثر هذه الوسائل شيوعاً استعماله مع القهوة والشاي والتبغ .

وينتج عن الأفيون التخدير وما يتبعه من لذة . ويستعمل الأفيون لتخفيـــف الآلام وكمنـــوم، نظراً لتأثيره المخدر والمهدئ للأعصاب، ويؤدي استعمال الأفيون إلى الإدمان . وتختلف آثار الأفيون على جسم الإنسان من النواحي الكيميائية والفسيولو جية والنفسية باختلاف نوع الأفيون، وطريقـــة تجهيزه، وكمية تعاطيه، وتكوين المتعاطي الجسماني والنفسي . حيث ينبه الأفيون الجهـــاز العـــصبي المركزي ويهبطه في وقت واحد، فهو يسكن الألم، ويضعف النَّفَس والسعال، ويـــسبب الاســـترخاء والهدوء والشعور بالنشوة أحياناً، وبالاكتئاب وانحراف المزاج أحياناً أخرى . كما أنه يسبب النعاس والنوم والإمساك وضيق حدقة العين .

كما يؤدي الأفيون إلى حدوث اضطرابات بالمخ، تنتهي غالباً بالجنون كما يؤدي إلى اضـــراب الجهاز الهضمي، وسرعان ما يفقد مدمنه إرادته تماماً، ويصبح سريع التأثر، قريب الغضب، وإذا حاول الإقلاع عنه مرة واحدة ينتابه الإسهال والضعف وبرودة الأطراف والآلام الشديدة في كل أطرافـــه، كما أن الأفيون يصيب مدمنه بالغدة ثم بالعقم .

*** إدمان القات:**

يحتوي القات على مادة قلوية سريعة الذوبان في الماء، وهو نبات مخدر منبه، حيث ينبه الجهاز العصبي في البداية، فيشعر المتعاطي بالتيقظ والتخفف من التعب، وتحمل الجـــوع، ويـــثير الـــشهوة الجنسية، ويشعر متعاطيه بالعظمة والتفاؤل والخيال المتفتح الخصب . . ويستمر ذلك لمدة ساعتين أو أكثر، وبعدها يشعر المتعاطي بالبرد في أطرافه، ويميل للصمت، وتخيم عليه الكآبة، ثم يصاب بعد ذلك

بحالة من الغيبوبة يظل فيها حتى يحين موعد تعاطي الجرعة التالية، ويعجز المتعاطي خلال هذه الفتـــرة عن القيام بأي عمل .

ومن أهم مضاعفات إدمان القات: ضعف المناعة ضد الأمراض، وضـــعف الـــصحة العامـــة، وفساد الهضم . وشلل في مجرى البول، كما يؤدي إدمان القات إلى: إهمال المرأة المدمنة طفلها؛ بسبب البلادة وعدم الاكتراث اللذين يسببهما القات .

*** إدمان المورفين:**

المورفين أهم مشتقات الأفيون القلوية، وأكثرها انتشاراً، وهو مسحوق أبيض مر المذاق، عديم الرائحة، له قدرة عظيمة على التخدير، وإذا استمر الشخص في تعاطيه أسبوعين كاملين فإنه يدمنه . وقد يلجأ إليه الأطباء في علاج الآلام المبرحة مثل: الأورام الخبيثة، وجلطة الشريان التاجي بالقلـــب والكسور والحروق العنيفة . ويؤثر المورفين على الجهاز العصبي الرئيسي، ويؤثر كذلك على المعـــدة والأمعاء، وإذا حدث وأخذت منه جرعات كبيرة، تحدث نوماً عميقاً . وقد يقف التنفس أثناء ذلـــك فيحدث الموت .

وعند تعاطي المورفين يشعر المتعاطي بضعف الشعور والإحساس، ويؤدي إدمانـــه إلى جعـــل المدمن عصبي المزاح، غير متحلي بضبط النفس وقوة الإرادة .

ومن آثار المورفين المنبهة: الغثيان، والقيء، والتشنجات وإفراز العرق بغزارة، وانكماش بـــؤرة العين، وحكة الجلد، وإطالة مدة الولادة عند النساء .

*** إدمان الهيروين:**

يعتبر الهيروين من أخطر مشتقات الأفيون، وهو لا يستخلص مـــن الأفيـــون مباشـــرة، بـــل يستخلص من أحد مشتقات الأفيون وهو المورفين الذي يعتبر حلقة الوصل بين الأفيون والهيرويـــن . والهيروين من المخدرات التي تسبب الإدمان بسرعة، ويؤدي إدمانه إلى الجنون أو الموت .

وعندما يحس الإنسان بأي ألم في جسمه، فإن خلايا المخ وبعض خلايا الغدة النخاميـــة تفـــرز بعض المواد الكيماوية التي تساعد على انخفاض مستوى إحساس الجسم بالألم .

هذه المواد الكيماوية التي يفرزها المخ، أطلق عليها العلماء اسم أفيونات المخ .

وتؤدي هذه الأفيونات إلى تخفيف الإحساس بالألم وإعادة الهدوء والسكينة . . والتغلب على الألم . وعندما يتعاطى الإنسان الهيروين فإن العقار يتدخل في التركيب الكيميائي للمـــخ، ويربـــك الخلايا التي تفرز الأفيونات الطبيعية، ويدفعها إلى عدم إنتاج مضادات الألم الداخليـــة؛ لأن الجـــسم يستعيض عنها بالمخدر .

وتعطي الشمة الأولى من الهيروين للمتعاطي إحساساً كاذباً بالنشوة والسعادة، والقدرة علـــى العمل المتواصل دون نوم أو راحة، ولكن سرعان ما تقل هذه الطاقة تدريجياً بعد فترة من التعـــاطي، فيضطر المدمن إلى مضاعفة مرات حصوله على الهيروين، وبعد عدة أيام من استخدامه يحتاج المـــدمن إلى ١٠٠ ضعف الجرعة الأولى حتى يحس بنفس تأثير الشمة الأولى . ويتصرف المريض هنا كالمعتوه، لا يعي ما حوله، ولا يتحكم في بوله أو برازه، وينتهي الأمر به إما إلى الجنون أو الموت .

*** إدمان الكوكايين:**

يعتبر الكوكايين من أهم المخدرات البيضاء وأخطرها أثراً، إذ أنه يعتبر أسرع طريـــق يوصـــل مدمنه إلى الجنون . ويدفعه إلى الانتحار أو ارتكاب الجرائم . والكوكايين هو المادة، الفعالة الموجودة في نبات الكوكا .

وتعاطي الكوكايين يؤدي إلى الإدمان . . وهو يولد الإحساس الكاذب لدى المدمن بأنه أفضل الناس وأذكاهم، وإحساس الوهمي بأنه يتمتع بقوة جنسية كبيرة . وبعد فترة يصاب المـــدمن بجنـــون العظمة، بالإضافة إلى ما يصاب به من خيالات سمعية وبصرية تدفعه إلى ارتكاب أبشع الجرائم .

العقاقير التخليقية

وهي التي تصنع بالطرق الكيميائية، ومنها:

*** إدمان المنشطات:**

هي عقاقير تسبب النشاط الزائد، وكثرة الحركة، وعدم الشعور بالتعب والجوع، وهي موجودة على شكل أقراص أو حقن . وهي تؤثر تأثيراً شديداً ومباشراً على الجهاز العصبي المركزي .

*** إدمان المهدئات:**

هي مجموعة موادة كيميائية مصنعة تسبب الهدوء والسكينة أو النعاس، وقد تستخدم في التخدير . وتشمل المهدئات: المنومات، والمسكنات .

*** إدمان عقاقير الهلوسة:**

هي مجموعة من المواد التي تسبب هلوسات وخدع بصرية وسمعية واختلال الحواس والانفعالات، وتنقسم عقاقير الهلوسة إلى نوعين:

١- عقاقير موجودة في الفطريات والنباتات .

٢- عقاقير مصنعة في المعمل .

آثار إدمان المخدرات

١ - إدمان المخدرات والصحة:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: إن الإنسان لم يصب بضربة أشد من ضربة الخمر والمخدرات، ولو عمل إحصاء عام عمن في مستشفيات العالم المصابين بالجنون والأمراض العضالة

بسب الخمر والمخدرات، وعمن انتحر أو قتل غيره بسببها، وعمن أورد نفسه موارد الإفلاس . لـــو عمل إحصاء بذلك أو بعضه لبلغ جدّا هائلا نجد كل نصح بإزائه صغير .

٢ - التأثير النفسي لإدمان المخدرات:

للمخدرات تأثير ضار على الناحية النفسية سواء في المراحل الأولى من تعاطيهـــا أو في حالـــة الإدمان، فعندما يبدأ الشخص في تعاطي المخدرات يختلط عنده التفكير، ولا يحسن التمييز، ويكـــون سريع الانفعال، ثم تتبلد عواطفه وحواسه بعد ذلك، وبتكرار التعاطي يصبح الشخص كسولا قليـــل النشاط، يضيع وقته في أحلام اليقظة، ويفشل في إخفاء هذه الظواهر عن المجتع، فيلجـــأ إلى الخـــداع والغش والتزوير . وكثير من الشباب الذين يتعاطون هذه المخدرات يسقطون صـــرعى بـــالأمراض العقلية، فتظهر عليهم الهلاوس السمعية والبصرية والحسية؛ كأن يحس المدمن إحساساً خاطئاً بآلام في جسمه، أو خور في أطرافه، أو كأن هناك حشرة تمشي على جلده . وقد يظهر المرض العقلي علـــى صورة شك عنيف في سلوك افراد أسرته، وفي كل من يتعامل معهم، وعندئذ تكثر عنـــده الأفكـــار الخاطئة ضد الغير، فتتدهور شخصية المدمن نهائياً .

وقد يلجأ بعض الطلاب إلى استعمال المنبهات كوسيلة لتقويتهم علـــى التحـــصيل وتركيـــز الاتنباه، ولكن هذه المنبهات لا تختلف كثيراً عن المخدرات إذ أنها بالرغم من تأديتها إلى التنبيه في أول الأمر، فإنها تؤدي في النهاية إلى الانحطاط التفكيري .

٣ - إدمان المخدرات والدم:

يكون الدم ٨ % من مكونات جسم الإنسان وهو يلعب دوراً أساسياً في نقل المواد الغذائيـــة من الجهاز الهضمي إلى الكبد وإلى كافة أجزاء الجسم، نقل الهرمونات الخاصة بالغدد الـــصماء مثـــل البنكرياس الذي يفرز الأنسولين، كما أنه يحافظ على درجة قلوية الجسم، وتكوين المناعـــة اللازمـــة للإنسان بواسطة كرات الدم البيضاء .

فإذا كان للدم تلك الأهمية البالغة في الجسم، فكيف يسمح الإنسان لنفسه أن يمزج دمه بهـذا السم الممثل في الخمر والمخدرات، فالكحول يسبب العديد من أمـراض القلـب، وسـوء الهـضم والامتصاص، كما يضعف مرونة الشرايين، فتتمدد وتغلظ حتى تنسد أو تضيق أو تصاب بالتصلب . مما يؤدي في النهاية إلى جلطة القلب، أو جلطات الأوعية الدموية في المخ وما ينتج عنها مـن شـلل ووفاة .

٤ - إدمان المخدرات وخلايا المخ والأعصاب:

إن جميع المواد المخدرة إذا تناول الإنسان منها جرعة . . فجرعة . . فإنها تدخل تـدريجياً في عمل وظائف المخ، فيصبح المخ معتمداً اعتماداً كليًّا على هذه المادة المخدرة حتى يقوم بوظيفته، وهنا يدخل الإنسان في مرحلة الإدمان، فتختل وظيفة المخ ككل، وتختل جميع الأجهزة التي يتحكم فيهـا المخ مثل الجهاز التنفسي والجهاز العضلي والدورة الدموية وجميع أجهزة الجسم .

٥ - إدمان المخدرات والكبد:

الكبد من أهم الأعضاء الرئيسية في الجسم، فهو الذي يقوم بوظيفة لا غنى عنها وهي حمايـة الجسم ضد كثير من السموم السابحة فيه، وإرسالها إلى المرارة إلى غير ذلك من الوظائف التي تعمـل المسكرات على تعطيلها، وتعرض الأجسام للموت السريع والمفاجئ في كل لحظة خاصة إذا علمنا أن السكر وهو مبعث الحرارة في الجسم ومبعث الحياة، وأن الكبد هو الذي يقوم بتوزيع هذه الحـرارة . فماذا يمكن أن يصيب الإنسان من ضرر إذا أصيب هذا العضو الهام من جـسم الإنـسان بـسبب المخدرات .

٦ - إدمان المخدرات والأنف:

تعاطي الكوكايين والهيروين يؤدي إلى ضمور وتآكل الغشاء المخاطي للأنف، ومع اسـتمرار المدمن في تعاطي المخدرات يصاب بثقب في الحاجز الأنفي، وتشوهات بالأنف مما يؤدي إلى تكـوين

قشور سميكة بالأنف، وعند محاولة التخلص منها ينتج نزيف متكرر، فيؤدي ذلك إلى جفاف وذبول وهزال المدمن، مما يؤدي إلى فقد كامل لحاسة الشم، وفقدان القدرة على تذوق الطعام .

ويسبب تعاطي الهيروين احتقان أغشية الأنف، وانتفاخ الحاجز الأنفي، مما يـسبب صـعوبة واستحالة التنفس عن طريق الأنف . فيفقد المدمن وظيفة الأنف كصمام أمان يقي الجهاز التنفـسي ويعمل على تكييف هواء التنفس . ولكن الإدمان يؤدي في النهاية إلى التهاب الجهاز التنفسي، وبحـة الصوت، والترلات الشعبية والربوية، وضيق التنفس، وطنين الأذن، والإحساس بالدوران والغثيـان، وفقدان القدرة على الاتزان خلال المشي والحركة .

٧- إدمان المخدرات والنسل:

يجني شارب الخمر على ذريته جناية لا تغتفر، فإنه يتسبب في وجود أطفال معرضين لتشوهات خلقية قبيحة، وذلك لأن الخمر تتخلل في جميع خلايا الجسم خاصة العصبية منها، ولا تخلـو منـها الحيوانات المنوية إذ تنقل إليها الإصابات بواسطة التلقيح إلى بويضة الأنثى، فتصبح العلقة مريضة .

٨- إدمان الخمر والإجهاض:

يعتبر الخمر من العوامل الرئيسية للإجهاض، الأمر الذي يسبب لـلأم متاعـب ومـضاعفات خطيرة قد تؤدي للوفاة .

٩- إدمان الخمر والطفل بعد الولادة:

وإذا نجا الطفل من الموت وهو في الرحم، فليس معنى هذا أنه تخلص من أضرار الخمر، فالطفل يكون معرضاً للترلات المعوية، وقد تكون به تشوهات خلقية، أو يكون غير مكتمل الأعضاء، كمـا يصاب الطفل بضعف الأعصاب والذاكرة .

١٠- إدمان المخدرات والطلاب:

أثبتت التجارب أن الطلاب عندما يبدءون في استعمال أحد المخدرات فإنهم كثيراً ما يلجئون لتجربة أنواع أخرى من المخدرات، وعندما يبدأ الشباب في استعمال الحشيش بانتظام فإنهم يصابون بالتبلد ويهملون في أداء واجباتهم المدرسية؛ لأنه يضعف التفكير والفهم ويؤثر تـأثيراً سـيئاً علـى المهارات اللغوية والحسابية .

١١ - إدمان المخدرات والمجتمع:

تناول الخمر والمواد المسكرة تدمر عقل شاربها، وحينئذٍ لا تراه إلا مقيتاً خائناً رجيماً بعيداً كل البعد عن ربه، لقد عطلت المخدرات عقله، وشلت تفكيره، وجعلته يأتي المحارم ما ظهر منـها ومـا بطن، ويمارس الجرائم، مما يؤدي إلى أسوأ النتائج في الأنفس والأعـراض والأمـوال وفي مجـالات الأخلاق والاجتماع والاقتصاد، الأمر الذي ينذر الأمة وأجيالها بفادح الأخطار .

عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً . فإنها تذهب بالمال والعقـل، فنزلت: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الـشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) [المائدة: ٩٠] . [أحمد وأبو داود] .

وعن ابن عباس قال: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، فلمـا أن ثمـل القوم عبث بعضهم بعض . فلما أن أفاقوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول: صنع هذا فلان . وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن . فيقول والله لو كان بي رءوفاً رحيماً مـا فعـل بي ذلك . حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنَّمَـا الْخَمْـرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) [المائدة: ٩٠] . [البيهقي] .

عن سلم بن عبد الله عن أبيه أن أبا بكر وعمر وناساً جلسوا بعد وفاة الـنبي ﷺ، فـذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علم، فأرسلوا إلى عبد الله بن عمرو فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: " إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلا، فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يأكل

لحم خترير . أو يقتلوه؟ فاختار الخمر، وإنه لما شرب الخمر لم ينجو من شـــيء أرادوه منـــه . . " [الطبراني] .

أسباب الإدمان

يحدث الإدمان بسبب الاختلاط بقرناء السوء، فعندما يختلط الإنـــسان بأصـــدقائه وزملائـــه المدمنين، فإنهم يعرضون عليه تناول المخدر، تحت زعم أنه يجعله يعيش في عالم خيالي، ويشعر بحـــس مرهف . ويحدث الإدمان بعدما يجربه هذا الصديق الجديد مرات متتالية، وفي بعض المخدرات، يدمن من المرة الثانية كالهيروين . والرغبة في الخروج من الواقع، والإحساس بالسعادة التناهية التي تجعل منه مدمناً . والفشل والرغبة في الانطواء . وغيرة بعض الفتيات والشباب من زملائهم المتفوقين . وغياب دور الأسرة . والأمية . والفن الهابط الذي يصور أن النجاح هو الاخـــتلاس والتـــهريب وغيرهـــا . واستعمال المخدر كمنبه عام، أو مسكن يزيل الآلام . أو منوم .

العلاج من الإدمان

من الضروري أن يساهم الشخص السليم في الإبلاغ عن المدمن، ولا يحاول التستر عليه مهما كانت صلة قرابة المدمن، فتركه بلا علاج هو جريمة اجتماعية، ولا يمكن أن يعالج المـــدمن خـــارج المستشفى؛ لأن ذلك معناه عدم الجدية في العلاج .

ويتم العلاج بإحدى طريقتين:

الطريقة الأولى: الانسحاب المفاجئ لمدمني المخدرات:

ويتم بمنع المخدر عن المدمن نهائيًّا وتنويمه لمدة يومين كاملين، وبعد ذلك يتم إعطاؤه عقـــاقير مهدئة وعلاج نفسي، وتستمر هذه الطريقة شهراً .

الطريقة الثانية: الانسحاب التدريجي للمخدر:

وذلك لمدمني المخدرات بكميات كبيرة، ويستبدل بالمخدر عقاقير دوائية وحقـــن، ويـــستمر العلاج شهراً .

الوقاية من الإدمان

- دور الأسرة:

الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع، ووجود أسرة قوية مترابطة له أهمية بالغة في إحـــساس الأبناء بالأمن، وعدم الهروب من الواقع بالالتجاء إلى المخدرات . ولذلك يجب أن تبدأ الرقابـــة مـــن الأسرة، فيراقب الأب الأبناء، ويتعرف على أصدقائهم . . ويجب توافر القدوة الحسنة، فوجود قدوة حسنة في الأسرة هو عامل قوي في تكوين الشخصية التي تتحمل المسئولية وتبتعد عن الانحراف .

- دور المؤسسة الدينية:

إن المساجد من المؤسسات الدينية التي تقوم بدور هام في ميدان الوقاية من الإدمان، وذلك عن طريق تعريف المسلم بأصول دينه وغرس القيم التربوية في المسلم . وعلى أجهزة الإعـــلام التوعيـــة .بمشكلة المخدرات، وتكوين رأي عام يدينها ويحاصرها .

وصايا

- الإدمان نوع من الانتحار، فإياك أن تقدم عليه .

- نفسك أمانة، فلا تهلكها بالإدمان .

- الخمر والمخدرات من الأشياء التي حرمها الله تعالى على المسلم .

- ابتعد عن رفاق السوء، فالمرء على دين خليله .

- ابتعد عن الأماكن المشبوهة، والتي تروج فيها السموم .

- تذكر الأمراض التي يصاب بها المدمنون إذا دعتك نفسك إلى المخدرات .

- تمسك بعقيدتك، فإن الفوز في اللجوء إليها، والتمسك بها .

- تشبه بالرجال النافعين لأنفسهم وأمتهم، فإن التشبه بالرجال فلاح .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

سلسلة إحذر

احذر الجبن

إعداد: مسعود صبري





تمهيد

أراد الله تعالى من عباده المؤمنين أن يكونوا أقوياء شجعاناً في كل ميدان يقفون فيه، وفي كل مجال هم فيه متسابقون، بل في كل شأن من شئون حياتهم .

ويفهم هذا المعنى من قوله تعالى: (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ**) [الأنفال: ٦٠] .

وهذا يعني أن الجبن صفة مذمومة في الإسلام، لا يعرفها أقوياء الإيمان، الذين يستمسكون بالعروة الوثقى، وكيف يجبن مسلم يستمد عونه وقوته من القوي العزيز؟!

إن المسلم الحق لا يتطرق إليه جبن ولا خور، لأنه يؤمن أن ما يقع في كون الله إنما هو بقدره وإرادته، وأن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسير في الحياة قوياً شجاعاً، خائفاً من الله وحده، لا يخاف أحداً من البشر .

تعريف الجبن

الجبن لغة:

تدور مادة (ج ب ن) حول معنى التهيب والجبن، بمعنى أن يتهيب الإنسان الإقدام على ما لا ينبغي أن يخاف منه .

يقال: جبن من كذا: تهيب أن يقدم عليه .

ويقال: جَبُن وجَبَن جبناً، وجَبُن: جُبناً، وجبانة، فهو جبان، وهي جبانة . والجبان: ضد الشجاع .

الجبن شرعاً:

هو الجزع عند المخاوف، والإحجام عما تحذر عاقبته، أو لا تؤمن مغبته .

أقسام الجبن وأشكاله

تتعدد الأشكال التي يظهر فيها الجبن، ومن ذلك ما يلي:

١ - الجبن في الحروب:

عاب الله – تعالى – على أولئك الجبناء الذين يتمسكون بمتاع الحياة الدنيا الزائل، فيتركون الحرب هاربين فارين، ويساعدهم في ذلك طائفة من المنافقين، ففي غزوة الأحزاب جاء من يعتذر إلى رسول الله ﷺ مدعياً كذباً وزوراً أن بيوتهم عورة غير محصنة، فسهل أن يسرقها أي لص، وكان هذا الزعم حجة واهية كي يفروا من قتال المشركين في غزوة الأحزاب، فكشف الله – تعالى – حقيقة أولئك المنافقين لرسوله ﷺ حتى يكون على بينة من الأمر، فقال تعالى: (**وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً**) [الأحزاب: ١٣ – ١٤] .

فلو دخل العدو المدينة من كل ناحية، وطُلب من أولئك المنافقين أن يرتدوا عن الإسلام لفعلوا، لأن الجبن قد ملك قلوبهم .

ويصور القرآن الكريم صورتهم هذه وهم ما زالوا في المدينة، فكيف بحالهم وهم في خضم المعركة، إنه الجبن ووهن العقيدة وضعف الإيمان وخور القلب .

ثم يخبرهم الله – تعالى – أن هذا الفرار لا ينفعهم، فالموت قادم لا محالة لكل إنسان، فإن قدر الله هو المسيطر على الأحداث، يدفعها في الطريق المرسوم لها، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة، فالموت والقتل قدر لا مفر من لقائه، في موعد لا يتقدم ولا يتأخر، ولن ينفع الفرار والجبن في دفـع القـدر المحتوم، فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب، في موعده القريب: (**قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً، قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**) [الأحزاب: ١٦ – ١٧] .

٢ - الجبناء وقت السلم:

ثم يرسم الله صورة للمعوقين الذين يقعدون عن الجهاد، ويدعون غيرهم إلى القعـود، فهـذا النموج من الناس يغلب عليه الجبن والفزع، في ساعة الشدة والانتعاش، وسلاطة اللسان عند الرخاء، والشح عن الخير والضن ببذل أي جهد فيه، والجزع والاضطراب عند توهم الخطر من بعيد: (**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**) [الأحزاب: ١٨ – ١٩] .

وقد وصل جبنهم إلى حد لم يستطيعوا معه أن يصدقوا بهزيمة الأحزاب، وأنه قد ذهب الخوف، وجاء الأمان . وتمنى هؤلاء الجبناء لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة يوماً من الأيام حتى لا يتعرضـوا لمثل هذا اللقاء، ولا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا في مصير، فهم يتمنون هذا مع أنهم قاعـدون بعيدون عن المعركة، لا يتعرضون لها مباشرة، إنما الذي دفعهم لهذه الأماني الخوف والفـزع . قـال تعالى: (**يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً**) [الأحزاب: ٢٠] .

وإن كان القرآن الكريم قد ذكر لنا هذا الصنف من الناس الذي غلب عليه الجبن وطغى على حياته في ذلك المجتمع المسلم أيام رسول الله ﷺ، فإن هذا الصنف الجبان يتكرر في كل جيل، بنفس الملامح، وذات السمات .

٣- الجبن عن قول الحق:

والجبن يكون في ميدان القول، كما يكون في ميدان العمل، فربما يدعى الإنسان لكلمة الحق، فيخفيها؛ خوفاً من إنسان أن يؤذيه إذا قال الحق، وكم تضيع الحقوق بسبب الجبن عن قول الحق، ولذا فقد اعتبر الإسلام قول الحق نوعاً من الجهاد الذي يثاب عليه الإنسان، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أفضل الجهاد، كلمة عدل عند سلطان جائر " [الترمذي وأبو داود] .

حكم الجبن

الجبن من الصفات المذمومة، وقد يصل في كثير من الأوقات إلى درجة الحرمة .

يقول تعالى ناهياً المجاهدين أن يجبنوا في مجال القتال: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) [الأنفال: ١٥ – ١٦] .

كما نهى الرسول ﷺ عن ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " شر ما في الرجل شُحٌ هالع، وجُبن خالِع " [أحمد] .

ويرتبط بحكم الجبن ما يترتب عليه من آثار ضارة، يعود ضررها على الفرد والأسرة والمجتمع: من ضياع لشخصية الإنسان، وتفكك للأسرة، وتفتت للمجتمع، وانتشار الفساد فيه بسبب الجبن عن الوقوف ضد هذا الفساد ومحاربته بكل وسيلة مشروعة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " [مسلم] .

وعن حذيفة قال: قال ﷺ: " والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم " [الترمذي] .

التحذير من الجبن

حذر الله – تعالى – من الجبن، وجعله من الصفات التي يذم صاحبها ويلام عليها، بل ربما يعاقب إذا ترتب عليها ضرر، سواءاً كان هذا الضرر يتعلق به شخصياً، أم يتعدى إلى أهله، أو وطنه، أو دينه . يقول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) [الأنفال: ١٥ – ١٦] .

فالله – تعالى – يأمر المؤمنين أن يثبتوا عند لقاء العدو، ويحذرهم من الجبن الذي يؤدي إلى الفرار والتولي، بل يجب عليهم ألا يخافوا الهزيمة من الأعداء .

التولي يوم الزحف:

لقد جعل الرسول ﷺ التولي يوم الزحف الذي هو النابع من الجبن، كبيرة من الكبائر التي يحاسب عليها الإنسان حساباً شديداً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " اجتنبوا السبع الموبقات " . قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: " الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " [متفق عليه] .

القرآن ينفر من الجبن:

والقرآن الكريم ينفر النفس البشرية من الجبن، قال تعالى: (**فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ**) [الأنفال: ١٥] . وقال تعالى: (**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**) [الأنفال: ١٦] . وهذا تعبير عن الهزيمة في صورها الحسية، مع التقبيح والتشنيع . والتعريض بإعطاء الأدبار للأعداء!

وهكذا يثير هذا التعبير شعور الاستقباح والاستنكار، للجبن الكامن في النفس، والذي يترجم عنه بالتولي يوم الزحف .

الجبن نقص للرجولة:

ويجعل الرسول ﷺ الجبن من أقبح الصفات التي يوصف بها الإنسان، لأنها تشينه بين الرجال، فالرجل الحق هو الذي لا يجبن في أي موقف من المواقف، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولدُ آدم، طفّ الصاع، لم تملؤوه، ليس لأحد فضلٌ إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيئاً، بخيلا، جباناً " [أحمد] .

الجبن عار:

ويجعل الرسول ﷺ الجبن من شر الصفات في الإنسان، التي يلام عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " شر ما في الرجل شحٌ هالع، وجبن خالع " [أحمد] .

تحذير الخلفاء من الجبن:

و لم للجبن من مضار، فقد كان الخلفاء يوصون قادة الجيوش بأن يبتعدوا عن هذا الخلق الذميم، فقد جعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه أميراً على جيش بعثه إلى الشام، فأوصاه قبل الرحيل، فقال له: إني موصيك بعشر خلال: لا تقتلوا امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تغرمن نخلا، ولا تحرقنه، ولا تعلل، ولا تجبن .

لا نوم للجبان:

ويدحض خالد بن الوليد الجبن والجبناء في وصيته قبل الموت، فيقول وهو يتعجب أنه يموت على فراشه: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء .

الجبن مذموم عقلا:

ومن المسلمات العقلية مدح الشجاعة وذم الجبن، لذا يقول الإمام ابن تيمية : : إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما يمدح به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل والجبن . ولقد كان العربي الأصيل يكره الجبن كراهية شديدة، حتى لو توالى عليه الأعداء من كل حدب وصوب، ولذا قال الشعراء:

لا أقعد الجبن عن الهجاء

ولو توالت زمر الأعداء

الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الجبن:

ولما كان الجبن مرضاً خطيراً، يشكل تهديداً لصاحبه ولمن حوله، فقد كان الرسول ﷺ كثيراً ما يتعوذ بالله منه، فعن أنس أنه كان يسمع رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين (ثقله)، وغلبة الرجال " [متفق عليه].

ذم الأتباع الأعمى:

حذر النبي ﷺ أن يكون المسلم إمَّعة، يتبع غيره، بدافع من الجبن، فعن حذيفة بـــن اليمـــان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحـــسنَّا، وإن ظلمـــوا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا " [الترمذي] .

كلمة حق:

روي أن حاكم مصر أحمد بن طولون كان قد ظلم الناس، ولم يستطع الناس أن يدفعوا هـــذا الظلم بسبب جبنهم، فلم يجرؤ أحد حتى على كلامه، فتوجهوا للسيدة نفيسة بنت الحسن بن يزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يشكون إليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد . فكتبت رقعـــة، ووقفت بها في طريقه غير خائفة، وقالت له: يا أحمد، يا بن طولون، فلما رآها عرفها، فـــترل عـــن فرسه، وأخذ الرقعة وقرأها فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم . هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئـــة، لا ســـيما مـــن قلـــوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها . فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم، فإنا صابرون، وجوروا فإنا إلى الله مستجيرون، واظلموا فإنا بالله متظلمون، وسيعلم الـــذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فرجع أحمد عن ظلمه ولم يظلم الناس . فكان الظلم بسبب جبن الناس وعدم تذكيرهم لأحمد بن طولون بالحق .

آثار الجبن

١ - ضعف الشخصية:

فالإنسان الذي يجبن في كثير من المواقف في الحياة، يكون ضعيف الشخصية، لا يـــستطيع أن يعبر عن رأيه في كثير من القضايا والآراء، بل يكون دائماً عالة على غيره، ينظر ماذا يُصنع ويتبعـــه، ولقد نهى الرسول ﷺ أن يكون المسلم دائماً تابعاً في كل أمر، فقال ﷺ: " لا يكن أحدكم إمعة " [البخاري] .

ويقول عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: لا يتبعن أحدكم دينه رجلا، إن آمن؛ آمـــن . وإن كفر؛ كفر، فإنه لا أسوة في الشر .

٢ - غضب الله:

قد يجلب الجبن غضب الله، ومثال ذلك التولي يوم الزحف، والفرار من القتال ضد الأعداء بعد الخروج للقتال، فالجبان إذا رأى الجيش بعينه، ورأى الموت أمامه، حرص على الدنيا، وتمنى أن يعمـــر فيها أمداً بعيداً، فيفر من ساحة القتال، ويترك إخوانه المسلمين يدافعون عن بلدهم وعقيدهم، فمثـــل هذا الجبان يحل عليه غضب الله – تعالى –، قال سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيـــتُمُ الَّـــذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَـــدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) [الأنفال: ١٥ – ١٦] .

٣ - فقد المكانة:

الجبان لا يكون في رءوس الناس، بل تراه متأخراً، ينظر ما يصنع الناس، فيصنع مثلهم، ويقتدي أثرهم، أما الشجاع فهو الذي يقدمه الناس في مواقفهم، فيكون فيهم إماماً، وتأمل شجاعة خالد بن الوليد، كيف قدمته مع الإخلاص لله، فكان رأساً في الناس، خالداً في ذاكرة التاريخ، بخلاف كثير من الجبناء الذين لم نسمع عنهم، و لم يذكر التاريخ شيئاً عن حياهم، وذلك بسبب جبنهم وضعفهم .

٤ - احتلال الأوطان:

الجبن يؤدي إلى احتلال الأوطان، حين يعجز أهلها عن الدفاع عنها ضد الغارات التي يقوم بها الأعداء .

ومثال ذلك سقوط الخلافة الإسلامية العباسية، على يد التتار الذي راحوا يفكرون في احتلال العالم كله، والشعب المسلم في كل أرض ووطن على وجه الخصوص .

وجاء التتري هولاكو خان بجنوده العاتية الظالمة وحاصروا بغداد، لم يستطع أحـــد منـــهم أن يصنع شيئاً حتى الخليفة المستنصر بالله، لانشغالهم بالدنيا وزينتها، فلم يصدوا عدواً، بل أظهروا الجبن والاستسلام، فخرج خليفة المسلمين في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية، ليتكلم مـــع هولاكو، مظهراً الجبن والضعف، فما استطاع أن يتكلم من هول ما رأى من المذلة والمهانة، فرجـــع إلى دار الخلافة ليأتي منها بالأموال والذهب، وقد صغرت نفسه بسبب جبنه . وعندئذ ســـعى ابـــن العلقمي وزير الخليفة إلى هولاكو ليأمر بقتل الخليفة، وكان له ما أراد، وقُتل خليفة المسلمين، ثم دخل التتار بغداد، فقتلوا من وجدوا فيها من الرجال والنساء والشيوخ والصبيان .

وهكذا احتلت الأوطان، وضاعت الديار، ولو يعلم الجبناء عاقبة جبنـــهم، لمـــا استـــسلموا لأنفسهم، ولا لعدوهم، ولدافعوا عن أوطانهم وديارهم ضد كل غاصب .

أسباب الجبن

ينتج الجبن من عدة أمور، أهمها:

١ - الحرص على الحياة:

فالإنسا حينما تملأ الدنيا عليه قلبه، ويحبها حباً جماً، يكون في غاية الحرص عليها، فيدفعه ذلك إلى الجبن في كثير من المواقف التي تتطلب منه أن يكون شجاعاً .

وقد عرف اليهود بجبنهم، ولذلك وصفهم الله – تعالى – بحرصهم على الحياة الـــدنيا، فقـــال تعالى: (**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**) [البقرة: ٩٦] .

ومن هنا فقد ذم الشرع الحكيم حب الدنيا، فقد مرّ رسول الله ﷺ على شاة، وكـــان معـــه بعض أصحابه، فقال لهم: " أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟! " قالوا: من هوانها ألقوهـــا . فقـــال

ﷺ: " والذي نفسي بيده، للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء " [ابن ماجه والترمذي] .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن الرسول ﷺ قال: " من أحب دنياه، أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته، أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى " [أحمد والبزار والطبراني] .

ولا يعني ذلك ترك الدنيا بالكلية، بل المقصود أن لا تكون الدنيا غالبة على أمر الإنسان كله، متمكنة من قلبه، بل هو يحيا في الدنيا حياة طيبة، ملؤها طاعة الله – تعالى – وابتغاء رضوانه .

وتدفع الدنيا إلى الجبن من شدة الحرص عليها، والتكالب على متاعها والتشبث الشديد بها .

٢ - ضعف الإيمان:

يدفع ضعف الإيمان الإنسان إلى أن يكون جباناً، يتراجع في مواقف أحوج ما يكون فيها إلى الإقدام، ويرجع ضعف الإيمان إلى عدم الثقة بالله تعالى، كما يرجع إلى عدم الإيمان بقضاء الله وقدره، حيث يعلق الإنسان مصيره على أناس مثله، ناسياً أنه لا يحدث في كون الله إلا ما أراد، وأن ما قدر الله له لا بد أن يكون، وأن الدنيا لو اجتمعت لأذاه، ما أصابه ضرر إلا بإذن الله، كما قال تعالى: (**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**) [البقرة: ١٠٢] . كما أنهم لو اجتمعوا على نفعه، وإسداء الجميل له، ما نال من ذلك شيئاً إلا بقدر الله – تعالى – .

٣ - عدم التوكل على الله:

إن التوكل على الله يحفظ على الإنسان أمره كله، فيقدم على أعماله وشئونه كلها غير مبال ولا خائف من شيء، بل كله أمل في الله – تعالى – أن يحقق أمانيه، فلا يتطرق إليه جبن ولا خور، ولذا يقول النبي ﷺ: " لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً " [الترمذي] .

والتوكل على الله لا يكون في أمر الرزق وحده، بل يكون في كل أمر من أمور الإنسان، ذلك لأن التوكل من علامات الإيمان الصادق بالله تعالى .

٤ - طول الأمل:

حب الدنيا وطول الأمل، وعدم انتظار الموت في أي لحظة، يجعل الإنسان متشبثاً بالدنيا وزينتها، فيدفعه ذلك إلى أن يجبن في كثير من المواقف، فحب الدنيا والحرص عليها، رأس كل خطيئة، وسبباً رئيسياً في تمكن الجبن في نفوس البشر .

علاج الجبن

يمكن التخلص من الجبن بأمور أهمها:

١- استشعار أنه لا يحدث في كون الله – تعالى – إلا ما أراد، وأنه لا يصيب الإنسان شيء إلا بقدر الله، وأن الحذر لا ينجي من القدر، وأن سهام القدر نافذة لا محالة، لا يقف امامها حائل، ولا يمنعها مانع، فيقدم الإنسان بشجاعة وبسالة على كل أمر من أمور حياته، واضعاً نصب عينيه قول الله – تعالى –: **(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)** [التوبة: ٥١] .

٢- تربية الصغار على الشجاعة، فقد كان الرسول ﷺ حريصاً على غرس هذا المبدأ في نفوس أصحابه، حتى الصغار منهم، فلا يكون للجبن بينهم مكان، ولا يعرف إليهم سبيل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً: فقال: " يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف " [الترمذي] .

وما دامت الأقلام قد رفعت، فلا يكتب شيئاً غير ما قدره الله، فلأي شيء يجبن المرء ويخاف؟!

٣- إبداء الرأي ومشاركة الأصدقاء، فكثير من الناس يصاب بالإنعزالية، ويخشى أن يبدي رأيه في كثير من المسائل التي تختص به، ومثل هذا يجب أن يُشْرِكه أصدقاؤه أو أقاربه في الرأي، ويعودوه أن يدلي بدلوه، ما دام كلامه مفيداً نافعاً .

وقد كان الرسول ﷺ يحث أصحابه على إبداء الرأي، ويأخذ بمشورتهم في كثير من الوقائع، بل ويدربهم على ذلك، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: " أخبروني عن شجرة تشبه الرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها " فقال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم . فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: " هي النخلة " ، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه! والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة . فقال عمر ما منعك أن تتكلم؟ قلت: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا " [البخاري] .

٤- التدرب على الشجاعة، فالجاهل يستطيع أن يتعلم بالصبر والمصابرة، والحلم يأتي بالتحلم، والشجاعة تأتي بالتشجيع، ولقد ضرب الرسول ﷺ بنفسه أروع الأمثلة في الشجاعة، حتى يعلم أصحابه ذلك الخلق الرفيع، وليبتعدوا عن الجبن، فقد سمع الصحابة في المدينة صوتاً غريباً، ففزع الناس منه، فاستعار الرسول ﷺ فرساً، وذهب تجاه الصوت، ثم رجع، واستقبل الناس وهم خارجون ليعرفوا مصدر الصوت، فقابلهم ﷺ وهو يقول لهم: " لا تراعوا، لا تراعوا " [البخاري] .

أبطال صغار:

في أثناء غزوة بدر جاء فتيان من الأنصار هما – معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء – يسألان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما عن مكان أبي جهل، فجاء أحدهما عن يمينه وقال: يا عم أين أبو جهل؟ قال: و لم؟ قال: لأني سمعت أنه يسب الرسول ﷺ، فوالله لا يفارق سوادي سواده حتى أقتله أو أموت دونه . ثم جاءه الآخر عن يساره وقال: يا عم، أين أبو جهل؟ قال: و لم؟ قال: لقد

سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ، فوالله، لا يفارق سوادي سواده حتى أقتله أو أموت دونه . فـــدلهما عبد الرحمن بن عوف عليه، فذهبا إليه في شجاعة، حتى ضرباه بالسيف، ثم جاء عبد الله بن مـــسعود وأجهز عليه . [متفق عليه] .

وهكذا، ضرب معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء مثلا أعلى في الشجاعة .

وصايا

* لا تجبن، فالحذر لا يمنع القدر .

* كن قوياً فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

* كن متبوعاً في الخير والحق، ولا تكن تابعاً .

* تعوذ بالله – تعالى – من الجبن، فهو شر ما في الرجل .

* إياكم والجبن، فربما أدى إلى احتلال الأوطان .

* قل الحق ولو على نفسك أو الأقربين، فإن ذلك أبعد عن الجبن .

* استشعر قدر الله في الكون، تقتل الجبن في نفسك .

* شارك إخوانك وأصحابك في إبداء الرأي فيما ينفع .

* درب نفسك على الشجاعة، تأتك الشجاعة يوماً ما .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذناهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com

سلسلة إحذر

احذر الرياء

إعداد: مسعود صبري





تمهيد

فطر الله الإنسان على الحفاظ على نفسه، والحرص عليها من كل ما يضر بها، فـإذا مـرض الإنسان، سعى إلى الطبيب ليداويه، كي يتم الشفاء بإذن الله .

وإن كانت أمراض الأبدان تجب الرعاية بها، وصرف الهمم إليها، لتستقيم حياة الإنسان، فـإن أمراض القلوب أولى بالرعاية وصرف الاهتمام، لأن القلب إذا مرض انغلقت أمام المـريض أبـواب الخير، بل ويتعدى خطر مرض القلب إلى الآخرة ولا يتوقف على الدنيا فحسب .

وإن من أخطر أمراض القلوب الرياء، فبه يصبح عمل الإنسان هباءً منثوراً، بل الإنسان بالرياء يخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، فالمرائي يعمل بالطاعات لا من أجل الله، ولكن مـن أجل طلب المترلة في قلوب الناس، فهو لم يسعد في الدنيا، وخسر سعادة الآخرة .

تعريف الرياء

الرياء في اللغة:

أصل الرياء من الفعل راءى، يقال: راءاه مراءاة ورياءً أي أراه أنه متصف بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه .

الرياء في الشرع:

الرياء هو قصد إظهار الأعمال الصالحة لينال الشخص المترلة في قلوب الناس . فـالمرائي هـو الشخص المريض، والمراءى هم الناس الذين يطلب المترلة في قلوبهم، والمراءى به هي الأعمال الصالحة التي قصد المرائي إظهارها .

وقد سئل الحسن البصري عن الإخلاص والرياء، فقال: من الإخـلاص أن تحـب أن تكـتم حسناتك كما تحب أن تكتم سيئاتك، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقـول: هـذا مـن فـضلك

وإحسانك، وليس هذا من فعلي ولا صنيعي، وتذكر قوله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**) [الكهف: ١١٠] .

وقوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**) [المؤمنـــون: ٦٠] . أي يؤتون الإخلاص، وهم يخافون ألا يقبل منهم .

وأما الرياء: فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا . قيل له: كيف يكون هذا؟ قال: من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله والدار الآخرة فهو رياء .

وسأل رجل سعيد بن المسيب رضي الله عنه فقال له: إن أحدنا يصطنع المعروف، يحـــب أن يُحمـــد ويؤجر . فقال له: أتحب أن تمقت؟ قال: لا . قال: فإذا عملت لله عملا، فأخلصه .

أقسام الرياء

الرياء ليس قسماً واحداً، بل تتعـــدد أقسامه، وتختلف أشكاله، ومن أقسام الرياء ما يلي:

١ - الرياء بالقول:

هو أن يتكلم الإنسان أمام الناس بغرض مراءاتهم وطلب المنزلة في قلوبهم وهو نوعان، رياء أهل الدنيا، ورياء أهل الدين .

- رياء أهل الدين:

ومظاهر الرياء بالقول عند أهل الدين كثيرة، أهمها:

١ - مراءاة أهل الدين بالوعظ والتذكير، والنطق بالحكمة، وحفظ الآثار والأخبـــار، لأجـــل استعمال ذلك في محاورة الآخرين لتكون حجته أقوى، أو لأجل أن يظهر غزارة علمه، وأنـــه مـــن العلماء الذين يجب أن يوقروا ويحترموا، أو لأجل إظهار اهتمامه بالسلف الصالح دون غيره، فيكـــسبه ذلك وقاراً واحتراماً من الناس .

٢ - تحريك الشفتين بالذكر أمام الناس، حتى يقال عنه: إنه ذاكر لله تعالى، أما إذا كان هـــذا حاله، و لم يبالِ بوجود الناس فليس ذلك رياءً .

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد من الناس حتى يقال: إنه مصلح .

٤ - إظهار الغضب إذا رأى منكراً، وإظهار الأسف على ارتكاب الناس للمعاصي .

٥- ترقيق الصوت بالقرآن، حتى يظن سامعه أنه خاشع في قراءته للقرآن .

٦- ادعاء ملاقاة الشيوخ والعلماء، وربما يكون قد سمع عن شيخ شيئاً فادعى لقاءه ومخاطبته له .

٧- المجادلة بقصد إفحام الخصم، ليظهر للناس قوة علمه .

- رياء أهل الدنيا:

مراءاة من يبتغي الدنيا كثيرة، أهمها:

١- إظهار حفظ الأشعار والأمثال، ليقال: إنه مثقف .

٢- التفاصح في العبارات، ليعلم أنه فصيح في اللغة .

٣- التفاخر بما عرف من علوم دنيوية لا يعلمها كثير من الناس لتعلو مترلته بين أقرانه، فيكون مقدماً عليهم في المجلس وعند الحديث .

٢- الرياء بالعمل:

هو أن يطلب الرجل مترلة في قلوب الناس بإظهار بعض الأعمال، ومن مظاهر الرياء بالعمل عند كثير من الناس ما يلي:

١- مراءاة المصلي بطول القيام، ومد الظهر، وطول السجود والركوع، وإطراق الرأس أمام الناس، حتى يقال عنه: إنه خاشع في الصلاة .

٢- كثرة الصوم من النافلة، وإخبار الناس بذلك، فيتحدث مثلا عن فوائد الصوم، وهو يريد بذلك أن يعرف الناس عنه أنه صائم .

٣- الإكثار من الحج بغرض أن يقال عنه: إنه يكثر من الحج، فيتباهى في المجالس، كأن يقول: لقد حججت كذا مرة، كنت أصنع كذا وكذا .

٤- إظهار الصدقة والتحدث عنها، والمن بها أمام الخلق، وقد يذكر أن فلاناً أتى إليه يطلب منه شيئاً، فأعطاه إياه، أو أعطاه أكثر منه، فإن لم يشكره الناس على ذلك غضب، وربما منع التصدق على الفقراء .

٥- التمهل في المشي عند اللقاء فيرخي جفونه، وينكس رأسه ويظهر الوقار في الكلام، وإذا كان وحده أسرع، فإذا طلع عليه أحد من أهل الدين، رجع إلى الوقار حتى لا ينسب إلى العَجَلَة وقلة

الوقار . فإذا ذهب عنه من كان معه، عاد إلى عَجَلَته، فإذا رآه، عاد إلى خشوعه، وربما عود نفسه في الخلوة شيء معين، ليظهر به أمام الناس، حتى لا ينسى ويخالف ما يجب أن يظهره، وإنما يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الناس .

٣- المراءا بالأصحاب والزائرين:

وهو أن يظهر للناس أنه له أصحاباً ذوي مكانة عالية، يخالطهم ويصاحبهم، ويقصد بذلك أن يرتفع قدره عند الناس، ومظاهر ذلك ما يلي:

١- أن يطلب من العلماء زيارته، حتى يقال: إن فلاناً قد زار فلاناً، أو يطلب من عابد أن بزوره، حتى يقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته، ويترددون عليه .

٢- أن يخالط الملوك والسلاطين أو عمالهم، حتى يقال: إن الملوك يتبركون به، لعظم مرتبته في الدنيا، أو يتقرب منهم لينال مكانة عظيمة، يشتهر بها أمام الناس .

٣- الإكثار من ذكر الشيوخ، ونسج الحكايات حول ملاقاته لهم، حتى يكون له قبول عند الناس على حساب هؤلاء الشيوخ .

٤- المراءاة بمتاع الدنيا:

وذلك يكون بإظهار ما أنعم الله عليه، من الثياب، وإظهار التوسع والتجمل في الملبس والمسكن والأثاث، فإذا أتى له ضيف، أشار إلى ما في بيته من أثاث، فقال: لقد اشتريت هذه بكذا وكذا، إظهاراً لما هو فيه من حال الغنى، فيريد بذلك أن يوقره الناس .

حكم الرياء

الرياء محرم بالكتاب والسنة وإجماع العلماء . ولا يجوز للمسلم أن يتصف به، يقول الله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**) [الكهف: ١١٠] . أي لا يرائي بعمله أحداً مع الله . وقال تعالى: (**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**) [الفرقان: ٢٣] .

يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله وراءوا معه غيره، فإن الله تعالى يبطل ثوابها، ويجعلها كالهباء المنثور .

وقد جاءت الأحاديث تدل على تحريم الرياء، فعن رسول الله ﷺ قال: " إياكم والشرك الأصغر " قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: " الرياء . يقول الله تعالى – يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءوهم بأعمالكم في النيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " [أحمد] . وقال ﷺ: " قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك " [ابن ماجه] .

وقد أجمع علماء الأمة كافة على تحريم الرياء، ولو كان في هذا الأمر خلاف، لنقل إلينا؛ لأن هذا مما تعم به البلوى، وهو أمر يخص المسلمين جميعاً، فمثل هذا الأمر لا يغفل، وقد جاءت أقوال علماء الأمة وحكمائها، تدل على هذا .

يقول الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك .

وقال الحسن البصري مبيناً حالة المرائي: المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى، وهو رجل سوء، يريد أن يقول الناس هو رجل صالح، وكيف يقولون، وقد حلّ من ربه محل الأردياء (جمع رديء وهو الرجل الوضيع)؟!

التحذير من الرياء

حذر الشرع من الرياء، وجعله مذموماً، قال تعالى: (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ**) [الماعون: ٤ – ٦] .

ولا يصلح في العمل أن يريد به الإنسان وجه الله ووجه غيره، فإن ذلك شركاً به سبحانه . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله! إني أقف الموقف أريد به وجه الله، وأريد أن يُرى موطني . فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزل: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**) [الكهف: ١١٠] " [الحاكم] .

والله تعالى يتبرأ من شرك الأعمال يوم القيامة، ويكل المرائين إلى من راءوهم حيث لا ينفعوهم، فعن أبي سعيد ابن أبي فضالة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: " إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك " [الترمذي وابن ماجه] .

وإن من أشر أنواع الرياء، الرياء بعمل الطاعات وإظهار العبادات أمام الخلق .

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يكره الرياء ويحذر الناس منه، فقد رأى ﷺ رجلا يطأطئ رقبته وهو يسير في الطريق، فقال له: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب . وكان رسول الله ﷺ أخوف ما يتخوف على أمته الرياء بأعمالهم، ولا سيما الصالح منها، فقد ذهب عبد الواحد بن زيد إلى شداد بن أوس ﷺ في مصلاه فرآه يبكي، فقال له: ما الذي أبكاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال شداد بن أوس: حديث سمعته من رسول الله ﷺ يوماً، إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما الذي أرى بوجهك؟ قال: " أمراً أتخوفه على أمتي من بعدي " قال شداد: ما هو يا رسول الله؟ قال: " الشرك والشهوة الخفية " . قال: يا رسول الله، أوتشرك أمتك من بعدك؟! قال: " يا شداد! أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكنهم يراءون بأعمالهم " . قال: والرياء أشِرْكٌ هو؟! قال: " نعم " قال: فما الشهوة الخفية؟ قال ﷺ: " يصبح أحدهم صائماً، فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر " . قال عبد الواحد: فلقيت الحسن البصري، فقلت: يا أبا سعيد! أخبرني عن الرياء: أشِرْكٌ هو؟ قال: نعم، أما تقرأ: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**) [الكهف: ١١٠] " [الحكيم الترمذي] .

وقابل أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده، فلما انتهى الرجل من صلاته، توجه إلى الرجل ناصحاً ومعلماً، فقال له: أنت . . أنت، لو كان هذا في بيتك .

وقال الحسن البصري يعظ أصحابه: لقد صحبت أقواماً – يعني الصحابة – إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة، لو نطق بها، لنفعته، ونفعت أصحابه، وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة، وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى، فما يمنعه أن ينحِّيه إلا مخافة الشهرة .

والنية هي التي تحدد العمل أهو مخلص فيعمله، أم هو مراءٍ فيه فيتركه؟ قال عكرمة تلميذ ابن عباس: إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله؛ لأن النية لا رياء فيها . ولا يظن إنسان أن يخدع الناس بعمله، فالله تعالى هو الذي يجعل الإنسان يحب أخاه .

درجات الرياء

الرياء ليس درجة واحدة، فهناك من أبواب الرياء ما هو أشد وأغلظ من بعضه، واختلاف الرياء راجع إلى اختلاف أركانه . وأركان الرياء ثلاثة هي: قصد الرياء، والمراءى لأجله، والمراءى به .

الركن الأول: قصد الرياء:

وهو أربع درجات:

١- أن لا يكون المراد الثواب أصلا، مثل الذي يصلي أمام الناس، فإذا انفرد، لم يصلّ، بل ترك الصلاة بالكلية، بل ربما صلى أمام الناس بلا وضوء، أو كالذي يتصدق على الفقراء أمام الناس، فإذا سأله سائل وحده، لم يعطه شيئاً، وإنما يصلي المصلي، ويتصدق المتصدق، لأجل الناس فحسب .

٢- أن يرائي بالعمل مع قصد الثواب، ولكن همه الأكبر الرياء، فهذا قريب من سابقه .

٣- أن يقصد الثواب والرياء، بحيث لو كان الرياء وحده هو الباعث، لم يعمل شيئاً، ولكن إذا اجتمع الرياء والثواب دفعه ذلك إلى العمل، فهذا أمره إلى الله .

٤- أن يكون اطلاع الناس مما يقوي عزيمته على فعل العبادة، ولكنه لا يترك العمل، حتى لو لم يطلع الناس، ولو كان غرضه الرياء وحده، لم يقدم على العمل، فهذا يثاب، ولكن ينقص من ثوابه .

الركن الثاني: المراءَى لأجله:

وهو ما يقصد المرائي من فعله، كإدراك جاه أو مال أو محبة في قلوب الناس، وهو – أيضاً – ثلاث درجات:

١- أن يكون هدفه من الطاعة التمكن من المعصية، كالذي يظهر التقوى والورع ليعرف بالأمانة حتى يتولى القضاء، أو الأوقاف، ونحو ذلك، فإن سلمت له أموال الزكاة أخذ منها قدر المستطاع، ونحو ذلك .

٢- أن يكون غرضه نيل مباح من حظوظ الدنيا، من مال أو نكاح امرأة جميلة، كالذي يرغب أن يتزوج ابنة عالم عابد، فيظهر له العلم والعبادة، ليرغب في تزويجه ابنته، وهذا رياء محظور .

٣- ألا يكون غرضه من الدنيا أن ينال شيئاً ولكن يظهر العبادة خوفاً من أن ينظر إليه بعين النقص، كالذي يرى جماعة يصلون التراويح، فيصلي معهم، حتى لا ينسب إليه الكسل .

الركن الثالث: المراءى به:

ويقصد بالمراءى به الطاعات، والرياء فيه ينقسم إلى قسمين: الرياء بأصول الأعمال والعبادات، والرياء بأوصافها .

١ - الرياء بأصول العبادات:

وهو على ثلاث درجات:

١- الرياء بأصل الإيمان، وهو أغلظ أبواب الرياء، وصاحبه مخلد في النار، وهو الـــذي يظهـــر التوحيد والإسلام، ويخفي الكفر والتكذيب، ولكنه يرائي ببعض مظاهر الإسلام، وأولئك الذين قال الله فيهم: (**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**) [المنافقون: ١] . وقال فيهم أيضاً: (**وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**) [آل عمران: ١١٩] .

وهؤلاء أشـــد عذاباً من الكفار المجاهرين، لأنهم جمعوا بين كفر الباطن، ونفاق الظاهر .

٢- الرياء بأصول العبادات، ومثال ذلك أن يكون الرجل مع جمع من الناس وقد أذن للصلاة، فيصلي معهم، ولو كان وحده، لأخر الصلاة عن وقتها .

وهكذا كل فعل يفعله، فهو لا ينكره، ولكن يكون وجود الناس هو الباعث على هذا الفعل، ولولا ذلك، لما فعله .

٣- المراءاة بالنوافل والسنن، فإنه يفعلها في حضور جمع من الناس، ولو كان وحده؛ لتركهـــا تكاسلا، مثال ذلك، حضور الجماعة في الصلاة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وغسل الميت، وهو يفعل ذلك طلباً للحمد، وخوفاً من المذمة .

٢ - الرياء بأوصاف العبادات:

والرياء بأوصاف العبادات ثلاث درجات:

١- أن يحسِّن من عبادته أمام الناس مراءاة، كأن يكون من عادته تخفيف الصلاة مـــن قـــراءة وركوع وسجود، فإذا صلى أمام الناس بحيث يرونه أثناء الصلاة، أحسن الصلاة، وأطـــال القـــراءة والركوع والسجود . قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: من فعل ذلك، فهو استهانة؛ يستهين بربه عز وجل .

٢- أن يرائي بفعل شيء به تتم العبادة، مثاله أن يكثر الصمت أثناء الصوم أمام الناس، فـــإذا خلا في بيته تكلم أو أن يخرج الجيد من زكاته أمام الناس، ولو كان وحده، لأخرج الرديء .

٣- أن يرائي بأمور زائدة عن فعل النوافل، كحضور الجماعة قبل الناس، وأن يقف في الصف الأول قبلهم، وأن يكون على يمين الإمام .

آثار الرياء

الرياء من أخطر الأمراض لما يترتب عليه من الآثار الضارة على الإنسان، ومن أهم هذه الآثار، ما يلي:

١ - الويل والهلاك:

إن الذين يراءون بأعمالهم، يبتغون به مرضاة الناس دون مرضاة الله تعالى، يحذرهم الله تعالى من سوء العاقبة، وهي الويل والعذاب . قال تعالى: (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ**) [الماعون: ٤ – ٦] .

والذين يراءون بأعمالهم، إنما يمكرون السيئات في الخفاء؛ لأنه ربما لا يعرف كثير من الناس حقيقة هدفهم، فكان جزاؤهم العذاب الشديد، بما كسبت أيديهم . قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**) [فاطر: ١٠] .

٢ - فقد النصير:

يقف الذين يراءون بأعمالهم يوم القيامة أذلاء ناكسي رءوسهم عند ربهم، لا نصير لهم، ولا مدافع عنهم، لأنهم إن كانوا يراءون الناس لكسب الأنصار، فإنهم يفقدون ذلك يوم القيامة، إذ ليس في الآخرة غش أو خداع، وإنما يوفى كل إنسان ما عمل، فعن رسول الله ﷺ قال: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " . قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: " الرياء . يقول الله – عز وجل – يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء " [أحمد] .

٣ - إحباط العمل:

من أخطر آثار الرياء على الإنسان أن يفقد الإنسان عمله، فربما يأتي يوم القيامة بكثير من الأعمال الصالحة، لكنه لا يجد منها شيئاً، فيجعلها الله هباءً منثوراً، بل إن من أخطر الأمور أن يتعب الإنسان نفسه في الطاعة، ثم تكون بعد ذلك هباءً لا فائدة منها، فالكافر يتمتع بما يفعل، ويعلم أنه كافر بالله، فيحصل على غايته من الدنيا . أما المسلم الذي يرائي فهو يتعب نفسه في الدنيا، ويخسر أعماله يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأُتى به، فَعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ، قال: كذبت؟ ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل . ثم أمر به فسحب

على وجهه حتى أُلقى في النار . ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعَرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت ليقال: عالم، فسُحب على وجهه حتى أُلقى في النار . ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتي به، فعَرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جوادٌ (كريم)، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار " [مسلم] .

ولما بلغ هذا الحديث معاوية رضي الله عنه بكى حتى غشى عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله . قال تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [هود: ١٥ – ١٦] .

٤ - الفضيحة:

يقصد المرائي غرضاً قد لا يفطن له كثير من الناس، وربما لا يفتضح أمره بين الناس في الدنيا، لكن الله – تعالى – يجازي المرائي يوم القيامة بالفضيحة على رءوس الأشهاد، وكفى بجريمة المرائي إثماً، وكفى بالفضيحة جزاءً، فالمرائي يعمل لوجه الناس، وهو يريهم أنه يريد الله، كذباً وزوراً، فلا غرو أن يفضحه الله يوم تبلى السرائر، وأن يسحب على وجهه إلى النار! يقول الرسول ﷺ: " بشِّر هذه الأمة بالتيسير، والسناء، والرفعة بالدين، والتمكين في البلاد، والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب " [البيهقي] .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ " مَنْ سمَّع، سمَّع الله به، ومَنْ راءى راءى الله به " [مسلم] . ومعناه: مَنْ أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأشهاد . وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: " ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمّع الله به على رءوس الخلائق يوم القيامة " [الطبراني بإسناد حسن] .

٥ - يسير الرياء شرك:

إن الذي يرائي بعمله يقع في الشرك بالله تعالى، والشرك من أعظم الذنوب، وأخطرها على الإنسان؛ لأنه يعني فقدان الدين، مما يترتب على ذلك من ظلم الإنسان لنفسه في الدنيا، والهلاك في الآخرة، فعن محمود بن لبيد قال: خرج النبي ﷺ فقال: " يا أيها الناس! إياكم وشرك السرائر " قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: " يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً لما يرى من

نظر الناس إليه، فذلك شرْك السرائر " [ابن خزيمة في صحيحه] . وعن زيد بن أسلم عن أبيـــه، أن رسول الله ﷺ قال: " اليسير من الرياء من شرك، ومن عادى أولياء الله، فقد بارز الله بالمحاربـــة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإ حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مـــصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة " [الحاكم] .

٦- فقدان محبة الخالق والناس:

فالمرائي لا يراقب الله – تعالى –، بل يتوجه بعمله لغير الله، فيترتب علـــى ذلـــك أن يكـــون مبغوضاً عند الله، مطروداً من رحمته، إلا أن يتوب إلى الله، ويرجع إليه .

والمرائي يفقد أيضاً محبة الخلق؛ لأن الله سبحانه يقذف في قلوب العباد كرهه، فلا ينال المرائي من عمله ما هدف إليه . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " إذا أحب الله عبداً دعا جبريـــل، فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه . قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانـــاً، فأحبوه، فيحبه أهل السماء . قال: ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض عبداً دعـــا جبريـــل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانـــاً فأبغضوه . قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض " [مسلم] .

٧- الفشل وفقدان الثقة بالنفس:

إن الذي يرائي الناس، إنما يرائيهم ليتقرب إليهم، وربما يصنع ذلك ليصل إلى مترلة، أو درجـــة عالية أكثر من زملائه في العمل مثلا، وبذلك يسلك المرائي أقرب سبيل إلى الفشل، وعـــدم الثقـــة بالنفس؛ لأنه لا يعرف غير هذه الطريقة، حتى يصل إلى ما يريد، بدلا من أن يكون مجتهداً، يـــسلك الطريقة الصحيحة إلى ما يريد .

٨- الرياء ظلم:

الرياء نوع من الظلم، فالمرائي يظلم نفسه بما يصنع من أفعال الرياء، وما يقوله ابتغاء الريـــاء، فهو يعرض نفسه لعقاب الله، وكفى بذلك الفعل ظلماً . كما أن المرائي يظلم الناس، فربمـــا أخـــذ المرائي مكان غيره، وهو بفعله ينشر الفساد بين الناس، فلربما رأى كثير من زملائه ما يصنع فيتبعـــون نهجه، ويسلكون طريقه، كي يصلوا إلى ما وصل إليه، وبذا ينتـــشر الفـــساد في الأرض، وتـــضيع الحقوق، وينتشر الظلم، ويرفع العدل بين الناس، وكما قال تعالى على لسان لقمان حين وعظ ابنه: (**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) [لقمان: ١٣] . والرياء نوع من أنواع الشرك .

العلاج من الرياء

ومـــن تلك الوسائل التي تعين الإنسان على التحلي بالإخلاص والبعد عن الرياء، ما يلي:

١ - الدعاء:

على العبد أن يتوجه إلى ربه تعالى بالدعاء والتضرع أن يرزقه الإخلاص، وأن يجنبه الرياء، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: " يا أيها الناس! اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل " . فقال له رجل: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل، يـــا رسول الله؟ قال: " قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك به شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه " [أحمد والطبراني] .

٢ - مراقبة الله تعالى:

فلا يراقب المخلوقين، فإنهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً، وقد قال الفضيل بـــن عيـــاض : : العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

٣ - مطابقة السر للعلانية:

المخلص ظاهره كباطنه، وقد قال أحد الزهاد: من تزين للناس بما ليس فيه؛ سقط من عين الله تعالى .

٤ - ترك قول الآخرين:

فعلى الإنسان أن يسوي بين مدح الناس وذمهم، وقد قيل: ما عليك أن تكون مذموماً عنـــد الناس إذا كنت محموداً عند الله والعكس أيضاً صحيح .

وينبغي على المسلم أن يستقل عمله ولا يستكثره، بل يسأل الله – تعالى – أن يتقبله، فهـــو لا يدري، أقبل الله العمل أم لا . قال ﷺ: " لن يُدخِل أحدَكم الجنةَ عملُه " . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته " [متفق عليه] .

وصايا

* اعمل العمل خالصاً لله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً .

* أكثر من طاعة السر؛ لأنها أدعى إلى الإخلاص عن طاعة العلانية .

* راقب الله تعالى، واعلم أنه مطلع عليك .

* حاول أن يكون ظاهرك كباطنك، وسرك كعلانيتك .

* لا تبالِ بما يقول الناس، وتوجه إلى الله بعملك .

* لا تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك .

* راقب الله في عملك وقولك، ولا تراقب المخلوقين .

* اتق الرياء فإنه أخفى من دبيب النمل .

* لا تفحر بزيارة الأكابر، فإن ذلك من شرك السرائر .

* اشكر الله تعالى على نعمه، ولا تفتخر بها على خلقه .

* احذر الشيطان، واعرف مسالكه، لتجتنبه .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد